من المسرح العالمى

من الأعمال المختارة

برتولت برشت - ١

• طبول فى الليل
• حياة جاليليو

ترجمة وتقديم: د. عبد الرحمن بدوى

من المسرح العالمي
اول يولية ١٩٧٥
شهرية



من الأعمال المختارة

برتولت برشت - ١

- طبول في الليل
- حياة جاليلو

ترجمة وتقديم : د. عبد الرحمن بدوي

تصدر عن . وزارة الإعلام - الكويت

مقدمة عامة
بقلم المترجم

برتولت برشت
حياته ومؤلفاته

برتولت برشت واسمه الكامل : اويجن برتولد فريدرش برشت ولد في العاشر من شهر فبراير سنة ١٨٩٨ في مدينة أوجسبورج في وسط المانيا . وكان أبوه برتولد برشت (ولد في ١٨٦٩/١١/٦ في آخرن Achern في الغابة السوداء) قد انتقل الى هذه المدينة في سنة ١٨٩٣ ليعمل موظفا في مصنع للورق . واستطاع بنشاطه ومهارته أن يترقى في المصنع حتى وصل الى وظيفة مدير في سنة ١٩١٤ . وكان هذا الاب كاثوليكيا ، بينما كانت أم صاحبنا مسيحية انجيلية . وعمد الابن على مذهب الاب أى مسيحيا انجيليا . وهذه الأم تنحدر من أصل اليماني اشفابني (من جنوب ألمانيا) لا من أصل بافاري . وهكذا نشأ الابن في اسرة بورجوازية ميسورة جدا .

والتحق بالمدرسة الابتدائية في أوجسبورج في سنة ١٩٠٤ ، ومنها انتقل الى المدرسة الثانوية في أوجسبورج بعد اربع سنوات (سنة ١٩٠٨) ، ومنها حصل على شهادة البكالوريا في سنة ١٩١٧ . والتحق بجامعة منشن (ميونخ) لدراسة الادب والطب . وكان والده يود له أن يسلك سبيلا مثل تلك التى سيسلكها أخوه الوحيد (ولد سنة ١٩٠٠) فلتر WALTER ، الذى اصبح استاذا لصناعة الورق في كلية الهندسة في درمشتات .

ولكن النوازع الأدبية كانت مبكرة الظهور عند صاحبنا برتولت ، فلم يشأ أن يسلك الطريق اللاحب لابن من اسرة بورجوازية ثرية ، بل جذبته الحياة البوهيمية الحرة التى يحياها الأدباء والفنانون . وبدأت تظهر هذه البوادر الأدبية والفنية منذ نعومة اظفاره : فقد كان مولعا في صباه الأول بمسرح العرائس ، وكان وهو في الثانوية يكتب في مجلة التلاميذ . كذلك كان لصداقته مع مصور المناظر المسرحية (فيما بعد) رودلف كسبر نيهر R. C. Neher الذى أصبح فيما بعد من اكبر معاوني برشت في تصوير مناظر مسرحياته ، أثر كبير ، وقد بدأت هذه الصداقة في سنة ١٩١٣/ ١٩١٤ .

واخطر من هذا كله انه بدا يكتب في الصحافة . وكان أول ما نشر له في ١٩١٤/٨/١٧ في جريدة « آخر انباء اوجسبورج » ، وكانت كتاباته في ذلك الوقت وطنية بالغة الحماسة تمجد الجيش الالماني وتحثه على الانتصار لتكوين مجد المانيا . وهكذا كان برشت وطنيا غيورا وداعية الى المجد الالماني .

ولم تتغير هذه النزعة الا ابتداء من سنة ١٩١٦ . وقد ظهر ذلك في موضوع انشائي كتبه في المدرسة وكان عن هذه العبارة اللاتينية المشهورة :

Dulce et decorom est pro patria mori

(ما اجمل واعذب أن يموت المرء في سبيل الوطن) . ولكن الطالب كشف في موضوعه الذي كتبه ـ عن نزعته الى السلام وكراهيته للحرب ، فاتهمته ادارة المدرسة « بالانهزامية » وكاد يفصل منها .

انتقل برشت اذن الى منشن للدراسة في جامعتها ، فبدأ في الفصل الدراسي الشتوى ١٩١٧/١٩١٨ ، ولكنه ما لبث أن انقطع عن حضور المحاضرات ، لأنه في خريف سنة ١٩١٨ جند للعمل في مستشفى الاحتياطي في اوجسبورج ممرضا في قسم الأمراض الجنسية .

ولقد بالغ برشت كثيرا ـ فيما بعد ـ في أثر هذه التجربة في نفسه ، وادعى انها هي التي اوحت اليه بكراهية الحروب وبالنزعة الى السلام ، لانها كانت تجربة هينة لم تستمر طويلا . ومن المحتمل أن يكون قد انضم آنذاك الى الحزب الاشتراكي ـ الديمقراطي المستقل (راجع وصفنا للاوضاع السياسية في المانيا عند نهاية الحرب ، وذلك في مقدمتنا لمرحية : « طبول في الليل » . وقد أكد هو نفسه انه انتسب الى مجلس الجنود في اوجسبورج ، الذي لم يعش طويلا .)

واخفقت الثورة التي قام بها الاسبارتاكيون (راجع مقدمة : « طبول في الليل » على النحو الذي سنبينه تفصيلا) . واستأنف برشت دراسته في جامعة منشن ، بأن سجل نفسه أولا في كلية الآداب (قسم الأدب الألماني) ثم بعد ذلك التحق بكلية الطب من جديد . كذلك كان يحضر بعض محاضرات في العلوم الطبيعية وفي اللاهوت .

وكان في تلك الفترة متأثرا بجيورج بوشنر Bûchner وفيديكند Wedekind وخصوصا هذا الاخير ، وقد كان شاعرا وممثلا ومغنيا للبلادات Balladen ولما مات فيديكند في ربيع سنة ١٩١٨ كتب عنه برشت رثاء عميقا متحمسا في جريدة « آخر انباء اوجسبورج » .

وفي سنة ١٩١٩ نشر برشت أول مجموعة شعرية بعنوان : Klampfenfibel

ومن جو الهزيمة والجنود العائدين ، واليأس المخيم على المانيا بعد الهزيمة ، ومن روح الثورة الاجتماعية التي اضرم نارها اليهود والاسبارتاكيون ، استلهم برشت أولى مسرحياته : « بعل » كما ستعرف فيما بعد ، تحت تأثير مشاهدته

لمسرحية هانز يوست بعنوان « المتوحد » ، ثم خصوصا مسرحيته التالية ، « طبول فى الليل » ، التى تتبع من الاحداث الدامية التى جرت فى ألمانيا قبيل الهدنة وفى الشهور الثلاثة التى تلتها .

وتعرف الى الكاتب فويشتفانجر Feuchtwanger حوالى نهاية سنة ١٩١٨ وبداية سنة ١٩١٩ في منشن ، وسرعان ما تصادقا ، واستمرت صداقتهما حتى النهاية . وكانا يعملان أحيانا كثيرة معا ، وكلاهما يلهم الاخر . كذلك تعرف الى الممثلة بلاندين ابنجر Ebinger ، ومع المخرج اريش انجل Engel ، والشاعر الغنائى يوهانس ر . بشر Becher . وبهذا اندمج فى الجو الادبى الفنى آنذاك فى مدينة منشن غداة الحرب العالمية الأولى ، ولهذا انصرف عن دراسة الطب والدراسة الجامعية بعامة ، حتى ترك الجامعة نهائيا فى ٢٩ نوفمبر سنة ١٩٢١ دون أن يحصل على شهادة ، لا فى الادب ولا في الطب .

وتوفيت أمه فى أول مايو سنة ١٩٢٠ فبدأت روابطه مع أهله وبلده تنحل شيئا فشيئا . واستقر به المقام فى منشن .

ولكن لم يكد المقام يستقر به فيها حتى حاول الاتصال ببرلين ، فسافر اليها فى سنة ١٩٢٠ عدة مرات للاتصال بالناشرين . وفي بيت اوتو زارك Otto Zarek المحرر فى « جريدة برلين اليومية » Berliner Tageblatt عرف المؤلف المسرحى التعبيرى أرنولت برونن (أو برونر) فكانت علاقة وثيقة جعلت الأوساط الادبية تتحدث عنهما على أنهما « الأولاد الأشقياء » فى الادب الجديد. وكان ما يجمع بينهما هو ولع كليهما بالاستفزاز والتمرد على الأفكار البورجوازية . غير أن صداقتهما لم تستمر طويلا .

وقبل أوتو فالكنبرج تمثيل مسرحية « طبول فى الليل » . فعرضت لأول مرة في ١٩٢٢/٩/٢٩ فى مسرح Munchner Kammerspiel فى منشن . فنجحت نجاحا هائلا وأسست شهرة برشت ، حتى قال هربرت ايرنج Ihering : « ان الشاعر الذى فى الرابعة والعشرين برت برشت قد غير الوجه الشعرى لألمانيا بين عشية وضحاها » . ومنح برشت جائزة كلايست Kleist . ولكن الناقد الفرد كر Kerr (وهو الاسم المستعار لـ أ . كمپنر A. Kempner) حمل على برشت وشبّت بينهما خصومة عنيفة استمرت طوال عشرين سنة بعد ذلك .

وكان برشت يشتغل فى مسرحية ثالثةهى : « فى ادغال المدن » Im Dickicht der Staedte وقد استوحى فيها « صلاوة فى الجحيم » للشاعر الفرنسى الرمزى الشهير أرتير رانبو Rimbaud ، وفيها يصور حالة الاعتزال التام التى فيها يعيش سكان المدن ومثلت في مسرح الرزيد نتس Residenz المشهور حتى اليوم فى منشن وذلك فى مايو سنة ١٩٢٣ . كذلك مثلت مسرحية

« بعل » في ٨/١٢/٢٣ لاول مرة في « المسرح القديم » في ليبتسك ، فأثارت فضيحة وضجة عظيمة .

ونقل برشت مقره نهائيا الى برلين في خريف سنة ١٩٢٤ . وهنا تعرف الى الشخصيات الادبية والفنية المرموقة آنذاك في برلين : منهم جون هارتفيلد وفيلند هرتسفلده Hertzfelde وجيورج جروس Gross والشاعر كلابوند Klabund وزوجته الممثلة كارولا نيهر Carola Neher ، والملاكم المحترفباول سمسون - كيرنر Samson-Körner الذي بدأ برشت في كتابة ترجمة حياته ولكنه لم يواصلها بعد الفصل الثالث . كذلك عرف جيورج كايزر Kaiser والفرد ديبلن ، وهما مشهوران في سماء الادب الالماني . وأهم من هذا كله انه صار ، هو وكارل اسكماير ، من المؤلفين المسرحيين لمسرح ماكس راينهرت الشهير .

وطوال سنة ١٩٢٥ ظل يعمل في مسرحيته التي كان قد بدأها في منشن ، واعني بها الكوميديا « الانسان هو الانسان » Mann ist Mann ، التي مثلت لاول مرة في ٢٦/٩/١٩٢٦ في مسرح Landestheater في درمشتات ، وموضوعها هو دور الفرد في المجتمع الحديث ، وفيها يبين المؤلف ان اى فرد يمكن أن يستبدل به غيره !

وفي هذه الفترة تأثر كل التأثر بمذهب السلوكية Behaviourism في علم النفس الذى دعا اليه واطسون Watson ، والذى يقصر الدراسة النفسية على دراسة السلوك الانساني ، اى الافعال الانسانية . ورغم ذلك لا نجد لهذا المذهب اثرا واضحا في مسرحياته أو قصائده عن تلك الفترة .

على ان ثم شيئا خطيرا في التطور الايديولوجى لبرشت جرى آنذاك ، أولا ، وهو دراسته المتعمقة للماركسية ، التى بدأها على ابعد تقدير في سنة ١٩٢٦ . فحضر الدروس المسائية والمحاضرات في مدرسة العمال في برلين ، ودرس نظريات النقد والمضاربات والمناورات في البورصة . وفي هذا المجال كان اكبر من اثر عليه شخصين هما فرتس اشترنبرج Sternberg وكارل كورش Korsch ، وكانا ماركسيين متحمسين ، ولكنهما كانا معدودين من المبتدعة في نظر الشيوعيين . وتحت تأثير تلك المحاضرات والدروس وقراءاته الخاصة (التى بدأها فيما يبدو بكتاب « راس المال » لماركس) تطور فكر برشت في اتجاه الماركسية ببطء ولكن برسوخ حتى بلغ غايته بعد سنة ١٩٣٠ .

وابتداء من نهاية سنة ١٩٢٥ أخذ برشت ينشر مقالات نقدية عن وضع المسرح والدراما آنذاك . كذلك كتب مقالات عن شعراء وكتاب مشهورين سابقين ومعاصرين مثل : روبرت لويس استيفنسون ، وجورج برناردشو ، وتوماس مان ، والشاعر الغامض الكبير استيفن جيورجيه George أكبر الشعراء الالمان في القرن

العشرين ، وجورج كايزر، وغيرهم . وكان بعضها اطراء ،والبعض الآخر لاذعا ناقدا ، سما اثار عليه ثائرة البعض خصوصا مقاله الساخر عن استيفن جيورجه ، وقد لقى ردا عنيفا من رودلف بورشرت Borchardt .

كذلك اتصل برشت بارفن بسكاتور Erwin Piscator ومسرحه السياسى الذى كان بسكاتور مديره ، وقد جرب بسكاتور تجارب جديدة فى المسرح والافلام والاخراج ، وفى هذا المجال كان له تأثير كبير على برشت . وشعار « المسرح الملحمى » أو « الدراما الملحمية » انما يرجع الى بسكاتور ، أو هو على الاقل أول من جعله ينتشر ويشيع . وطبق أول ما طبق على مسرحية « الرايات » تأليف ألفونس باكيت Alfons Paquet سنة ١٩٢٤ . وساعد برشت على اعداد مسرحيات لمسرح بسكاتور . ومن هذه الأعمال وأهمها قيامه بمسرحة قصة ياروسلاف هاشك Jaroslav Haschek وعنوانها : «مغامرة الجندى الشجاع سفيك» ونص هذه المسرحة للقصة موجود فى أرشيف ــ برشت في برلين .

ولكن مكانة برشت بوصفه شاعرا لم ترسخ الا فى سنة ١٩٢٧حين أصدر ديوانه بعنوان Hauspostille ، وقد تحدثنا عنه فى كتابنا « فى الشعر الأوروبى المعاصر » (القاهرة سنة ١٩٦٥) فنحيل اليه . (١)

وفى نهاية سنة ١٩٢٧ طلق برشت زوجته الاولى ، وكان قبل ذلك قد تعرف الى الممثلة العظيمة هيلينه فيجل Helene Weigel ، التى ولدت في فينا فى ١٢ مايو سنة ١٩٠٠ ، واشتغلت بالتمثيل فى برلين من سنة ١٩٢٣ حتى سنة ١٩٢٦ أولا فى « مسرح الدولة » Staatstheater ، وبعد ذلك فى « المسرح الالمانى » الذى يديره ماكس راينهرت Max Reinhart . ومثلت أول دور لها فى مسرحيات برشت في العرض الأول لمسرحية « بعل » وبعد ذلك مثلت دور الأرملة بجبك Begbick فى مسرحية « الانسان هو الانسان » ، ومن بعد ذلك فى العروض الرئيسية فى برلين سنة ١٩٣١ . وقد تزوجها برشت في العاشر من شهر ابريل سنة ١٩٢٨ وولد لهما ولد هو استيفن (ولد في ١٩٢٩/١١/٣) وهو اليوم فيلسوف وكاتب حر فى نيويورك ، ثم بنت ، واسمها ماريا برباره (ولدت فى ١٩٣٠/١٠/٢٨) وهى اليوم ممثلة فى فرقة « البرلينر انسامبل » فى برلين . وقد لعبت هيلانه فيجل الادوار الرئيسية للنساء فى مسرحيات برشت ، ولا يمكن أن ينسى دورها الرائع فى تمثيل الأم شجاعة فى مسرحية « الأم شجاعة وأولادها » .

---

(١) خير دراسة حتى الان عن شعر برشت هى كتاب : Klaus Schuhmann Der Lyriker Bertolt Brecht. Berlin, Ruetten & Loening, Berlin, DDR, 1964. وقد ظهر فى طبعة موسعة ومنقحة فى ميونيخ سنة ١٩٧١ عند الناشر Deutscher Taschenbuch Verlag في ٤١٨ صفحة .

وهى بدورها اثرت كثيرا فى زوجها حتى قيل ان برشت تصور كثيرا من الادوار النسائية الكبرى في مسرحياته تحت تأثيرها ولتتناسب معها ، وكأنها كيفت من أجلها . وقد توفيت فى عام ١٩٧١ فى برلين .

وتعاون مع الموسيقى كورت فَيل (ولد سنة ١٩٠٠) لوضع موسيقى لمسرحياته. وأثمر هذا التعاون خصوصا فى « اوبرا القروش الثلاثة » التي عرضت فى « مسرح رصيف بناة السفن » فى برلين في ٣١ أغسطس سنة ١٩٢٨ ، كما ستعرف فى مقدمتنا لهذه المسرحية .

وتناول برشت فى سنة ١٩٢٩ موضوع « جيش الخلاص » فى مسرحية من مسرحياته الشهيرة وهى : « القديسة جان في المذابح » . وتناول موضوع تضحية الفرد فى سبيل مصلحة الجماعة فى مسرحيتين : « من يقول نعم » ، و« الاجراء » Die Massnahme وكتب موسيقى هذه الاخيرة هانز ايسلر Eisler تلميذ ارنولد شينبرج ، وكان ذلك أول تعاون بين برشت وبينه . ومسرحية « الاجراء » تصوّر الانشقاق الرهيب بين المساعدة المباشرة للقريب ، والمساعدة النهائية للجميع ، مما يخفق فيه مهيج شيوعى شاب .

وفى هذه المسرحية يقر برشت لأول مرة علنا بايمانه بالنظرية الشيوعية ايمانا مطلقا . وقد شاع بين الناس ايضا ان برشت قد انضم الى الحزب الشيوعى عضوا رسميا فى هذا العام ، عام ١٩٢٩ . ولكن يظهر أن هذا الخبر غير صحيح . وبرشت في أثناء التحقيق معه فى واشنطن فى سنة ١٩٤٧ فى مسألة نشاطه الشيوعى أنكر انكارا تاما وبكل قوة أنه كان ذات يوم عضوا فى الحزب الشيوعى فى اى مكان !

وفى سنة ١٩٣٠ كتب مسرحية تعليمية أخرى هى « الاستثناء والقاعدة » ، وفيها يبين كيف أنه فى المجتمع ، العمل الشرير هو القاعدة ، وانه لو وجد عمل صالح في المجتمع فمن الضرورى ان يسيء الناس فهمه . ولكن هذه المسرحية لم تنشر آنذاك ، بل نشرت لأول مرة فى سنة ١٩٣٧ .

على ان مسرحية « القديسة جان فى المذابح » ،وان أتمّها برشت فى سنة ١٩٣٠ فانها لم تعرض آنذاك على المسرح ، ولم تعرض لأول مرة الا بعد ذلك بثلاثين سنة فى ١٩٥٩/٤/٣٠ . في هامبورج ، اى بعد وفاة برشت بحوالى ثلاث سنوات . وذلك ان الدولة منعت عرضها ، وكان المقصود بها ان تعرض فى « اللاندس تياتر » فى درمشتات . ومنعت الشرطة فى يناير سنة ١٩٣٣ تمثيل مسرحية « الاجراء » .

ثم جاء هتلر الى منصب المستشار للريس الألمانى فى ٣٠ يناير سنة ١٩٣٣ فكان ذلك ايذانا لبرشت بأن الدنيا ستكون غير الدنيا ، وأن عليه أن يمسك بعصا التشريد والنفى.وكان حريق « الريشتاج » (مجلس النواب) الألمانى فى ٢٧ فبراير سنة ١٩٣٣ آخر نذير لبرشت . فترك ألمانيا فى اليوم التالى هو وزوجته . ولحق بهماولداهما بعد ذلك بقليل .

لقد أدرك برشت انه صار مهددا في عمله ، ان لم يكن في حياته . فقد كان يعلم أن اسمه كان على قائمة المطلوب سجنهم لما قام الانقلاب الفاشل في سنة ۱۹۲۳ واشترك فيه هتلر ، وكان من البارزين بين المطلوب القبض عليهم غداة نجاح الانقلاب .

ولما أفلت هكذا من المانيا قبل أن تقع له الواقعة ، اتجه القوم الى مؤلفاته فأحرقت كلها في ۱۰ مايو سنة ۱۹۳۳ في الساحة القائمة امام أوبرا برلين ، وبعد ذلك بخمس سنوات تكرر هذا التنديد بها . وفي ۸ يونيو سنة ۱۹۳٥ سحبت من برشت الجنسية الالمانية . ويظهر أن النازية اخذت عليه منذ البداية تحقيره للجيش الالماني في قطعته التي بعنوان « أسطورة الجندي القتيل » وقد كتبها في مطلع شبابه حوالي سنة ۱۹۲۰ .

ترك برشت المانيا اذن هو وهيلانة ڤيجل ، وتوجه أولا الى پراج ، ثم مرَّ بفيننا في طريقه الى زيورخ في سويسرة ، وكان فيها في ذلك الوقت جماعة من المهاجرين الالمان ، على راسهم : هينرش مان وآنَّا سيجرس ، وفلتر بنيامين وليونهرد فرانك .

وكانت المرحلة الثانية في حياة المنفى هي اقامته في جزيرة تورو Thuro في الدانيمرك ، وكانت قد دعتهما الى هناك الكاتبة كارين ميكائيلس Michaelis صديقة هيلانة ڤيجل ، فوصل الى هناك في نهاية يونيو أو أوائل يوليو سنة ۱۹۳۳ . وفي باريس ، في سنة ۱۹۳٤ طبع - بالالمانية - ديوان شعره الثاني بعنوان « اغان ، وقصائد وكورسات » (مع الحان هانز ايسلر) . كما نشر في امستردام « قصة القروش الثلاثة » في سنة ۱۹۳٤ وفيها استخدام موسع جديد للمادة التي قدمها جون جيى John Gay في « أوبرا الشحاذ » .

وهنا في الدانيمرك عاش عيشة العزلة متفرغا لعمله . فألف مسرحية « الرؤوس المستديرة والرؤوس المدببة » التي مثلت لاول مرة في كوبنهاجن في ۱۹۳٦/۱۱/٤ ، ثم عرضها مسرحيا بعنوان : «الخوف والبؤس في الريش الثالث» . وكلتا القطعتين هجوم مباشر على النازية . والواقع أن برشت اضطر أن يتخذ موقف المحارب للنازية علنا كلما استطاع الى ذلك سبيلا : في مؤتمرات الكُتَّاب الدولية وفي مسرحياته في تلك الفترة ، ومقالاته ، وكان في تلك الاثناء أيضا يقوم بالرحلات الى باريس ولندن (ابريل / مايو سنة ۱۹۳٥) . وهنا في موسكو التقى بعالم المسرح الصيني ، وفيه وجد تحقيقا لما كان يهدف اليه من « المسرح الملحمي » .

وفي سنة ۱۹۳۸ بدأت دار النشر Malik- Verlag نشر مجموع مؤلفات برشت بعنوان Gesammelte Werke في اربعة مجلدات . لكن لم يظهر منها غير المجلدين الاولين فقط .

وبدات نذر الحرب العالمية الثانية تلمع فى الافق . فسافر الى السويد فى ١٩٣٩/٤/٢٣ . ومات أبوه فى ٢٠ مايو سنة ١٩٣٩ .

ولكن انتاجه في سنتي ١٩٣٨ ، ١٩٣٩ ، كان غزيرا وممتازا ، فلقد بدا يضع التحرير الاول لمسرحية « حياة جاليليو » ، في سنة ١٩٣٨ . وفى سنة ١٩٣٩ بدأ في كتابة مسرحيتي « الأم شجاعة واولادها » و « محاكمة لوكلّوس » وأتمهما فى نفس العام ، عام ١٩٣٩ . وقد مثلت « الأم شجاعة » لأول مرة في ١٩ ابريل سنة ١٩٤١ في مسرح زيورخ . كما بدأ فى سنة ١٩٢٨ مسرحية «الانسان الطيب في ستسوان» ، واتمها في سنة ١٩٤١ ، في فنلندة ، وهنا فى فنلندة ايضا ، وكان قد وصل اليها شريدا طريدا في ١٧ ابريل سنة ١٩٤٠ ، كتب مسرحية «السيد بُنتلا وخادمه ماتي» . واضطر الى مغادرة فنلنده في ١٥ مايو سنة ١٩٤١ . وسافر الى موسكو . ولم يقم فيها ، بل اخترق سيبريا ، وفي ١٣ يونيو سنة ١٩٤١ سافر على باخرة شحن سويدية من الساحل الشرقي لآسيا متجها الى امريكا ، وبعد رحلة فى المحيط الهادى دامت عدة اسابيع وصل الى ساحل كاليفورنيا عند ميناء سان بدرو فى ٢١ يوليو . فلجأ الى ضاحية من ضواحى لوس انجلس هى ضاحية سانتا مونيكا وأقام فيها مع اسرته . وهنا اقام اكثر من ست سنوات .

وفى كاليفورنيا لقى برشت صديقه القديم ومعاونه في الانتاج ليون فويشتفنجر Lion Feuchtwanger وفي خلال هذه السنوات الست اشتغل برشت فى كتابة مخططات أفلام من اجل السينما فى هوليود ، وساعده في ذلك لانج ، وديترلى وكوتنر ، وبوزنر ، لكن لم ينفذ منها غير مخطط فلم واحد هو : « حتى جلادو المشانق يموتون » Hangmen also die ، وموضوعه هو مقتل هيدركس فى تشيكوسلوفاكيا ومقاومة الشعب التشيكوسلوفاكى ضد الغاصب .

وفى تلك الاثناء عرض مسرح زيورخ لأول مرة مسرحيتين لبرشت : في ٤ فبراير سنة ١٩٤٣ عرض مسرحية « الانسان الطيب » ، وفى ٩ سبتمبر سنة ١٩٤٣ مسرحية « حياة جالليو » .

وغادر برشت الولايات المتحدة الامريكية فى سنة ١٩٤٧ . واختلف الراى فى أسباب تركه لتلك البلاد . والرأى الشائع هو أن الذى دفعه الى ذلك استدعاؤه امام « لجنة النشاطات المضادة لامريكا» Committee on Un-American Activities ومقرها في واشنطن — وكان من بين أعضائها رتشرد نيكسون ، الرئيس السابق للولايات المتحدة ! وذلك للتحقيق معه فى صحة ما ينسب اليه من ميول شيوعية . وقد أعلن امام اللجنة انه لم يكن في يوم من الأيام عضوا فى أى حزب شيوعى ، وتبرأ من الانتساب الى الماركسية . وقد نشرت أقواله كما سجلت فى التحقيق امام هذه اللجنة ، وسبق أن عرضنا نص معظمها (في مقدمة كتابنا : « مسرحيات برشت » الجزء الأول ، التصدير ، القاهرة سنة ١٩٦٥) . ولهذا برأته اللجنة من تهمة الشيوعية ! ولكنه فى اليوم التالى ركب الطائرة الى أوربا !

وكان هدفه الأول أن يذهب الى سويسره ، فوصل اليها ف ١٩٤٧/١١/٥ ، واقام في قرية هرليبرج Herrliberg بالقرب من زيورخ ، وهنا التقى بكسبر نيهر مصور الديكور المسرحى وصديقه القديم ، وبيتر سوركمب Peter Suhrkamp ناشره المعتمد حتى الآن (١)

وغادر سويسره الى تشيكوسلوفاكيا ومنها الى برلين فوصلها ف ١٩٤٨/١٠/٢٢ فأقام بقية حياته فيها . وكان أول أعماله اخراج مسرحيته الكبرى « الام شجاعة » ، فعرضت فى ١١ يناير سنة ١٩٤٩ ، ومثلت فيها هيلانة فيجل دور الأم شجاعة فأبدعت فيه ايما ابداع ، وذلك فى « المسرح الالمانى » ببرلين الشرقية . ومن هذا العرض نشأت فرقة « البرلينر انسامبل » Berliner Ensemble ، التى تم تأسيسها رسميا فى سبتمبر سنة ١٩٤٩ ، وتولت رآستها زوجته هيلانة فيجل ، بينما اكتفى برشت بمركز « عضو في اللجنة الاستشارية للمسرح » . وظلت هذه الفرقة مدة طويلة ضيفة على « المسرح الالمانى » ، الى أن اتخذت مقرا لها « مسرح رصيف بناة السفن » ذا التقاليد الفنية العريقة . ومن سنة ١٩٤٩ تركز تمثيلها على روايات برشت .

وقامت حكومة المانيا الشرقية بتهيئة كل أسباب النجاح والتشجيع لهذه الفرقة ولمسرح برشت . وحظى برشت بكثير من الوان التكريم : ففى سنة ١٩٥٠ عين عضوا فى اكاديمية الفنون ، وفى سنة ١٩٥٣ اختير رئيسا لمركز البن Pen (جمعية دولية للادب : للشعراء ، ومؤلفى المسرحيات ، والناشرين ، وكتاب المقالات وكتاب القصص — والحروف الثلاثةهى الحروف الاولى لهذه الكلمات بالانجليزية). وفى ١٩٥١/١٠/٧ منحته الدولة فى المانيا الشرقية الجائزة القومية من الطبقة الاولى ، وفي ١٩٥٤/١٢/٢١ حصل على جائزة استالين الدولية للسلام ، ولهذه المناسبة سافر الى موسكو فى مايو سنة ١٩٥٥ .

وفى وسط هذه الالوان من التكريم فاجأه الموت فى ١٤ اغسطس سنة ١٩٥٦ نتيجة نزيف فى عضلة القلب ، ودفن في مقبرة دوروتيا بالقرب من قبر فشته وهيجل .

---

(١) اعتمدنا في هذه الترجمة لمسرحيات برشت على طبعة سوركمب فى ثمانى مجلدات فرنكفورت — برلين Suhrkamp Verlag

فن المسرح عند برشت

أراد برشت أن يكون ثائرا على كل ما تواضع الناس عليه من أصول المسرح منذ قعد قواعده أرسطو طاليس فى كتابه « فن الشعر » (١) ونماها النقاد والفلاسفة الجماليون فى مختلف العصور حتى سنة ١٩٢٠ :

١ ـ ففي مقابل المسرح التقليدى أنشأ مادعاه باسم الملحمي episch ، وقد سماه بهذا الاسم لانه أراد من المسرح ان يكون كماكان يروى فى بلاط الامراء اليونانيين والأمراء الجرمانيين وكأنه ملحمة يستمع اليها المستمع في تجرد بعيد عن الانفعال واع بأن ما يمثل أمامه هو مسرح وليس واقعا حقيقيا . وبرشت يطلب الى المشاهد ألا « يندمج » فى دور الممثل ، كما يطلب الى الممثل ألا « يندمج » فى الشخصية التي يمثلها ، وهذا تماما عكس ما كان يجرى عليه الأمر من قبل : من الحكم على براعة الممثل بالقدر الذى به « يندمج » فى الشخصية التي يمثلها،ومن الحكم على المستمع المشاهد بقدر ما ينسى نفسه ويستشعر أنهأمام واقع حي يحياه كأنه أمر مشاهد فى الطبيعة . ان برشت يريد من الممثل أن يكون بينه وبين الشخصية « مسافة » ، ويريد من المشاهد أن يكون بينه وبين ما يمثل « مسافة » .

٢ ـ وهذه « المسافة » هي ما نعته برشت بنعت « تأثير الاغراب »

Verfremdungseffekt (ويختصر عادة الى V-Effekt) ، ويقصد بهذا أن يكون الممثل « غريبا » (او بعيدا ، او على مبعدة ، او على مسافة) من الشخصية ، وان يكون المشاهد هو الآخر « غريبا » (او على مبعدة) من المسرحية . وفائدة هذا « الاغراب » أو الكون على مبعدة هي أن يقف كلاهما موقفانقديا موضوعيا من المسرحية

وعلينا الآن أن نفصل هذين المعنيين :

١ ـ المسرح الملحمي

وربما يكون من الخير ، من أجل فهم خصائص المسرح الملحمي فى مقابل المسرح الدرامي ، أن نقدم هذا الجدول الشهير الذى وضعه برتولت برشت لمسرحية « مهاجوني » Mahagonny وهي الأوبرا التي مثلت للمرة الاولى في سنة ١٩٣٠ .

---

(١) انظر ترجمتنا له فى كتابنا « ارسطو طاليس : فن الشعر » . القاهرة ، سنة ١٩٥٣ .

الشكل الدرامي للمسرح	الشكل الملحمي للمسرح
المنظر « يجسد » الفعل ، ويشرك الجمهور فى هـذا الفعـل ، ويستهلك نشاطه .	يروى الفعل ، ويجعل الجمهور مشاهدا ، لكنه يوقظ نشاطه ،
الشكل الدرامي يزود الجمهور بتجارب	الشكل الملحمي يزود الجمهور بالمعلومات .
يجعله قابلا للعواطف .	يلزمه باتخاذ قرارات .
المتفرج يجد نفسه فى وسط الفعل .	المشاهد يشعر بأنه فى مقابل الفعل .

المسرح يؤثر بالايحاء	المسرح يؤثر بالحجج
المشاعر يحافظ عليها	المشاعر تدفع الى الفهم ....
يفترض في الانسان انه معروف	الانسان موضوع دراسة
الانسان ثابت	الانسان متغير وقابل للتغيير
الاستطلاع يتعلق بالحل	الاستطلاع يتعلق بالتطور والنمو
كل منظر متوقف على الآخر	كل منظر مستقل بنفسه وقائم برأسه
الاحداث تجرى على هيئة خط مستقيم	الأحداث تجرى على هيئة منحنيات
الطبيعة لا تقوم بطفرات	الطبيعة تقوم بطفرات
العالم كما هو	العالم كما يصير
ما يجب على الانسان ان يفعله	ما لا بد للانسان أن يفعله
غرائزه	دواعيه ودوافعه
الفكر يحدد الوجود	الوجود الاجتماعي يحدد الفكر

ومن هذا الجدول يتبين :

ا ـ أن المسرح الملحمي يدعو الى الفعل ، ويزود بالمعارف ، مستعينا بالحجج ، محللا العواطف الى معان عقلية .

ب ـ أنه يدرس الانسان فى أحواله ، ويجد أنه رهين بهذه الاحوال ، فيتغير اذا ما تغيرت ، وبعبارة أخرى يفترض أن الانسان ليس طبعا ثابتا ، بل هو كائن قابل للتغيير اذا ما غيرت ظروفه الاجتماعية أو البيئة . وواضح ما فى هذا من تأثر بمبدأ ماركس المشهور ، وهو أن المطلوب ليس فهم الانسان ، بل تغييره . وعلى هذا سنجد فى المسرحيات الملحمية أن أحوال البطل وتصرفاته تتغير بتغير ظروفه الاجتماعية وأحواله المعاشية وملابسات البيئة ، بينما نجده فى المسرحيات الدرامية ثابت الطباع ، وعن هذه الطباع الراسخة يصدر كل ما يبدر منه من أفعال وتصرفات . ولا تفسير لهذه الا بذلك الطبع الثابت . وهذه نقطة بالغة الأهمية في مسرح برشت .

ج ـ وعن هذه الخاصية تستنبط الخاصية الثالثة ، وهي أن الاحداث ترسم خطا مستقيما في المسرحية الدرامية ، لان طبائع الشخصيات ثابتة ، بينما هذه الاحداث فى المسرحية الملحمية ترسم خطوطا منحنية تتعرج وتدور وتنكسر وفقا للظروف الاجتماعية التي يحيا فيها الأشخاص .

د ـ وكذلك تستنبط الخاصة الرابعة وهي أن المناظر ، لانعدام الاتصال الثابت يقوم كل واحد منها برأسه ، وليس مجرد حلقة في سلسلة كما هي الحال في المسرح الدرامي . اذ أن كل منظر يعبر عن حالة برأسها وجدت فيها الشخصية وفقا لاحداثيات اجتماعية ترتبط بها . ان الطبيعة في المسرح الدرامي لا تقوم بطفرات ، لان ثم منطقا باطنا نابعا من طباع الشخصية ، أما في المسرح الملحمي فلا طبع ثابت ، وبالتالي ولا منطق باطن ، بل ثم انتقالات مفاجئة ، اعنى طفرات .

هـ ـ ولما كان الوضع الاجتماعي (الاقتصادي خصوصا) هو الحاسم في احداث التغيرات ، فان هذا الوضع الاجتماعي هو الذى يحدد الوجود ، ويحدد الفكر ، وعلى العكس في المسرح الدرامى نجد الفكر هو الذى يحدد الوجود ، لان الفكر ـ في نظره ـ هو الذى يغير الواقع الاجتماعى . وفي هذه الخاصية نرى التعارض المشهور بين دور الفكر عند هيجل (ويتمثل هنا في المسرح الدرامى) ، وبين دور الفكر عند ماركس (وهو الذى يمثله هنا المسرح الملحمى أو مسرح برشت) .

وهذا الفكر ، في المسرح الملحمى ، فكر « علمى » ، بالمعنى المفهوم في الماركسية حين تتحدث عن الفكر العلمى والاشتراكية العلمية . ومن هنا كانت الاشخاص تصدر في افعالها عن دوافع ، اى أسباب موضوعية ، لا عن غرائز كما هى الحال في اشخاص المسرح الدرامى .

و ـ وبسبب هذه الطفرات وذلك الاستقلال للمناظر كثيرا ما نجد مسرحيات برشت مؤلفة لا من فصول actes ومناظر scenes كما في المسرح التقليدى أو غير البرشتى ، بل من لوحات Tafeln, tableaux : فمسرحية « ماها جونى » تتألف من عشرين لوحة .

ز ـ كذلك يقوم بدور الفصل بين الفصول والمناظر بعضها وبعض : الاغانى : ولها دور هائل في مسرحيات برشت ، يقرب بعض القرب من دور الكورس في المسرحيات اليونانية ، ولكنه يزيد عنه كثيرا .

ح ـ وهنا نجد برشت يثور ضد مذهب فاجنر في دور الموسيقى في الاوبرا والمسرحيات . ذلك ان فاجنر كان يهدف من وراء الموسيقى في الاوبرا والمسرحيات الى أن تكون عاملا فعالا في احداث « السحر » الذى يريد أن يلفت فيه المشاهد وينومه تنويما مغناطيسيا . وقد وضع برشت جدولا موجزا في نفس المقدمة التى أضافها الى مسرحية او أوبرا « ماهاجونى » Mahagonny بين فيه الفوارق بين مذهب فاجنر وبين أسلوب الاوبرا الملحمية . وهاك هو

في مذهب فاجنر	في الاوبرا الملحمية :
الموسيقى تنعش	الموسيقى تبلغ
الموسيقى تبرز ملامح النص	الموسيقى تفسر النص

وكلهم من الاشتراكيين : فمن الاشتراكيين أصحاب الأغلبية كان ابرت Ebert وشيدمان Scheidemann ، ومن المستقلين كان هازه Haase الذى اغتيل بعد ذلك ببضعةاشهر .ولم يدخل الحكومة الثورية الجديدةكارل ليبكنشت Karl-Liebknecht زعيم الحركة السرية التى اطلقت على نفسها اسم « جماعة اسبارتاكوس » (١) Spartakusbund فى سنة ١٩١٦ واخذت تبث الدعاية لوقف الحرب . وقد أعلن مندوبو الشعب هؤلاء حق التصويت للألمان من الرجال والنساء الذين يتجاوزون العشرين ، وأن مدة العمل اليومى هي ثمانى ساعات ، وأعلنوا اشتراكيةالصناعات، وتشكيل مجالس عمال تشارك فى ادارة الاعمال والمصانع .

غير أن حالة من الفوضى الشاملة قد عمت أرجاء المانيا : فاندلعت الثورات وانهارت النظم ، ولم يتعد سلطان حكومة برلين برلين نفسها . وصارت المانيا ، على حد تعبير شيدمان نفسه ، مجرد « مستشفى مجانين » . وفي شرق المانيا وقعت المصادمات مع البولنديين ، وفى بوزنان وبروسيا الشرقية ثار البولنديون ضد السيطرة الالمانية ، ومنذ نهاية شهر ديسمبر سنة ١٩١٨ اعلن ضم هذه المناطق الشاسعة الي جمهورية بولندة . وفى الغرب والجنوب ثار الناس على « سيطرة برلين » ، وصاحوا : « لنتحرر من برلين » ! Los von Berlin وظهرت حركات انفصالية فى مناطق الرين والالب .

وفى الغرب من المانيا عادت فلول الجيوش الالمانية من فرنسا وبلجيكا ، ولكنها بدات في التمزق : فراح الجنود يتركون فرقهم دون انتظار أوامر التسريح الرسمى . وتشكلت فى كل مكان « مجالس جنود » الى جانب « مجالس العمال » واستولوا على السلطات والمسئوليات . وفى برلين تشكلت « اللجنة التنفيذية للمجالس » وادعت أنها الحاكمة فى كل المانيا ، وتدخلت فى شئون الحكم دون أن يحسب اى حساب للحكومة في برلين . ودب الشقاق بين المجموعات الاشتراكية.

هنالك تحركت حكومة ابرت لتخمد هذا الاضطراب الشامل . فتفاهم ابرت Ebert سرا مع الجنرال جرينر Groener الذى خلف الجنرال لودندورفت ، بقصد القضاء على الحركة الثورية . وفى هذا السبيل راى دعوة الجمعية التأسيسية الوطنية لتحل محل مجالس العمال والجنود . واستعان فى هذا ايضا

---

(١) اسبارتاكوس Spartacus : زعيم الأرقاء الثائرين في ايطاليا . وقد جمع حوله فى سنة ٧٣ قبل الميلاد جماعة من المصارعين من كابوا ، وانضم اليه جيش حقيقى من العبيد المتمردين . واصله من تراقيا ، وقد ولد حراً ، لكنه صار عبداً نتيجة لفراره من الفرقة التى كان يخدم فيها . وقد احتاج امر اخماد هذه الثورة الى عدة سنوات . ولم تخمد الا بعد معارك طاحنة خاضتها الجيوش الرومانية بقيادة كراسوس ، وانتصرت نهائيا على هذه الثورة فى سنة ٧١ قبل الميلاد فى معركة قتل فيها اسبارتاكوس .

بالنقابات ، وكانت تضم الملايين من العمال . وهذه النقابات انضمت الى موقف المعتدلين ضد الثوريين المتطرفين ، وبدلا من الدعوة الى « صراع الطبقات » نادت بـ « المشاركة فى العمل » ، بالتعاون بين الاجراء ورأس المال . ومنذ ١٥ نوفمبر نشأ تنظيم هائل ، اجتمع فيه ممثلو النقابات العمالية وأصحاب الاعمال ، وقد قصد منه الى استمرار النشاط الاقتصادى العادى .

لكن « جماعة اسبارتاكوس » بزعامة ليبكنشت ، وروزا لكسمبورج ، هذه المهيجة المثيرة للفتن ، عارضوا فى دعوة جمعية تأسيسية من شأنها ان تاتى بنظام بورجوازى معاد للثورة الاجتماعية . وطالبوا بالدكتاتورية الكاملة لطبقة الاجراء (البروليتاريا) وتشييد نظام من « مجالس العمال » على غرار نظام السوفييتات .

وأفلحت الاشتراكية الديمقراطية (أو الديمقراطية الاشتراكية) فى دعوتها الى انتخاب جمعية وطنية ، واجتمعت هذه في ١٩ يناير سنة ١٩١٩ . لكن كان الدم قد بدأ قبل ذلك يسيل بغزارة . ففى ٦ ديسمبر سنة ١٩١٨ قامت معركة فى برلين قتل فيها ستة عشر . وفى ٢٣ و ٢٤ ديسمبر سنة ١٩١٨ وقع الصدام بين الجيش الرسمى وبين البحارة الثائرين . غير أن الاشتراكيين المستقلين فزعوا من العنف الذى لجأت اليه الحكومة ، فانسحبوا من « مجلس مندوبى الشعب » ولم يبق فيه غير الاشتراكيين الديمقراطيين ، وعلى رأسهم نوسكه Noske وكان فى الأصل نجارا ــ الذى صار حاكما لبرلين . وقام نوسكه هذا باثارة حمية البقية الباقية من الجيش الألمانى القديم من أجل القضاء على حركة الاسبارتاكيين.

ثم كان « الاسبوع الاحمر » فى برلين من ٦ الى ١١ يناير سنة ١٩١٩ . وفيه انطلقت كل القوى الثورية المتطرفة وعلى رأسها الاسبارتاكيون والمستقلون الذين احتلوا مقار الصحف الكبرى (حى الصحافة كما يسمى في مسرحية برشت هذه). لكن تولت الحكومة بمعونة الجيش القضاء على هؤلاء الثوريين المتطرفين ، فسقط منهم المئات العديدة فى معارك فى الشوارع . ثم كان اغتيال ليبكنشت وصاحبته روزا لكسمبورج بعد ذلك ببضعة أيام هو النهاية لهذه الحركة الثورية . وهكذا وبعد شهور قليلة انزاح نهائيا خطر الشيوعية ، بعد أن كان لينين ، وقد انتصر فى ثورة اكتوبر سنة ١٩١٧ فى روسيا ، يمنى نفسه أوسع الأمانى من انتصار الشيوعية في ألمانيا ومن ثم يمتد بها الى سائر أوروبا(١)

---

(١) لمزيد من الاطلاع راجع عن هذه الفترة :

(a) M. Baumone et Marcel Berthelot : L'Allemagne. Lendemains de guerre et de révolution, Paris, 1922 ;

(b) Albert Rivaud : Le relévement de l'Allemagne 1918-1938 ; Paris, 1938.

(c) Hohfeld : Geschichte des deutschen Reiches, 1871-1926 ; Leipzig, 1926.

(d) M. Baumont : La Faillite de la paix, 1918-1939. Coll. Peuples et civilisations. PUF, 1951, Paris.

— ٢ —

وهذه الاحداث كلها تفترضها هذه المسرحية التى تصور جنديا عائدا من الحرب بعد أن انقطعت أخباره طوال أربع سنوات عن خطيبته « أنا » ، فيئست هى الأخرى ، وانعقدت أواصر العلاقة بينها وبين فتى يدعى فريدرش مورك ، كان عاملا ، واستطاع الاستفادة من ظروف الحرب حتى كون ثروة كبيرة . وعلى الرغم من أن « أنا » Anna لم تكن تحمل له أى حب ، فقد تطورت العلاقة بينهما الى حد أنها أثمرت جنينا في أحشائها . وكان لابد من عقد الزواج . وتم الاتفاق على عقد الخطبة فى مساء يوم به تبدأ المسرحية . لكنه فى نفس الليلة ذاتها عاد اندرياس كراجلر ، الجندى الحبيب المفقود منذ أربع سنوات ، وحضر الى بيتها . وعلم أنها ستعقد خطبتها بعد قليل فى باربيكادلى ، فراح الى هناك . وهناك شاهدته أنا ، ودارت مناقشات حامية بين كراجلر وبينها وبين الخطيب الجديد مورك . وعلى الرغم من أن « أنا » مالت الى حبيبها القديم ، فقد رأت أن ثم ما يحول بينهما ، هو هذا الجنين الذى تحمله في بطنها من ذلك الشخص الآخر ، مورك . فيسقط في يد كراجلر ، ويهيم على وجهه . وفى تلك الليلة ، ولابد أن ذلك كان فى « الأسبوع الأحمر » (٦ — ١١ يناير سنة ١٩١٩) ، كان الاسبارتاكيون يحتلون حى الصحافة . فلم يجد كراجلر مخرجا ، وهو اليائس البائس ، الا أن ينضم الى الثوار — فى أى صف ، لايخبرنا المؤلف . و « أنا » من ناحيتها لم تشأ الاستمرار في خطبة لا يهفو قلبها اليها ، فراحت تبحث عن كراجلر ، ويلتقيان أخيرا ، فيصرفه هذا اللقاء عن الاقبال على مغامرته الثورية ، لأنه لا يريد أن يكون مرة أخرى العوبة فى أيدى الآخرين ، وكفاه تجربته الأولى ألعوبة فى أيدى مثيرى الحروب « لقد جاء الآن دور السرير ، السرير الواسع الكبير الناصع البياض » كما قال داعيا « أنّا » الى الذهاب معه للعيش بسلام ، والمحافظة على سلسلة نسبة .

— ٣ —

والمسرحية اذن سياسية تتعلق بأحداث جارية ساخنة ، وقد الفها فى أوجسبورج مسقط رأسه ، فى سنة ١٩١٩ ، وهو في الحاديه والعشرين . ومثلت لأول مرة فى منشن ، فى ٢٩ فبراير سنة ١٩٢٢ ، باخراج فالكنبرج O. Falkenberg ومثل أ . فابر E. Faber دور كراجلر .

وكان يريد أن يكون عنوانها « اسبارتاكوس » ، ولكنه عدل عن ذلك . والعنوان الجديد « طبول فى الليل » يدين به برشت لصديقه ليون فويشتفانجر Lion Feuchtwanger القصصي والمؤلف المسرحي الذى كان يكبره بأربع عشرة سنة ، وكان برشت قد تعرف اليه فى نهاية سنة ١٩١٨ وبداية سنة ١٩١٩ في منشن ، فتصادقا صداقة استمرت حتى النهاية ، وكثيرا ما كانا يعملان معا ، ويلهم كل منهما الآخر أو يستلهمه .

ولما أراد برشت أن ينقح المسرحية من أجل طبعتها النهائية بعد ظهورها بأربع وثلاثين سنة ، كتب يقول :

« مسرحية طبول فى الليل هي من بين مسرحياتي الأولى أشدها التباسا . فالتمرد ضد اصطلاح أدبي ملموم قد أدى ، فى هذه الحالة ، الى ادانة حركة اجتماعية كبيرة . لقد كان من شأن التسيير العادى ، أى الاصطلاحي ، للحكاية ، ان يجعل الجندى العائد من الحرب ، والذى انضم الى الثورة ، لأن حبيبته خطبت الى شخص آخر ، اما ان يسترد حبيبته أو يتخلى عنها نهائيا ، وفي كلتا الحالتين يستمر منخرطا فى الثورة . وفى مسرحية **طبول الليل ، رغم ذلك** ، يسترد الجندى كراجلر حبيبته ، رغم أنه أهين ، ويدير ظهره للثورة ويتخلى عنها . ويبدو هذا أخسّ الأوضاع الممكنة ، خصوصا وانه يمكن ان يستدل منه على أن هوى مؤلف المسرحية هو مع هذا الحل .

« وهأنذا أرى اليوم ، أن روح المناقضة عندى قد أفضت بي الى حدود اللامعقول ، واني لاكبت الرغبة فى أن أنعت هذه الروح بأنها الشباب ، لاني آمل ان تكون لاتزال لدىّ حتى اليوم دون نقص .

« والتصورات الدرامية فى ذلك العهد ، بدعواتها المريضة « للانسان » ، وحلولها المصطنعة غير الواقعية ، كانت كريهة الى نفس طالب البيولوجيا الذى كنته آنذاك . وكانوا يبتكرون من الهواء مجموعة من الناس « الطيبين » غير المحتمل وجودهم ، ولا أثر لهم على كل حال ، لانها كانت تزعم ، بنوع من الادانة الاخلاقية، أنها قادرة على القضاء نهائيا على الحروب ، والحروب في الواقع ظواهر معقدة مغروزة بعمق فى النظام الاجتماعى .

« ولم تكن لدى عن الثورة الروسية غير معلومات غامضة جدا ... ويبدو أن معلوماتى لم تكن كافية كى تمكننى من فهم أهمية الثورة البروليتارية التى وقعت فى شتاء سنة ١٩١٨ — سنة ١٩١٩ (فى المانيا) : وانما كنت أرى فقط أن مشاركة فتاى « البطل » فى هذه الثورة لم يكن بالامر الجاد . والذين بدأوا الصراع كانوا من الاجراء (البروليتاريا) ، وهو استفاد منها . وهم ، من أجل الثورة ، لم يحتاجوا الى فقد اى شيء ، وهو كان يمكن تعويضه . وكانوا مستعدين لحل مشكلته بواسطة مشاكلهم ، ولكنه تخلى عن قضيتهم ... كل هذا كنت قد أدركته آنذاك ، لكنى لم أفلح في ابراز الثورة للمشاهد الا بعيون « بطلى » كراجلر ، ثم ان الثورة كانت مغامرة رومنتيكية ...

« ولم يكن من حقى (وأنا أعيد النظر فى المسرحية) أن أمس بالتغيير شخصية كراجلر ، الذى يجسد البورجوازى الصغير . وكان لابد أيضا من الاحتفاظ بالاطراد النسبى الذى ظفر به موقفه ... غير أنى قويت الجانب المعارض ، بأن أضفت الى صاحب الحانة جلوب ابن أخ ، كان عاملا شابا ثوريا سقط صريعا فى اثناء أيام نوفمبر . وهذا الشخص ، وان كان باهت الشخصية هنا ، هو بمثابة مقابل موازن للجندى كراجلر .

« وارجو ان يتمكن القارىء أو المشاهد من أن يحوّل الى كراهية ماأستشعره من عطف نحو بطل المسرحية ، دون أن يساعده على ذلك تأثير الاغراب » .

وقد اعتمدنا فى هذه الترجمة على هذه الرواية المنقحة للمسرحية ، كما أقرها برشت فى مارس سنة ١٩٥٤ حين أعدها للطبع لدى الناشر سور كامب Suhrkamp (في فرنكفورت) . على أن هذه الصورة المنقحة لا تختلف عن الصورة الأصلية التى ألفها برشت فى سنة ١٩١٩ الا فى بعض جمل قليلة فى الحوار الاخير ، هى تلك التى تشير الى ابن أخى جلوب . واذن فالتعديلات هينة جدا .

وقد حصل برشت على جائزة كليست عن هذه المسرحية .



شخصيات المسرحية

اندرياس كراجلر	Andreas Kragler
أنا باليكه	Anna Balicke
كارل باليكه : أبوها	Karl Balicke
أماليا باليكه : امها	Amalie Balicke
فريدرش مورك : خطيبها	Friedrich Murk
بابوش : صحفى	Babusch
رجلان	
جلوب : تاجر خمور	Globb
مانكه : نادل فى بار بيكادلى	Manke
اخوه ويدعى : مانكه ــ حب ــ العنب	
رجل مخمور	
بولتروتر : بائع صحف ينادى عليها	Bulltrotter
أوجستا ، ماريا : مومسان	Augusta, Marie
لار : فلاح	Laar
عامل	
خادمة	
بائعة جرائد	

نفس الممثل يمثل دورى الأخوين مانكه

الكوميديا تجرى احداثها خلال ليلة من ليالى شهر نوفمبر ، من الغروب حتى الفجر .

الفصل الأول

(افريقيـــة)
في بيت آل باليكـــه

(غرفة مظلمة . في النوافذ ستائر من التُّل . وقت الغروب)

باليكـــه : (يحلق ذقنه امام النافذة) مضت أربع سنوات منذ أن اعتبر مفقودا . لن يعود الآن . لاندرى مايخبئه لنا المستقبل . الرجل يساوى الآن وزنه ذهبـــــا . وأنا منذ عامين كنت سأبارك ذلك . لكن عاطفتك اللعينة غلبتى على أمرى . والآن عليّ أن أمشى على جثث .

السيدة باليكه : (أمام صورة فوتوغرافية لكراجلر بزىّ جنـــدى المدفعية ، وهى معلقة على الحائط) : لقد كان رجلا طيبا ، لطيفا ، طفلا حقـــا .

باليكـــه : انه الآن يتحلل .

السيدة باليكه : آه لوعـــاد !

باليكـــه : لا أحد يعود من السماء .

السيدة باليكه : بحق كل القديسين في النعيم ، ستلقى بنتنا أنّا بنفسها حينئذ في المـــاء !

باليكـــه : اذا كانت تقول هذا ، فهى اوزة ، وانا لم أشاهد حتى الآن أوزة في المـــاء .

السيدة باليكه : إنى أراها في ذبــول [1]

باليكـــه : ما عليها الا أن تكف عن التهام لدائن التوت والرنجة على طريقة بسمرك ! ان مورك Murk شـــاب ممتاز وعلينا ان نحمد الله راكعين على انــه بعث الينا بــه

السيدة بالكيه : انه يكسب اموالا ، هذا حق . لكنه لــو قورن بالاخر ! عيونى تغرورق بالدموع !

باليكـــه : لو قورن بجثة ؟ أكرر لك : إما الآن ، أو أبـــدا . ماذا تنتظر هى . البابا ؟ ربما تنتظر زنجيا ؟ شبعت من هذه القصة .

السيدة باليكه : ولو عادت هذه الجثة التى تتحلل ، كما تقـــول ، لو عاد من الجنة أو من النار ؟
(اسمى كراجلر .) فمن ذا الذى سيقول له حينئذ انه ليس الا جثة ، وان خطيبته تنام في سريـــــر شخص آخـــر ؟

باليكـــه : أنا سأكلمه ، أنا ! والى أن يقع شئ من هذا القبيل اذهبى أنت وقولى لتلك البنيـــة : كفى هـــذا : وسنعزف مارش الزفاف وزفافها سيكون الى مورك لو قلت أنا لها هذا ، لأغرقتنا بالدموع . حسن ، الآن أشعلى النور ، من فضلك !

السيدة باليكه : أنا ذاهبة لاحضار المَشمّع . بدون نور أنت تجرح نفسك دائما .

باليكـــه : الجرح لايكلف شيئا ، أما النور ... (ينادى :) أنا !

---

(١) الترجمة الحرفية : تبدو لى كما لو انها تبصق في بحر

أزّا : (عند عتبة الباب) ماذا تريد يا أبتاه ؟

باليكه : أرجوك أن تصغى الى ما ستقوله لك أمك ، ولا تأخذى في النحيب في أجمل يوم في حياتك .

السيدة باليكه : اقتربى يا أزّا . أبوك يلاحظ عليك أنك شاحبة جدا ، كما لو كان لايغمض لك جفن طوال الليل .

أزّا : بلى ، أنا أنام .

السيدة باليكه : اسمعى ،الامر لا يمكن أن يستمر هكذا الى الابد . الآن هو لن يعود .

(تشعل شموعا)

باليكه : ها هى ذى بدأت تبدى عن عيون التمساح !

السيدة باليكه : كان أمرا فظيعا بالنسبة اليك ، ولقد كان رجلا طيبا ، لكنه الآن مات .

باليكه : دُفِن وتحلل .

السيدة باليكه : كارل ! ولديك الآن مورك ، وهو رجل مجتهد ، سعيد الحظ .

باليكه : ماذا تريدين أكثر من هذا ؟

السيدة باليكه : اذن عليك ، في نظرى ، أن تقولى « نعم » أمام الله

باليكه : وخصوصا لانريد منك ان تمثلى أمامنا هزلية .

السيدة باليكه : عليك أن تتخذيه زوجا أمام الله .

باليكه : (غاضبا هائجا لانه لا يستطيع ان يلصق المشمع على صدغه) : بحق الشيطان ، هل تحسبين ان من الممكن اللعب بالكرة هكذا مع الفتيان ؟ قولى

« نعم » أو « لا » .أما أن ترفعى بصرك نحو السماء فهذا بلاهة .

أنّـــا : اى ، بابا !

باليكـــه : (متذمرا) هكذا ! والآن خذى في البكاء ، َهيّا ، قد فتحت السدود ، سأضع حالا طو ق النجاة .

السيدة باليكه : مورك هذا ألا تشعرين نحوه بأى ُحبّ ؟

باليكـــه : هذا بكل بساطة يتنافى مع الاخلاق الحميدة .

السيدة باليكه : اسمع يـــا كارل ! قولى لى يا أنّا ، ألا تستشعرين ذرة من الحب لفريدرش هذا ؟

أنّـــا : بلى ! لكنكما تعلمان جيدا حقيقة الامر ، ثم انى أشعر بتقزز . . .

باليكـــه : أنا لا أعلم شيئا . وانى اكرر لك : الشاب تحـــلل وأكله الدود ، وهيكله العظمى انقسم الى قطـــع صغيرة ! ثلاث سنوات ! وليس ثم أى دليل على أنه حى ! وكل طاقم المدفعية الذى كان فيه قد طار ! في الهواء ! وتمزق إرْباً إرْباً ! مفقود ! وسيكوب عجيبا من يخبر أين ذهب ! كل هذا ناشئ عن خوفك اللعين من الاشباح . اتخذى اذن زوجا ، وهنالك لن تخشى من أى شبح ، ابّان الليل . (يذهب ناحية أنّـــا ، ويصيح بصوت مرتفع :) هيّا ، هل أنت فتـــاة شجاعة ، نعم أَو لا ؟ اقتربى قليلا .

(يسمع قـــرع)

أنّـــا : (مرتاعة) انه هـــو .

باليكـــه : احتجزيه في الخارج وهيئيه !

السيدة باليكه : (عند الباب ، وفي يدها سلة الغسيل) : أليـــس عندك شيءٌ للغسيل ؟

أنّـــا : بلى . لا . لا ، أعتقد انه ليس عندى شيء .

السيدة باليكه : ولكن اليوم هو اليوم الثامن .

أنّـــا : الثامن ، حقـــا ؟

السيدة باليكه : طبعا ، الثامـــن .

أنّـــا : ثم ماذا ؟ وحين نكون في اليوم الثامن عشر ؟

باليكـــه : فيم تثرثران هكذا عند الباب ؟ تعالى هنا .

السيدة باليكه : فتّشى عما اذا كان عندك شيءٌ للغسيل .

(تخـــــرج)

باليكـــه : (يجلس ، يضع أنّا على ركبتيه) : امرأة بـــدون رجل ، هذه اهانة في حق الله . هذا الفتى الـــذى أرسلوه الى الجبهة أنت في شوق اليه . ليكن . لكن هل أنت تتذكرين وجهه ؟ ليست لديك عنه أيـــة فكرة ، يا بنيّتى . موته جعل منه مانيكان احتفالات . ازداد جمالا طوال ثلاثة أعوام ، واذا لم يكن قد مات ، فسترين انه يختلف تماما عما تتخيلينه . على انه تحلل ، وأؤكد لك ان منظره كريه : لم يعـــد لعشيقك أنف . لكنك تفتقدينه . حسن ، اذن ، اتخذى رجلا آخر . الطبيعة تريد هذا ، أترين؟ ستشعرين ، حين تستيقظين في الصباح ، انك مثل

الارنب في حقـــل كرنب . وانت لا تـــزال لك أطراف سليمة وشهية ! وليس في هذا اهانة لله ، أوكـــد لك .

أنـّــا : لكنني لا أستطيع أن أنساه ! أبدا ! أنت تريد أن تقنعني ، لكني لا أستطيع !

باليكـــه : خذى مورك ، وسينسيك الفتى الآخر .

أنـّــا : أنا أحبه ، وذات يوم لن أحب غيره ، أما الآن ، فانى لم أصل الى هذا الحد .

باليكـــه : أوه ، سيجعلك تغيرين فكرك ، بشرط أن يكون له عليك سلطان كامل . أتفهميني ؟ وهذه الأمور خير حل لها هو الزواج . لا أستطيع ان أشرح لك هذا ، فأنت لا تزالين صغيرة .

(يدغدغها) اذن : اتفقنـــا ؟

أنـّــا : (تضحك مع شئ من التكلف) : لا أدرى هـــل فريدرش يريد .

باليكـــه : يا امرأتى ، تعـــالى .

السيدة باليكه : تفضل ، في الصالون . ادخل ، أرجوك ، ياسيد مـــورك .

باليكـــه : مساء الخير ، يامورك ! ماذا بك ؟ يبدو عليـــك كأنك جثة على المـــاء !

مـــورك : الآنسة أنـّــا .

باليكـــه : ماذا بك ؟ هل حدث لك حادث أليم ؟ كيف يكون

المرء شاحبا كل هذا الشحوب ، يا صاحبي؟ ربما كان السبب طلقات النار التي تسمع في الهـواء في السماء . (صمت) . يا أنـّـا ، اهتمي به .

(يخرج هو وز وجته بانطلاق)

أنـّـا : ماذا بك يافريدرش ؟ انت شاحب اللون جدا .

مـورك : (مستنشقا) : أهذا الخمر من أجل الخطبـة ؟ (صمت) . هل جاء أحد ؟ (يذهب ناحية أنـّا) قولي لي ، هـل جاء أحـد ؟ لِاذاصرت بيضاء كالغسيل ؟ من الذي أتى ؟

أنـّـا : لا أحد . لم يأت أحد . لكن ماذا بك أنت ؟

مـورك : اذن لماذا كل هذه العجلة ؟ لا تروى لي حكايات . ان كان هذا يسرّه ! لكي لا أخطب في مثل هذا المحـل .

مـورك : العجوز . عين السيد تجعـل المواشي تسـمن ! (يتجول في الغرفة في قلق) . آ ه ، ثم ماذا ؟

أنـّـا : أنت تتصرف كما لو كان أبواى هما الحريصـين عليها . والله يعلم أنهما غير حريصين عليها أبدا . هذا ، لا ! فاهم ؟

(تقرقع باظافرها)

مـورك : قولي لي ، متى قمت بأول تناول ؟

أنـّـا : اريد فقط ، أن أقول انك تأخذ الامور بنوع من الاستخفاف .

مـــورك : آه ، صحيح ! الآخر ؟

أزّـــا : أنا لم أتكلم عن الآخر .

مـــورك : لا ، لكنه دائما حاضر ، في مكان ما ، يتجـــول حولنا .

أزّـــا : معه كان الأمر مختلفا تماما . انك لا تستطيع أن تفهم . لقد كان الأمر معه على المستوى الروحى .

مـــورك : وبين كلينا نحن ، ماذا هو ؟ جسدىّ ؟

أزّـــا : بيننا لا يوجد شيء أبداً .

مـــورك : لكن الآن ، هناك شيء مع ذلك !

أزّـــا : ماذا تدرى عن هذا ؟

مـــورك : آه عمّا قليل سأجعلك تغنين أغنية أخرى .

أزّـــا : مجـــرد كلام .

مـــورك : لكنى سأطلب يدك .

أزّـــا : هل هذا تصريحك ؟

مـــورك : لا ، سيأتى بعد .

أزّـــا : على كل حال ، ان كل ما لديك لتقدمه إلىّ هو مصنع سلال ذخيرة .

مـــورك : يالك من عفريتة ! ألم يشعروا بشيء في الليلـــة الماضية ؟

أزّـــا : أوه ! فريدرش ! انهما ينامان نوما عميقا .

(تلتصق به)

مـــورك : أما نحن فلا .

أزّا : ياشقيّ !

مـــورك : (يجذبها اليــه ويقّبلها ، لكن بغــير حرارة) : ياعفريتة !

أزّا : صه ، اسكت ! قطار يسير في الليل . أتسمعه ؟ أحيانا أخشى أن يأتى . وهذا يسبب لى عرقا باردا يسيل على ظهرى .

مـــورك : من ؟ المومياء ؟ أنا كفيل به . لكنى أقول لك : لا محل لهذا الفتى فيما بيننا . لا أريد أن يــكون بيننا على السرير جيفة . أنا لا أحتمل أى منافس ، فاهمة ؟

أزّا : لا تغضب . يافريدرش ، اصفح عنّى .

مـــورك : دائما صاحبك أندرياس ؟ رُوْى ! حين نتــزوج سيكون ميتا مثلما كان في يوم دفنه . أتراهنين ؟ (يضحك) أنا أراهن : ولد .

أزّا : (وهى تخفى وجهها في صدره) : أرجوك ! لا تقل مثل هذه الأشياء .

مـــورك : (بصراحة) سأشعر بالضيق ! (نحو الباب) : تستطيعين الدخول ياماما ! مساء الخير يابابا !

السيدة باليكه : (وهى عند الباب) : يا أولاد ! (تأخذ في التنهد) هكذا ، بدون تحفظ !

باليكـــه : ولادة عسرة ، أليس كذلك ؟

(عناق وانفعالات عامة)

مــورك : توأمان . والزفاف ، متى ؟ الوقت من ذهب .

باليكــه : بعد ثلاثة أسابيع ، لو أردتما ! السرير جاهــز ، يا ماما ، العشاء .

السيدة باليكه : حالا ، حالا ! لكن دعنى آخذ نفسى . (تخرج) هكذا ، بدون تحفظ !

مــورك : اسمحا لى بأن ادعوكما للشراب في بار بيكادلى . أنا من أنصار الخطبة الفورية . وأنت يا أنّا ؟

أنّــا : إذا لزم الأمر !

باليكــه : لكن يمكننا عمل هذا هنا ! لماذا الذهاب إلى بار « بيكادلى » ؟ ما هذه الفكرة الغريبة ؟

مــورك : (قلقا) لا ، ليس هنا . هنا ، لا يمكن .

باليكــه : ما معنى هذا ؟

أنّــا : انه غريب الأطوار . تعالوا اذن إلى بار «بيكادلى» !

باليكــه : في ليلة كهذه ؟ المرء يخاطر هكذا بحياته !

السيدة باليكه : (تدخل مع الخادمة التى تحضر الحساء) نعــم يا أولاد ! أية مفاجأة ! لكن كل شيء يجوز أن يحصل . إلى المائدة ياسادة !

(يأكلون)

باليكــه : (رافعا رأسه) على صحة الخطيبين ! (تقــرع الكؤوس) الأيام لا أمان لها . الحرب انتهــت . يا أماليا ، هذا الخنزير المحمّر كثير الدهــن !

تسريح الجنود يؤدى إلى مزيد من الاضطـراب ، والنهب ، والحيوانية في واحات العمل الهادىء .

مـورك : تحيا سلال الذخيرة ! على صحتك يا أنّا !

باليكـه : عدد العناصر القلقة في تزايد مستمر . صيّادون في الماء العكر ! والحكومة غير حازمة في مكافحـة مستغلّى الثورة ! (يفتح صحيفة) الجماهـير الهائجة ليست لها مثل عليا . لكن أسوأ الجميع هم الجنود العائدون من الجبهة ، أستطيع أن أقـول هذا هنا . انهم مغامرون ، ودواب بلا أخـلاق ، قد فقدوا عادة العمل ولم يعد عندهم شيء مقدسا . حقا ان عصرنا هذا عصر عصيب : والزوج ، في هذه الأيام ، يساوى وزنه ذهبا ، يا أنّا . استندى اليه بشدة . واعملوا على اجتياز العقبة ، ولكن كتفا إلى كتف . لابد من اجتياز العقبات . على هناءة حبكم !

(يأخذ في ملء الفونوغراف)

مـورك : (وهو يجفف جبينه الرطب) برافو ! حين يكون المرء رجلا ، فإنه يستطيع التخلص دائما . آه ! لابد للمرء أن يتقن المزاحمة بالاكتاف ، وانتعال الأحذية الحديدية ، والرؤية بوضوح ، دون النظر إلى مايدوس عليه . نعم ، يا أنّا ! أنا أيضا بدأت من لاشيء ، أنا من أصل وضيع بسيط : صبي مراسلة ، صبي ميكانيكي . عملية هنا ، تدبيرة هناك . ويتعلم الانسان شيئاً عن يمين وعن شمال .

وألمانيا كلها قد ارتفعت بهذه الطريقة . آه ! لم يحمل الكل قفازات في أيديهم ، ولكن يعلم الله كم بذلوا من جهود ومشقة . والآن صرت في أعلى السلم . على صحتك يا أنّا !

(الفونوغراف يعزف : « أيها الحب ، حين تستولى علينا ! »)

باليكه : برافو ! حسن ، يا أنّا ، ماذا بك ؟

أنّا : (قامت واستدارت نصف دورة) لا أدرى . كل هذا جرى بسرعة جداً . انى أسائل نفسى يا أماه عمّا إذا كان هذا هو الطريق السليم . . .

السيدة باليكه : ماذا تقصدين يا ابنتى ؟ يالك من اوزة ! على العكس ، عليك أن تكونى راضية . ما الشىء الذى ليس بالسليم ؟

باليكه : اجلسى ! أو مادمت واقفة فاملئى الفونوغراف .

(أنّا تجلس . صمت)

مورك : اذن على غرامياتك ! (يقرع كأسه بكأس أنّا) . لكن ماذا بك ؟

باليكه : وبمناسبة شغلتك يافرتز ، شغلة سلال الذخيرة ، أتعرف انها لن تساوى شيئا بعد قليل . كلها ثمانية أو خمسة عشر يوما من الحرب الأهلية ، ثم ينتهى كل شىء ! وأقول لك عن جد ، أنا في ذهنى شغلة عظيمة وهى : عربات للأطفال . المصنع لم يسر خيرا من هذا ، من كل النواحى . (يمسك

بمورك من ذراعه ويقتاده إلى العمق . يزيح ستائر النافذة) المبنى الجديد رقم ٢ ، والمبنى الجديد رقم ٣ . صناعة ثابتة وحديثة . يا أزّا ، املئى الفونوغراف ! ان هذه الاسطوانة تهز كيانى .

(الفونوغراف يعزف : « ألمانيا ، ألمانيا ، قبل كل شيء »)

مورك : هناك رجل في فناء المصنع ، من هو ؟

أزّا : لكن هذا مروع . يخيل إلىّ انه يتطلع إلى هنا .

باليكه : يحتمل أن يكون الحارس . لماذا يضحكون يافرتز ؟ ان في ذهنك شيئاً . ان السيدات كلهن شاحبات .

مورك : خطر ببالى شيء غريب : الاسبارتاكوسيون . . .

باليكه : هذا تغفيل ! هذا لا يوجد عندنا ! (ومع ذلك يتلفت متضايقا) هذا هو المصنع اذن . (يعود الى المائدة ، بينما أزّا تسدل الستائر) . نعم ، الحرب هى التى وضعتنى على الغصن الأخضر الزاهر ! . كان الثراء مطروحا في عرض الطريق ، فلماذا لا ينحنى المرء ليلتقطه ! اذن سيكون ذلك حماقة وغفلة . ولو لم التقطه أنا ، لالتقطه غيرى . ان شقاء البعض هو الذى يصنع سعادة البعض الآخر . ولو حسبنا حساب كل الاعتبارات ، لقلنا ان الحرب كانت فرصة مواتية لنا . لقد كدّسنا الارباح ، وملأنا الجيوب ، ونحن في أمان . ونستطيع بكل اطمئنان ان نصنع عربات أولا . وبدون استعجال ! موافق ؟

مـــورك : موافق كل الموافقة يابابا ! على صحتك !

باليكـــه : وأنتما تستطيعان أن تتفرغا لصنع أطفال ! ها ! ها ! ها !

الخادمـــة : حضر السيد بابوش ، ياسيد باليكه .

بابـــوش : (يدخل باندفاع واسراع) ياجماعة ! أنتم في مأمن من سبت الجن الأحمر ! اسبارتاكوس يعبىء رجاله . المفاوضات قطعت . وبعد أربع وعشرين ساعة سيزأر المدفع في برلين .

باليكـــه : (ولا تزال الفوطة حول رقبته) لكن هــؤلاء الناس لم يقنعوا اذن ! ياللشيطان .

السيدة باليكه : المدفع ؟ يا الهى ! يا الهى ! يالها من ليلة . آه ! يالها من ليلة ! سأنزل إلى المخبأ ياباليكه !

بابـــوش : في وسط المدينة لا يزال كل شيء هادئا ، لكن يظهر أنهم سيحتلون مطابع الجرائد .

باليكـــه : ماذا ؟ ونحن الذين نحتفل بالخطبة ؟ يعملون هذا في هذا اليوم بالذات ؟ يالهم من مجانين !

مـــورك : لابد من لصق هذا في الجدار !

باليكـــه : كل أولئك الساخطين في الجدار !

بابـــوش : أأنت الذى تخطب ، ياباليكه ؟

مـــورك : بابوش ، خطيبتى !

السيدة باليكه : هكذا ! فجأة ! بغير تحفظ ! لكن متى سيضربون بالمدافع ؟

بابــوش : (يصافح يدى أزّا ومورك) الاسبارتاكيــون خزنوا أسلحة بكميات. هؤلاء الرعاع يعملون في الظلام. آه يا أزّا! لا تلقى بالا! هنا لن يحدث شيء. هذا بيت هادىء! الاسرة! نعم! الاسرة الالمانية! بيتّى قلعتى[1] my home is my castle

السيدة باليكه : في عصرنا! في عصرنا! وبالذات في أجمل يوم من أيام حياتك، يا أنّا.

بابــوش : تعرفون ياجماعة أن الامور في غاية التشويق.

باليكــه : قليلا جدا بالنسبة إلىّ! قليلا جدا!

(يمسح فمه بالفوطة)

مــورك : ألا تعرف؟ تعال معنا إذن إلى بار بيكادلى! من أجل خطبتى

بابــوش : والاسبارتاكيون؟[2]

باليكــه : سينتظرون، يا بابوش. دعهم لتطلق عليهم النار. تعال معنا إلى بار بيكادلى! يانساء، البسن ثيابكن

السيدة باليكه : إلى بار بيكادلّى؟ وفي الليل؟

(تجلس على كرسى)

باليكــه : بار بيكادلّى، هذا الاسم القديم. الآن يسمــى « مقهى الوطن ». فريدرش يدعونا! وماذا يهم

---

(١) بالانجليزية فى الاصل الالمانى

(٢) كان سبارتاكوس زعيما للعبيد المتمردين ضد روما وقد قتل فى سنة ٧١ ق. م.

ان يكون الوقت ليلا ؟ العربات ، من أجل ماذا ؟ هيّا ، البسى ثيابك ، يا عجوز !

السيدة باليكه : لن أخطو خطوة واحدة خارج البيت . ماذا جرى لك يا فرتزى !

أنّـــا : ارادة الانسان هى جنته ! مادام فريدرش يريد. . .

(الجميع يتطلعون في مورك)

مـــورك : لا ، ليس هنا . بأى ثمن . أنا أريـــد موسيقى ، وأضواء . انه محل ممتاز . كما سترون . أما هنـــا فالمكان مظلم جدا . لقد لبست ثيابى لهذا الغرض . ماذا تقولين في هذا اذن ، ياحماتى ؟

السيدة باليكه : لا أستطيع أن أفهم السبب .

(تخرج)

أنّـــا : انتظرنى يافريدرش ، سأكون جاهزة في دقيقة .

بابـــوش : عجيب كل ما يجرى الآن . كل الجهاز يطير . أيها الوُضَعاء ، نَظّموا أنفسكم ! وبهذه المناسبة أقول لكم ان المشمش الأصفر ، الناضج ، المملوء بالعصارة يساوى الرطل منه خمسة ماركات . أيها المتعطلون ، لا تستجيبوا للاستثارة ! في كل مكان، في المقاهى ذات الضوء الباهر يشاهد عصابات من الأشخاص المشبوهين ، يَصْفِرون بوضع أصابعهم في أفواههم . وقد اتخذوا مما يسمونه جلـــودهم القديمة رايات ! بينما صفوة المجتمع ترقص الفالس في المراقص ! هيا ، على نخب زواجك !

مـــورك : لا حاجة بالسيدات إلى تغيير زينتهن . الآن لا أهمية لشيء من هذا . بالزينة البراقة تلفتن النظر اليكن .

باليكـــه : هذا صحيح تماما . الأيام عصيبة . أقدم مـــلابس مستعملة تكفى لمثل هؤلاء الأوباش . انزلى حـــالا يا أنّا .

مـــورك : سنذهب نحن قبلكم . لا تغيرى شيئا من ملابسك .

أنّـــا : جلف !

(تخـــرج)

باليكـــه : إلى الأمام ، سِرْ ! الاتجاه : الجنة بالموسيقى . علىّ أن أغير قميصى .

مـــورك : الحقى بنا أنت وأمك . وسنأخذ معنا بابوش باعتباره وصيفة ، أليس كذلك ؟ (يغنى :) بابـــوش ، بابوش ، بابوش يهرول في الصالة .

بابـــوش : دائما تكرر نفس الكلام الصادر عن فتى مجنون ، ألا تستطيع أن تتخلى عنه نهائيا ؟

(يخرج معه متأبطا ذراعه)

مـــورك : (يستمر في الغناء في الخارج) ياصبيان ، مصوا ابهامكم ، هذا أوان العربدة . أنّا !

باليكـــه : (وحده ، يشعل سيجارة) الحمد لله ، خلصنـــا من هذه المسألة ! أوه ، هذه البنت كم أرتنـــا العجب ! لابد من دفعها إلى السرير بالقوة ! وحبها الأبله لجيفة ! لقد بللّت فيها قميصى النظيـــف .

والآن ليكن ما يكون . شعارنا : عربات للأولاد .
(يخرج) يا امرأة ، هاتى قميصا .

أنّــا : (من الخارج) فريدرش ، فريدرش ! (تدخل كالريح العاصفة) فريدرش !

مـــورك : (عند عتبة الباب) : أنّا ! (يتكلم بجفـــاف ، انه قلق ، وعليه سيما الشمبانزى وذراعاه معلقتان وتهتزان) : هل قررت ، أولا ؟

أنّــا : ماذا بك ؟ لو شاهدت نفسك في المرآة !

مـــورك : هل تأتين ، نعم أولا ؟ أنا أعلم ما أقول . دعـــى الحركات ! ليكن الأمر واضحا تماما .

أنّــا : نعم ، نعم ! هذا شيء جديد !

مـــورك : حسن ، حسن . لست متأكدا تماما من نفسى بعد . لقد عانيت الويلات وأنا أسكن طوال عـــشرين سنة في غرفة الخادمات ، واستشعرت البرد ينخر في عظامى ، والآن أنا ألبس أحذية ذات زراير ، انظرى اليها . وسال العرق منى في الماء ، عـــلى ضوء مصباح غاز ردىء ، وكلفنى هذا الكثير من بصرى . الآن يصنع ملابسى خياط . غير أنى لست بعدُ راسخا على قدمىّ . ثم تيار من الهواء البارد ، تيار من هؤلاء مثلج عند الارض يجمد الاقدام . (يذهب ناحية أنّا ، دون أن يمسها ، ويظل واقفا أمامها وهو يتأرجح على قدميه) . والآن يزدهر النبات ، الآن الخمر يجرى أمواجا . الآن أنا هناك . بلّنى

العرق ، والعيون مغلقة ، والكف مقبوض إلى حد دخول الأظافر في لحم الكتف . انتهى هذا كله ! شيئا من الأمان ! شيئا من الحرارة ! لنخلع الأسمال البالية ! سرير واسع ، وثير ، وفرش أبيض . (حين يمر عند النافذة يلقى نظرة سريعة إلى الخارج) . تعالى ها هنا : أنا أفتح القبضة ، وأجلس تحت الشمس لابسا القميص ، أنا الآن أملكك .

أنّـا : (طائرة بين ذراعيه) : حبيبي !

مورك : حبيبتى .

أنّـا : الآن أنت تملكنى ، أليس كذلك ؟

مورك : وأنت ، لا شيء دائما ؟

بابوش : (في الخارج) اذن ياجماعة ؟ هل تأتون ؟ هل تنسون أنني مرافقكم الأمين !

مورك : (يملأ الفونوغراف مرة أخرى . صوت يتغنّى بقوة الحب العارمة) أنا أحسن رجل في العالم ، بشرط أن يتركونى أعمل .

(يخرجون وهم يمسكون بعضهم بأذرع بعض)

السيدة باليكه : (تدخل بحماسة . تلبس ثوبا أسود وتسوّى قبعتها كبوت ، أمام الصوان ذى المرآة) ، القمر كبير ، وأحمر اللون ! . . الهى ! يا أولاد ! نعم . . . آه ! في هذه الليلة نستطيع أن نحمد الله مرة أخرى .

(في هذه اللحظة يظهر في فتحة الباب رجل يلبس السترة العسكرية الرسمية لجندى مدفعية ، لونها كحلى ، وهى قذرة جدا . وفي يده غليون صغير)

الـــرجل : اسمى كراجلر !

السيدة باليكه : (تمسك بمنضدة الزينة حتى لا تسقط ، وركبتاها ترتعدان) : الله !

كراجلـــر : ماذا ؟ لماذا تحملقين هكذا كأنك في عالم آخر ؟ ضاعت نقود في الهواء من أجل التاج ؟ ياللخسارة ! أنا أقدم تقريراً عن نفسى : لقد أقمت في الجزائر شبحا . غير أن الجيفة صارت لها شهية عارمة . أشعر بأننى قادر على ابتلاع دود الأرض . لكن ماذا أصابك ياسيدة باليكه ؟ هذه الأغنية سخيفة . (يقف الفونوغراف . السيدة باليكه لا تنطق بعد بأية كلمة . بل تستمر في التحديق فيه بشـــدة ، وعيناها مفتوحتان تماما)

كراجلـــر : لن يغمى عليك ، على الأقل ؟ هذا كرسى . يمكن احضار كوبة ماء لك .

(بصوت خفيض وهو ذاهب إلى البوفيه) : انى أسترد ذكرياتى الآن هنا تقريبا . (يصب خمراً في كأس) . خمر ! من نوع ريسلنج . لاتزال فـــىّ حيوية وان كنت شبحا .

باليكـــه : (يدور في تلطف حول السيدة باليكه)

(من الخارج) هيّا ، ياعجوزتى ، تعالى ! هيـــا

بنا ! نعم ، أنت جميلة ، ياملاكي العزيز !

(يدخل ويتوقف مذهولا ، ونظرته جوفاء) ماذا ؟

كراجلـــر : مساء الخير ، ياسيد باليكه ! زوجتك تشعر بانقباض. (كراجلر يحاول أن يجعلها تشرب خمرا ، لكنها تدير رأسها ، وقد استولى عليها الرعب . باليكه ينظر إلى المسرح لحظة ، وهو في غاية الحيرة)

كراجلـــر : اشربي إذن ! لا ؟ ستتحسن حالك فورا . حسبت أنك كنت تتذكرينني جيدا . ذلك أني قادم مـــن افريقية لتوّى ! عن طريق أسبانيا . مجهود كبير للاحتيال على جواز السفر والباقي . والآن ، أين أنا ؟

باليكـــه : بحق الله الا تركت زوجتي في هدوء . ألا تـــرى أنك ستخنقها ؟

كراجلـــر : لا !

السيدة باليكه : (تلوذ بالقرب من باليكه وقـــد ظـــل واقفا) : كارل !

باليكـــه : (بلهجة جادة) : ياسيد كراجلر ، إذا كنت حقا من تزعم أنه أنت ، هل أستطيع أن أرجوك أن تخبرني بما جئت من أجله ها هنا ؟

كراجلـــر : (مقطوع التّنفّس) لكني كنت أسيرا في افريقية .

باليكـــه : يالله ! (يتوجه ناحية صوان صغير في الحـــائط ويصب لنفسه كمية صغيرة من ماء الحياة ويبتلعها). حسن . هذه ضربة من ضرباتك . مصيبة مـــن

المصائب . لكن ماذا تريد حقا ؟ ماذا تريد ؟ ابنتى خطبت في هذه الليلة بالذات ، منذ أقل من نصف ساعة .

كراجلـــر : (يتردد متضايقا قليلا) ما معنى هذا ؟

باليكـــه : لقد بقيت غائبا أربع سنوات . وهى انتظرتك طوال أربع سنوات . ونحن انتظرنا أربع سنوات . والآن قضى الأمر ، ولم يعد لك ما تؤمله هنا .

(كراجلر يجلس)

باليكـــه : (غير واثق تماما من نفسه ، لكنه يحاول أن يظـــل رابط الجأش) ياسيد كراجلر ، عندى التزامات في هذه الليلة .

كراجلـــر : (يرفع عينيه) التزامات . . . ؟ (ساهما) نعم . . (يعود إلى حال اليأس)

السيدة باليكه : ياسيد كراجلر ، لا تحمل الامور محمل المأساة . ففى الدنيا فتيات كثيرات . هكذا حال الدنيـــا . تعلّم كيف تتألم ، دون أن تشكو !

كراجلـــر : أنـّــا . . .

باليكـــه : (بلهجة سريعة) يا امرأة ! (تذهب نحوه بخطوة مترددة . باليكه يقول بلهجة حازمة فجأة) : آه ! ثم ان هذا كله مجرد عواطف !

(يخرج مع زوجته . عند الباب تظهر الخادمة)

كراجلـــر : هِمْ !
(يهز رأسه)

الخادمة : السيدة والسيد ذهبا . (صمت) السيدة والسيد ذهبا إلى بار بيكادلى للاحتفال بالخطبة .

(صمت . هزيم الريح)

كراجلر : (يرفع عينيه نحوها ببطء) هيمْ !

(ينهض بثقل ، يتأمل الغرفة ، يخطو بضع خطوات ، منحنيا ، يلقى نظرة من النافذة ، يعود، يخرج ببطء بخطوات صغيرة ، ورأسه عار ، وهو يصفر صفيرا خفيفا)

الخادمة : هيه ! ياسيد ، طاقيتك ! لقد نسيت طاقيتك .

* * *

الفصل الثاني

(الفلفل)

في بار بيكادلي

(فتحة كبيرة في العمق . موسيقى . من النافذة يشاهد قمر كبير أحمر . في كل مرة يفتح فيها الباب تدخل الريح بقوة في الغرفة)

بابوش : هيا ، ادخلوا الزريبة يا أولاد ! هناك قمر للجميع ! يحيا اسبارتاكوس ! كل هذا مجرد ترهات ! هانبيذ أحمر !

مورك : (يدخل تتأبط ذراعه أزّا ، يخلعان معطفيهما) : ليلة كما في القصص . صيحات في حى الصحافة ، خطيبان في عربة .

أزّا : لا أدرى ماذا بى اليوم . كل فرائصى ترتعد . أشعر بغثيان . ولا استطيع التخلص منه .

بابوش : اذن على نخب غرامياتك ، يافريدرش !

مورك : هنا أشعر بأنى في بيتى . مع طول الاقامة يقل الانس ، ولكنه محل ممتاز ! انظر اذن يابابوش ماذا يصير اليه أمر الجيل الماضى !

بابوش : حسن ! (يخرج .) وأنت ، اهتم بالجيل المقبل . (يشرب)

أنّـــا : قبّـــلني

مـــورك : هل أنت مجنونة ؟ ان نصف برلين يتطلع الينا .

أنّـــا : وماذا يهـــم ! أنا ، حين أريـــد شيئا ، فما عداه يستوى عندى ! وأنت ألست كذلك أيضا ؟

مـــورك : أبدا . وأنت أيضا كذلك .

أنّـــا : كم أنت جلف !

مـــورك : لكن الأمر هكذا !

أنّـــا : جبـــان !

(مورك يضغط على زر الجرس ، يدخل نادل)

مـــورك : انتبـــاه !

(ينحنى من فوق المائـــدة ، ويقلب الأكواب ، ويقبّل أنّا بالقـــوة)

أنّـــا : أنت الآخـــر !

مـــورك : كفى ! (النادل يخرج .) اذن أنا جبان ؟ (ينظر تحت المائدة .) الآن لم تعودى في حاجة الى ركلى بقدمك .

أنّـــا : ما حكايتك ؟

مـــورك : وسيكون سيّدك ومولاك .

باليكـــه : (يدخل مع بابوش والسيدة باليكـــه) : آه ! هاهما ! الزوجان !

أنّـــا : أين ذهبتم ؟

السيدة باليكه : القمر أحمر تماما . وهذا يقلقني . أن أراه أحمر هكذا . ولا يزال تسمع صيحات آتية من حي الصحافة !

بابوش : ذئاب !

السيدة باليكه : ابقيا معا أنتما خصوصا .

باليكه : معا في سرير واحد ، أليس حقا يا فريدرش ؟

أنّا : ماما ، أتشعرين بعدم ارتياح ؟

السيدة باليكه : متى ستتزوجان ، قولا ؟

مورك : بعد ثلاثة أسابيع ، يا أماه !

السيدة باليكه : كان من الواجب أن ندعو للخطبة عددا أكبر من الناس . لا يعلم أحد . ومع ذلك فينبغي أن يكون هذا معلوما للناس .

باليكه : ترهات ! ترهات ! وكل هذا لأن الذئب أخذ في العواء ! دعيه يعو ! الى أن يلتصق لسانه الاحمر بالتراب ! أما أنا فسأقضي عليه بضربة قاضية .

بابوش : يامورك ، ساعدني على فتح هذه الزجاجة . (بصوت خفيض :) انه موجود هنا . جاء مع القمر . وصل الذئب مع القمر . عاد من افريقية .

مورك : أندرياس كراجار ؟

بابوش : نعم ، الذئب ! بليّة ، أليس كذلك ؟

مورك : لكنه قد تم دفنه . اسدلوا الستائر اذن !

السيدة باليكه : ونحن قادمون ، توقف أبوك في كل الحانات .

والآن هو في غاية السكر . هذا رجل ! آه ! نعم ، وأى رجل ! انه يسكر حتى الموت من أجل أولاده

أنـا : ولماذا يفعل هذا ؟

السيدة باليكه : لا تلقى باسئلة ، بابنيتى . وخصوصا لا تسأليني عن شئ . كل شئ انقلب ظهرا على عقب . هذه نهاية العالم . بسرعة ، أنا في حاجة الى كأس من الكيرش Kirsch .

باليكـه : الغلطة ببساطة هى غلطة . . هذا القمر الأحمر ! أسد لوا إذن الستائر .

(النادل يسدل الستائر)

بابـوش : هل كنت تعرف هذا ؟

مـورك : أنا متأهب لهذا إلى أقصى درجة . هل حضر إلى البيت ؟

بابـوش : نعم ، منذ قليل .

مـورك : أذن سيأتى إلى هنا .

باليكـه : هل تتآمرون من وراء الزجاجات ، تعاليا وأجلسا هنا هنا ! ولنحتفل بالخطبة . (الجميع يجلسون حول المائدة .) وبسرعة ! فليس عندى وقت للتعب !

أنـا : هوه ! والفرس ! كم كان عجيبا ! لقد توقف في وسط الطريق . نزل فريدرش ، ولكن الفرس لم يعبأ . بقى واقفا هناك في وسط الشارع . وكان يرتعد . لكن عيونه كانت تشبه عنب الذئب ،

فغمزه فريدرش في عينيه بطرف عصاه ، فوثب الفـرَس . كما لو كنا في السيرك .

باليكـــه : الوقت من ذهب . الجو حار جداً هنا . العرق يتصبب مني من جديد — لقد بللت اليوم قميصا من عرقي .

السيدة بالكيه : اذا أستمرت الأمور على هذا النحو ، فستفلس من أجور الغسيل .

بابـــوش : (يأكل قراصيا استخرجها من جيبه) : في هذه الأيام ، الرطل من المشمش يساوى عشرة ماركات ليكن ! سأكتب مقالا عن ارتفاع الأسعار . وبهذا أستطيع شراء مشمش . لو كانت هذه هى نهاية العالم لكتبت بحثا عن نهاية العالم . لكن الآخرين ، ماذا سيفعلون ؟ أنا ، لو أن حيّ حديقة الحيوان دمرّ ، ونسف ، فأنا كالسمكة في الماء . أما أنت ؟

مـــورك : نحن نتحدث عن القمصان ، وعن المشمش ، وعن حديقة الحيوان . ولكن الزفاف ، متى سيكون .

باليكـــه : بعد ثلاث أسابيع ! الزفاف بعد ثلاثة أسابيع ! مرحى ! ولتكن السماء شهيدة على ما أقول . ألسنا متفقين على هذا نحن جميعا ؟ الكل موافق على الزفاف حسن ، اذن هيا بنا إلى الخطبة ! (تقرع الكؤوس . فتح الباب . كراجلر واقف في فتحة الباب . الريح تزعزع شعلة الشموع)

باليكـــه لكن ! لماذا ترتعدين ياأنّا أنت وكأسك ؟ هل تصنعين صنع أمك ؟ (أنّا ، وكانت جالسة في

مواجهة الباب ، شاهدت وفي الحال أنهارت على نفسها . انها تحدق فيه)

السيدة باليكه : يسوع ، مريم ، يوسف ! ماذا جرى لك يابنتى ؟

مــورك من أين تأتى هذه الريح ؟

كراجلــر : (بصوت مبحوح) : أنـّا !

(تصيح ، تنطلق صيحة خفيفة . . الكل يلتفتون ، ويتمتمون فجأة . هياج وأضطراب)

باليكــه : يالله ! (يبتلع كأسا من الخمر .) الشبح !

السيدة باليكه : يسوع ! كرا . .

مــورك : اخرج ! اخرج !

(بقى كراجلر لحظة متردداً عند عتبة البــاب ، ووجهــه مكتئب . وفي أثناء هــذه اللحظة من الاضطراب اتجه بسرعة ، ولكن بثقل ، نحو أنـّا ، وكانت هى الوحيدة التى لم تقف . وكراجلرينتزع الكأس من يدها المرتعدة أمام وجهها ، ويحدق فيها مستندا إلى المائدة)

باليكــه : لكنه سكران !

مــورك : ياجارسون ! انتهاك لحرمة المكان . أخرجه من هنا ! (هو يجرى على طول الحائط ، يجعل الستارة تنزل . القمر)

بابــوش : انتبه ! انه انسان تحت قميصه لحم فج ! وهذا يلدغه لا تمسه ! (يضرب على المائدة بعصاه) لا تحدث فضيحة هنا ! اخرج بهدوء ! اخرج بنظام !

أنـــا : (نهضت من كرسيها في تلك الأثناء ، وألقت بنفسها حول أمها) : أماه ، النجدة ! (كراجلر ، يدور حول المائدة ، ويمشي مترنحا ناحية أنا ، والأقوال التالية يُنْطَق بها في نفس الوقت تقريباً)

السيدة بالكيه : لاتعتدِ على حياة بنتى ! ستوضع في الحديد ، في السجن المؤبد ! يايسوع ! يامريم ! إنه سيقتلها .

باليكـــه : (من بعيد ، وهويضخم صوته) : هل أنت مخمور ياصعلوك ! يافوضوى ! يامسرّح ! ياقرصان ! ياشبح ! أين تركت مفرش سريرك ؟

بابـــوش : اذا كنت مصابا بالسكتة القلبية ، فلتعلم أنه هو الذى سيتزوجها ! أغلق فمك ! إنه هو الخاسر هنا اخرج ! له الحق في أن يقول كلمة . نعم له الحق في هذا . (مخاطبا السيدة بالكيه :) أليس لك قلب لقد كان غائبا منذ أربع سنوات . المسألة مسألة عاطفة وقلب . .

السيدة بالكيه : انها لاتكاد تقف على ساقيها ، انها شاحبة مثل المفرش

بابـــوش : (مخاطبا مورك) : أنظر مع ذلك إلى وجهه ! أنها لاحظت ذلك ! وهو الذى كانت بشرته مثل اللبن وخداه مثل الخوخ ! أما اليوم فيبدو كأنه بلح مجفف لاتقلق أذن .

(يخرجون)

مـــورك : اذا كنت تعنى بكلامك الغيرة ، فلا محل للغـــيرة عنـــدى .

بالبكـــه : (يبقى لحظة . . في منتصف المسافة بين البـــاب والمائدة ، وهو سكران قليلا ، وساقاه متعانقتان ، وفي يده الكأس ، وهو يقول) : هذه العربـــة الزنجية ! وجه مثل . . . مثل فيل هرم ! مقـــضى عليه تماما ، هذا ! لاحياء ! (ثم يخرج بخطـــوات بطيئة ، ولا يبقى على المسرح غير الجارسون ، عن يمين الباب ، وفي يده صينية ، الموسيقى تعزف : « سلام لك يامريم ! » من موسيقى جونو Gounod الظلام يغشى المكان)

كراجلـــر : (بعد برهة) : امحى كل شئ في رأسى . كمـــا لو لم يَبْقَ بعدُ غيرُ العرق . لست أفهم بعد شيئا .

أنـــا : (تأخذ شمعة وتضئ بها أمام وجهه) ألم يأكلـــك السمك ؟

كراجلـــر : لا أفهم ماذا تقصدين .

أنـــا : ألم يقذف بك في الهـــواء ؟

كراجلـــر : لا أفهمك .

أنـــا : ألم تصبك رصاصة في وجهك ؟

كراجلـــر : لماذا تتطلعين فيّ هكذا ؟ هل يرى شئ من هذا على وجهى ؟(صمت . يطل من النافذة .) لقد حضرتُ اليك كحيوان عجوز . (صمت .) بشرتى كلها سوداء ، كأنها جلد سمك القرش . (صمـــت.) وقديما كانت بشرتى بيضاء كاللبن ، وفي خدودى تجرى الدماء . (صمت .) والآن أنا أنزف ، دمى

لا يكف عن المسيل ، وأنا أشعر به وهو يسيل ، يسيل . . .

أنّا : اندريه !

كراجلر : نعم .

أنّا : (تذهب نحوه ، مترددة) : أوه ، اندريه ! لماذا تغيبت كل هذه المدة الطويلة ؟ هل أمسكوك بمدافعهم وسيوفهم ؟ والآن لا أستطيع ان ألحق بك

كراجلر : هل كنت غائبا حقا ؟

أنّا : في البداية بقيت طويلا بالترب مني وكان صوتك لايزال حيا . وحين كنت أمرّ في الدهليز ، كنت أمسك ، وفي البرج كنت تدعوني خلف أيكة الاسفنديان . وعبثاً كتبوا أنك أصبت برصاصة استقرت في رأسك وأنك دفنت بعد ذلك بيومين . لكن في ذات يوم تغير هذا . لما مررت في الدهليز ، شعرت أنه ليس هناك أحد ، وبقي الاسفنديان صامتا . وحين كنت أنهض من حوض الغسيل ، كنت لا أزال أرى وجهك ، لكن حين كنت أنشر الغسيل على المرج ، لم أعد أراك بعد ، وفي هذه الأثناء لم أعد أعرف كيف أتذكر صورتك . لكن كان ينبغي عليّ أن انتظر .

كراجلر : كان لابد لك من صورة فتوغرافية .

أنّا : كنت خائفة . وكان ينبغي عليّ أن أنتظر ، رغم مخاوفي ، لكني شريرة . اترك يدي ، فكل شيء في شرير .

كراجلـــر : (وهو يتطلع ناحية النافذة) : لا أفهم ماتقولين . لكن ربما كانت الغلطة غلطة هذا القمر الاحمر . لابـــد لى من التفكير كيما أفهم كلماتك . ان لى كفين منتفختين و كأنهما ذواتا أصابع متلاصقة . . لست رجلا من أهل الخير ، وحين أشرب أكسر الكأس التى أمسك بها . لا أستطيع بعد أن أتكلـــم معك كما ينبغى . لقد بقيت لهجة العبيد الزنوج في حلقى .

أنـــا : نعـــم .

كراجلـــر : هاتى يدك . أتعتقدين أننى شبح ؟ تعالَىْ بالقـــرب منى . هاتى يدك . ألا تريدين أن تأتى بالقرب منى .

أنـــا : أتريد يـــدى ؟

كراجلـــر : هاتيها . الآن لم أعد شبحا . أتذكرين وجهـــى ؟ هل بشرتى كجلد التمساح ؟ ان سحنتى قبيحـــة . لقد بقيت وقتا طويلا في ماء الخل . دائما هـــــذا القمر الاحمر !

أنـــا : نعـــم .

كراجلـــر : خذى يدى ، أنت أيضا — لماذا لاتضغطين عليها ؟ قربى وجهك . هل الامر خطير الى هذا الحد ؟

أنـــا : كلا ! كلا !

كراجلـــر : (يمسكها من كتفيها) : أنّا ! زنجى عجوز ! هذا هو أنا ! في حلقى طين ! أربـــع سنوات ! هـــل تريدينى ، يا أنّـــا ؟

(يجعلها تدور معه في الغرفة ، ويلمح الجارسون ويحدق فيه هازئا ، وجسمه منحن الى الامام .)

الجارسون : (لدهشته تسقط منه الصينية ويأخذ في الفأفأة) : المهم . . . هو . . . أن نعرف هل احتفظت بزنبقتها . . . هل لا تزال معها زنبقتها . . .

كراجلر : (دون ان يترك أنّا ، يأخذ في الصهيل) : ماذا قال ؟ زنبقتها ؟ (الجارسون يخرج وهو يعدو). لكن قف . ياقارئ الروايات . زنبقتها ! اسمعى الكلمة التي خرجت منه ! أسمعتها ؟ لقد قالها بعاطفة مشبوبة !

أنّا : اندريه !

كراجلر : (يتطلع فيها ، منحنيا إلى الأمام . لقد ترك أنّا) قوليها مرة أخرى ! انى أستعيد الآن صوتك . (يعدو ناحية اليمين) ياجارسون ! تعال هنا ، أيها الصديق !

بابوش : (من عند الباب) ما أعجب ضحكتك ! ضحكة من لحم . ضحكة مثل بركة دم ! هل تحسّ بأن حالتك أحسن ؟

السيدة باليكه : (خلفه) أنّا ، يابنتى ! كم تثيرين فينا القلق عليك .

(في الغرفة المجاورة يعزف « فتاة بيرو »)

باليكه : (يدخل مسرعا وقد خف سكره) اجلسوا ! (يعيد اسدال الستائر ، يسمع صوت حديد) .

القمر الأحمر أمامكم ، والبنادق من ورائكم في حيّ الصحافة . لابد من الاعتماد عليكم . (يعيد اشعال كل الشموع) . اجلسوا !

السيدة باليكه : كم وجهك مقطب ! عاد الارتعاد إلى فرائصى . ياجارسون ! ياجارسون !

باليكه : أين مورك ؟

بابوش : فريدرش مورك يرقص رقصة بوسطن .

باليكه : (برقة) اعمل على اجلاسه . فحين يكون جالسا يكون نصف مملوك لنا . وإذا جلس ، لم يعد هناك مجال للعبارات الطنّانة ! (بصوت عال) : اجلسوا جميعا ! صمت ! يا أماليا ، اضبطى نفسك ! (مخاطبا كراجلر) : بحق الله الا جلست أنت أيضا .

السيدة باليكه : (تأخذ زجاجة من شراب الكيرش كانت على صينية الجارسون) شيئا من الكيرش، والاّ متّ . (تفلح مع ذلك في الوصول إلى المائدة ومعها زجاجتها . وقد جلس : السيدة باليكه ، باليكه ، وأنّا . وبابوش دار حول المائدة لا جلاسهم . والآن أمسك كراجلر ، وكان قد بقى واقفا لا يتحرك ، أمسكه من كتفيه وأرغمه على الجلوس على كرسى) .

بابوش : اجلس ، فأنت غير ثابت على قدميك ! أتريد قليلا من الكيرش ؟ من أين لك هذه الطريقة فى الضحك ؟

(كراجلر ينهض . بابوش يرغمه على الجلوس . يبقى جالسا)

باليكــه : ياأندرياس كراجلر ، ماذا تريد ؟

السيدة باليكه : ياسيد كراجلر ! امبراطورنا قال : يجب أن يعرف المرء كيف يتألم دون أن يشكو !

أنّـا : ابق جالسا .

باليكــه : أنت ، اسكتى . دعيه يتكلم . ماذا تريد ؟

بابـوش : (يقف) ربما تريد جرعة من الكيرش ؟ تكلم !

أنّـا : فكّر جيدا ، يا أندريه ! لا تقل شيئا قبل أن تفكر !

السيدة باليكه : آه ! أتريدين إذن موتى ! أمسكى عليك لسانك . أنت لا تفهمين شيئا في أى شيء .

كراجلـر : (يريد أن يقف ، لكن بابوش يمسكه جالسا على كرسيه . بجهد كبير) لو سألتمونى ، فليس من السهل الجواب . ولا أريد أن أشرب كيرش . الأمر مهم جدا .

باليكــه : دعك من هذه الترهات ! قل ما بدا لك . وبعد ذلك ، أقذف بك إلى الخارج .

أنّـا : لا ، لا .

بابـوش : يجب عليك أن تشرب ، أؤكد لك . ان ريقك جافّ . صدقنى . ، سيتحسن حالك ، بعد أن تشرب !

(في هذه اللحظة يتقدم فريدرش مورك وهو يرقص مع ماريّا ، المومس) .

السيدة باليكه : مورك !

بابوش : هناك قواعد حتّى بالنسبة إلى العبقرى . اجلس .

باليكه : برافو يافرتز Fritz ! بيّن لهذا الشخص من هو الرجل . فرتز لا يرتعد . فرتز يرفّه عن نفسه . (يصفّق)

مورك : (بطلعةٍ حزينة ، لقد شرب . يترك ماريّا واقفة ، ويقترب من المائدة) ألم تنته بعدُ هذه المهزلة القذرة ؟

باليكه : (يجره على كرسى) اسكت !

بابوش : استمر ياكراجلر ! لا تتأثر بهذا .

كراجلر : ان له أذنين ضامرتين .

أنّا : لقد كان مراسلة !

مورك : في رأسه بيضة .

كراجلر : فليذهب !

مورك : وقد ضربوه على جمجمته .

كراجلر : يجب عليّ أن أحتاط في الكلام .

مورك : وهذا ما يجعله الآن في رأسه بيضة مخفوقة .

كراجلر : صحيح ! لقد ضربونى على جمجمتى . وكنت غائبا عن هنا طوال أربع سنوات . ولم أكن استطيع

الكتابة . ولم يكن في مخّي بيضة . (صمت) .
كان ذلك منذ أربع سنوات ، وعليّ أن أحتاط
تماما . وأنت لم تتعرفيني بعد ، ولا تزالين تترددين
ولا تشعرين بذلك بعد . لكني أتكلم كثيرا .

السيدة باليكه : مخّه تصلّب تماما .

(تهز رأسها)

باليكه : تريد أن تقول حياتك لم تكن بالميسورة ؟ لقد
حاربت من أجل الامبراطور والريّش Reich ؟
متأسف من أجلك . هل تريد شيئا ؟

السيدة باليكه : والامبراطور قال : يجب أن يكون المرء قويا في
الألم . اشرب جرعة ، خذ !

(تدفع الكيرش اليه)

باليكه : (وهو يشرب ، محاولا اقناعه) لقد صمدت أمام
نار المدافع ، أليس كذلك ؟ كالصخر ؟ هذا
عظيم . جيشنا صنع المعجزات . وقد واجه الموت
ببطولة ، والابتسامة على الشفاه . اشرب ! ماذا
تريد ؟

(يقدم اليه علبة السيجار)

أنّا : اندريه ! ألم تلبس بزة رسمية أخرى ؟ ألا تزال
تلبس الأزرق ، ذلك الذى كان عندك قديما ؟ لم
يعد أحد يلبسه بعد !

السيدة باليكه : النساء كثيرات ! ياجارسون ! هات كيرشا
آخر !

(تقدم إلى كراجلر من الكيرش)

باليكـه : ونحن هنا أيضا لم نبق متعطلين لا نفعل شيئا . إذن ، ماذا تريد ؟ ليس في جيبك مليم ؟ أنت في الشارع ؟ الوطن ألجأك إلى الغناء في الأفنية بأرغن الشحاذين ؟ لا . هذه أمور يجب ألا تحدث . ماذا تريد ؟

السيدة باليكه : لا تخف ، لن تعزف بأرغن الشحاذين في الأفنية .

أنـّا : في الليل تهزم الريح ، والبحر عال ، مرحى !

كراجلـر : (وقد نهض) لما كنت أشعر جيدا بأنني ليس لى أى حق ها هنا ، فانى أرجوك ، من أعمق أعماق قلبي ، أن ترحلى معى ، بجانبي .

باليكـه : ما معنى هذه الثرثرة ؟ ماذا يقول ؟ من أعمـق أعماق قلبي ! بجانبي ! ما هذه العبارات ؟

(الآخرون يضحكون)

كراجلـر : لأنه ليس من حق أحد في العالم . . . ولأنـني لا أستطيع أن أعيش من دونك . . . من أعمق أعماق قلـبي .

(قهقهة كبيرة عالية)

مـورك : (وقد وضع قدمه على المائدة . بلهجـة باردة ، وشريرة ، وهو سكران) غُسِل غَسْلاً . التُقِط . والطين في فمه . انظر اذن إلى حذائى ! قديما كانت عندى نعال مثل نعالك ! اذهب اذن واشتر مثـل حذائى ! وعُدْ بعد ذلك ! أتعرف من أنت ؟

ماريـا : (بسرعة ، فجأة) هل كنت في الجبهة ؟

الجارسون : هل كنت في الجبهة ؟

مــورك : وأنت ، أغلق فوهتك ! (مخاطبا كراجلر) : لقد سحبت نمرة خاسرة ، لقد مررت تحت الأسطوانة ؟ لست الوحيد في هذا ، فالكثيرون مروا بنفس الشيء . حسن ! لسنا نحن الذين حركنا الماكينة . لم يعد لك وجه ؟ هل تريد أن يدفع لك ثمن وجه ؟ هل نلصق ثلاثة على جلدك ؟ أمن أجلنا انحدرت هذا المنحدر ؟ أتريد أن يقال لك من أنت ؟

بابــوش : شيئاً من الهدوء ، هيا .

الجارسون : (وهو يتقدم) هل كنت في الجبهة ؟

مــورك : لا . أنا من أولئك المكلفين بدفع ثمن مغامراتك . الماكينة فسدت .

بابــوش : دعوكم من هذه الحكايات ! فهذا شيء يبعث على الضيق . لأنك على كل حال كسبت أموالا — أليس كذلك ؟ دعك اذن من حذائك .

باليكــه : ومع هذا فإن هذا هو المهم . هنا مربط الفــرس . ليست هذه حكايات . هذه هي الواقعية السياسية . وهذا ما نفتقر اليه ، خصوصا في ألمانيا . المسألة في غاية البساطة . هل عندك الوسائل لاطعام زوجة ؟ أو ليس عندك غير كفيك المتنفختين الملتصقتي الأصابع ؟

السيدة باليكه : سامعة يا أنّا ؟ ليس عنده شَرْوَى نقير .

مــورك : أنا مستعد لأن أتزوج أمه ، لو كان عنده شيء .

(يقفز) . انه مجرد محتال على الزواج ، مبتذل .

الجارسون : (مخاطبا كراجلر) قل شيئاً ! تكلم ؟

كراجلـــر : (وقف ، يوجه الكلام إلى أنّا وهو يرتعد) لا أدرى ما يجب عليّ أن أقوله . حينما لم يكن عندنا غير جلدنا الذى يغطى عظامنا ، ومن أجل أن نقدر على الاستمرار في تكسير الحصى على الطـــريق كنا نعبّ من الكحول عبا . كثيراً ما كان يحدث ألا يكون عندنا من وسيلة غير أن نتطلع إلى السماء ، في المساء ، لكن هذا مهم جدا ، لأنه في ابريـــل بقينا معا ، راقدين في الأدغال . كنت أقول هذا للزملاء . لكنهم كانوا يتساقطون كالذباب .

أنّـــا : كالخيول ، أليس كذلك ؟

كراجلـــر : لأن الجو كان حارا جدا ، ولم نتوقف عن الشراب. لكن هـــل لى أن أحدثك عن السماء في المساء ؟ لم تكن تلك نيّتى ، ولا أدرى . . .

أنّـــا : ألم تكف عن التفكير فيّ ؟

السيدة باليكه : أتسمعينه ؟ انه يتكلم كالطفل ! المرء حين يسمعه يخجل له .

مـــورك : ألا تستطيع أن تبيعنى حذاءك ؟ من أجل المتحـــف الحربى . أنّا مستعد لأن أدفع فيه أربعين ماركا .

بابـــوش : استمر يا كراجلر . هذا ما ينبغى أن يقال .

كراجلـــر : ولم يكن عندنا قمصان . كنا في أسوأ حـــال ،

صدقيني . أتعتقدين أن أسوأ شئ ألا يكون عندنا قمصان ؟

أنـــا : اندريه ! نحن نصغى اليك .

مـــورك : اذن أنا أعرض عليك ستين ماركا . بع !

كراجلـــر : نعم ، الآن أنت تخجلين لأجلى ، أليس كذلك ؟ لانهم يجلسون هناك على طول الحائط كما في السيرك حين يستولى الفزع على الفيل الى درجة أنه يبـــول على الأرض . ومع ذلك فانهم لا يفقهون شيئا .

مـــورك : ثمانـــون ماركا .

كراجلـــر : ومع ذلك فلست قرصانا . ماذا يهمنى من هــــذا القمر الأحمر ؟ ! لا أستطيع أن أفتح عينى ، هذا كل ما في الأمر . أنا كتلة من اللحم ، وألبـــس قميصا نظيفا . ها أنتم أولاء ترون أننى لست شبحا.

مـــورك : (يقفز) اذن مائة مارك .

ماريـــا : يجب عليك أن تخجل حتى أعماق نفسك .

مـــورك : وهذا الوغد لايريد أن يتخلى لى عن حذائه مقابـــل مائة مـــارك !

كراجلـــر : أنا ، هناك شئ يتكلم . أى صوت هذا ؟

مـــورك : أصابتك ضربة شمس ! هل أنت قادر على الخروج وحـــدك ؟

كراجلـــر : يا أنا ، الصوت يقول انه لاحق لنا في سحقه .

مـــورك : هل هو وجهك حقا الذى نراه الآن ؟

كراجلـــر : يا أنّا ، ومع ذلك فان الله الحكيم هو الذى خلقه .

مــورك : هل أنت حقا الماثل أمامنا هنا ؟ ماذا تريد بالضبط؟ لكنك لست الآ جثة ! متعفنة بالفعل ! (يســـد أنفه .) أليس عندك أى احساس بالنظافة ؟ أتريد أن يضعوك في هيكل ، لأنك تشربت شمس افريقية؟ أنا ، أنا اشتغلت ! تعبت حتّى امتلأت أحذيــتى بالدم ! انظر الى يدىّ ! أنت تحظى بالعطف العام ، لأنك حاربت وضربت . لكن لست أنا الذى ضربتك . أنت بطل ، لكنى أنا شغّال . وهى ، هى خطيبتى .

بابــوش : ولكن يامورك ، حتّى وأنت جالس ، أنت شغّال ! يا كراجلر ، كان تاريـــخ العالم سيتغير لو ظلت الانسانية جالسة على عجيزتها .

كراجلـــر : لا أستطيع أن أقرأ شيئا على وجهه ، كما لو كان جدار الكنيف : مملوء بالكتابات الفاحشـــــة ! والجدار لا يملك لهذا دفعا . يا أنّا ، هل تحبـــين هذا الشخص ؟ ، هل تحبينه ؟

(أنّا تقهقه ضحكا وتشرب)

بابــوش : هذا هو صد للهجوم بواسطة قلبك ، يا كراجلر .

كراجلـــر : لا ، بل هذا انتزاع لزوائده بضربة من الاسنان ، لانه يثير في نفسى أشد التقزز . أتحبينه ؟ هذا الوجه الأخضر مثل البندقة غير الناضجة ؟ أمن أجل هذا الشخص تريدين طردى ؟ انه يلبس بذلة مـــن الصوف الانجليزى المحشوة عند الكتفين والصدر ، وفي حذائه دم . وأنا ليس عندى غير بذلتى العتيقة ،

التى أكلتها العثـــة . قــولى انك لا تستطيعين أن تتزوجينى بسبب بذلتى ، قولى هذا اذن . أناأفضّل هـــذا !

بابـــوش : اجلس اذن ، باسم الله ! الآن بدأت الرواية .

ماريـــا : (تصفق) هو هكذا تماما ! وقد رقص معــــى وهأنذى أشعر بالخزى منه ، ومن كونه قد حك أفخاذه ببطنى !

مـــورك : أنت ، لادخل لك ! ولا تحاولى ان تخدعي‌عالملك! (مخاطبا كراجلر) ألا يوجــد معك سكّينة في حذائك لتقطع بها رقبتى ، لأن الشمس في افريقية قد ضربتك على رأسك وأحدثت أوراما في مخك ؟ هيّا ، أخرج سكينتك ، لقد ضقت ذرعا ، هيـــا اقطعها !

السيدة باليكه : أنّا ، كيف تستطيعين سماع أشياء مثل هذه !

باليكـــه : يا جارسون ! هات أربع كؤوس من الكيرش ! الآن يستوى عندى كل شئ !

مـــورك : حـــذار ألا تخـــرج السكّين ! اضبط نفسك ، ولا تحاول ان تمثل دور البطل . فهذا يؤدى بـــك هاهنا الى السجن .

ماريـــا : هل كنت في الجبهة ؟

مـــورك : (خارجا عن طوره ، يرمى بكأس في اتجاههـــا مخاطبا كراجلر) لماذا لم تكن موجودا ؟

كراجلـــر : الآن وصلت .

مـــورك : ومن الذى دعاك للمجىء ؟

كراجلـــر : الآن أنا هنا موجود .

مـــورك : وغد !

أنـــا : أنت ، الأولى بك أن تسكت .

(كراجلر يدخل رأسه بين كتفيه)

مـــورك : قاطع طريق !

كراجلـــر : (بصوت خفيض) : لص !

مـــورك : شبح !

كراجلـــر : حـــذار !

مـــورك : وأنت ، حذار من سكّينك . هذا يدغدغك ، أليس كذلك ؟ شبح ! شبح ! شبح !

مـــاريا : الوغـــد هو أنت ! هو أنت !

كراجلـــر : أنا ! أنا ! ماذا أصنع ؟ أمر وأنا أترنح على بحر من الجثث : فلا يبتلعنى . وأرحل إلى الجنوب في عربات المواشى الســوداء : فلا يحدث لى شىء يحترق في جحيم النيران هذه : ونار أشد حرارة تشتعل في نفسي . رجل يصير مجنونا تحت لسعة الشمس : وليس هو أنا . اثنان آخران يسقطان في جحر ماء : وأنا أستمر في النوم أطلق النار على الزنوج . آكل

من العشب . أنا شبح .(في هذه اللحظة . . يندفع الجارسون إلى النافذة ، ويزيح الستائر . وتتوقف الموسيقى فجأة . وتسمع صيحات ونداءات : « انهم قادمون » ، « صمت » . الجارسون يطفىء الشموع . وبعد ذلك ، في الخارج ، يسمع صوت نشيد « الدولية » .)

رجـــل : (يدخل من الباب الذى على يسار) : سيداتى ، نطلب اليكم أن تحتفظوا برباطة الجأش . والرجا منكم عدم الخروج من المحل . اندلعت اضطرابات معركة في حى الصحافة . الموقف غامض .

باليكـــه : (يجلس بثقل) : الأسبارتاكيون ! أصحابك ، ياسيد أندرياس كراجلر ! أصحابك المشبوهون ! رفاقك الذين يصيحون في حى الصحافة وينشرون رائحة الحريق والجريمة ! أنتم دواب مفترسة ! (صمت .) دواب ! دواب ! لماذا أنتم دواب ؟ لأنكم تأكلون اللحم الطازج ! لابد من ابادتكم !

الجارسون : بواسطتكم أنتم يامن سمنتم !

مـــورك : أين سكينك ؟ أسحبها أذن .

ماريا والجارسون: (يذهبان نحوه) : أنت تسكت ؟

الجارسون : هذا ليس كأنّا انسانا ، بل دابة ، هذا هو

مـــورك : أسدلوا الستائر ! أشباح !

الجارسون : لعلنا نحن الذين ينبغى الصاقهم بالجدار ؟ هذا الجدار

الذى بنيناه بأيدينا ، والذى في حماه تملأون كروشكم بالكيرش !

كراجلـــر : هذه هى يدى وهذه عروقي . افتحوها . اذا مت . فسترون أنها ستدمى .

مـــورك : شبح ! شبح ! من أنت بالضبط ! أعلى أن أتنازل لك عن مكانى لأن لك بشرة أفريقى ؟ ولأنك تنبح في حى الصحافة ؟ وما شأنى أنا اذا كنت أنت قد كنت في أفريقية ؟ ماشأنى ، إذا كنت أنا لم أكن هناك ؟

الجارسون : لابد أن يسترد زوجته ! هذا ليس من الأنسانية في شيء !

السيدة باليكه : (أمام أنا وقد خرجت عن طورها) : لكنهم جميعا مصابون بأمراض ! مصابون بداء ما ! الزهرى ! الزهرى ! كلهم مصابون بداء الزهرى

بابـــوش : (يضرب بعصاه على المائدة) : لم يكن ناقصا غير هذا !

السيدة باليكه : أتريد أن تدع بنتى في سلام؟ ! أتريد أن تدع بنتى في سلام ؟ !
ياضبع ! ياسافل !

أنـــا : ياأندريه ، لاأريد ! أنت تقتلنى .

ماريــــا : السافل هوأنت !

الجارسون : هذا ليس من الأنسانية في شيء ! لابد أن يتساوى الجميع في الحقوق .

السيدة باليكه : اخرس ! ياخادم ! ياصعلوك ! أنا طلبت كيرشا ، سامع ! أنا أطردك !

الجارسون : هذه مسألة انسانية . وهى تهمنا جميعا . لابد أن زوجته . .

كراجلـــر : هيّا ، كفانى الآن ! ماالشيء الانسانى ؟ وماذا تريد هذه المرأة المخمورة ؟ لقد بقيت وحدى ، وأنا أريد زوجتى . هذا الملاك المتباكى ، ماذا يريد ؟ أتريدين أن تبيعى بالمزاد العلنى بطن بنتك كما يباع رطل من البن ؟ لو حاولتم أن تنتزعوا منّى أنّا بكلاليب من الحديد ، فلن تفلحوا إلا في تمزيق قلبها .

الجارسون : أنتم تمزقونها .

ماريـــا : نعم ، مثل رطل من البن .

باليكـــه : وليس معك ولا مليم من النقود ؟

بابـــوش : انتم تضربون اسنانه بقبضات ايديكم ، وهـــو يلفظها لكم في وجوهكم .

مـــورك : (مخاطبا انّا) لماذا سحنتك تشبه اللبن المستفـــرغ ؟ وتدعين عينيك يلتهمهما هذا الشخص ؟ وجهـــك يبدو كما لو كنت تبولت في الشوك !

باليكـــه : اهكذا تتكلم عن خطيبتك ؟ !

مـــورك : خطيبتى ! هل هى خطيبتى ؟ هل هى خطيبتى حقا ؟ ألم تتخل عنىّ فعلا ؟ ها هوذا قد عاد . هل تحبينه ؟

هل يهمك هذا ؟ هل ترغبين في الاحساس بأفخاذ افريقية ؟ أليس الأمر هكذا ؟

بابــوش : لو كنت جالسا ، ما نطقت بهذا الكلام .

انّــا : (وقد انجذبت الى كراجلر اكثر نأكثر ، تنظــر الى مورك باشمئزاز . بصوت خفيض تقول) : لكنك مخمور !

مــورك : (يجذبها بشدة اليه) اريني وجهك! اريني اسنانك! مومس !

كراجلــر : (يمسك بمورك ، ويرفعــه عن الارض . ازيــز الكؤوس على المائدة . ماريا لا تكف عن التصفيق بيديها) : لست مستقرا على قدميك ، هيا اخرج، امش من هنا ! لقد أفرطت في الشرب . انـــت لاتمسك نفسك .

(يدفعـــه)

ماريــا : ناوله، ناوله !

كراجلــر : دعيك منه ! يا انّا ،تعالى بقربي ! الآن اريــدك لى . لقد اراد ان يشترى حذائى ، ولكنى سأخلع الجاكتة. الطّلّ الثلجى قد نفذ في جلدى حــتى صار جلدى أحمر، وتحت الشمس الزاهيـــة ينفجر . وخُرْجى فارغ ، وليس معى مليم. انــا اريدك ، وانا لست جميلا . وكان علىّ حتى الآن

ان اتمالك نفسي ، ولكني سأشرب الآن . (يشرب) وبعد هذا نرحل. تعالى !

مــورك : (وقد انهار تماما ،وكتفاه التويا ، يقول لكراجلر بصوت شبه هادئ) : لا تشرب ! انت لا تعرف كل شئ ! انس هذا كله. كنت مخمورا ، صحيح هذا. لكنك لا تعرف كل شئ ، يا انّا ، (وهو في صحو تام) اخبريه ! ماذا تريدين ان تفعلى ؟ وانت في هذه الحال ؟

كراجلــر : (لا يستمع اليه) : لا تخافي يا انّا ! (وفي يــده كأس من الكيرش) لن يصيبك شئ ، لا تخافي ! سنتزوج. وسأستطيع التخلص من المأزق .

الجارسون : برافـــو !

السيدة باليكه : اوباش !

كراجلــر : من لديه ضمير مفرط ينتهى بأن يصبح ديــكا روميا. ومن يصبر صبرا مفرطا يدع الآخريــن يأكلون الصوف الذى على ظهره . هذا قانــون الغابة .

انّــا : (تندفع فجأة وتسقط على المائدة) : يا اندريه ، ساعدنى ! النجدة يا اندريه.

كراجلــر : (ينظر اليها مندهشا) : ماذا جرى ؟

انّــا : اندريه ، لا ادرى ، انا بائسة جدا يا اندريـــه! لا استطيع ان اقول لك شيئا . لاتلق علىّ اسئلة . (ترفع عينيها .) لا استطيع ان اكــون لك. الله

يعلم ذلك . (تفلت الكأس من يد كراجلر) . واتضرع اليك ايضا ان تذهب يا اندريه !

(صمت . في الغرفة المجاورة يسمع صوت الرجل الذى عرفناه منذ قليل ، وهو يقول ، : « ماذا يجرى ؟ » الجارسون ، ملتفتا ناحية الباب الذى عن يسار ، وهو يتكلم الى الخارج ، يجيب عليه)

الجارسون : العاشق القادم من افريقية ، والذى جلده مثل جلد التمساح ، انتظر اربع سنوات ، والخطيبة لاتزال الزنبقة في يدها . لكن العاشق الآخر ، وهو رجل يلبس حذاء بزراير ، لا يريد ان يتخلى عنها ، والخطيبة ، وهى تمسك دائما بالزنبقة في يدها ، لاتدرى الى اى ناحية تميل .

صوت : هذا كل ما في الأمر ؟

الجارسون : والثورة المشبوبة في حى الصحافة تلعب دورها ، وهناك سر تكتمه الخطيبة ، سر لم يطلع عليه العاشق القادم من افريقية ، الذى انتظر اربع سنوات . المسألة لا تزال غير معلومة تماما .

الصوت : الم يتخذ قرار ؟

الجارسون : لاندرى ابدا الى اى شئ ستنتهى هذه الحكاية .

باليكه : يا جارسون ! هؤلاء الأوباش ؟ الا نستطيع التخلص من هذا البق واحتساء شرابنا بهدوء ؟

(مخاطبا كراجلر :) هل سمعت الآن ؟ مبسوط ؟ اخرس اذن ! كانت الشمس محرقة جدا ؟ كانت

افريقية هى السبب . هـذا مكتوب في كتـاب الجغرافيا . وكنت بطلا ؟ سيكتب ذلك في سجل التاريخ . لكن في السجل الكبير لا شئ . ولهذا فان البطل سيعود الى افريقية . هذا كل ما في الأمـر . يا جارسون ! أخرِج هذا الشخص !

(الجارسون يمسك بكراجلر ويجره . كراجلر يأخذ في السير بتثاقل وبطء . وعن يساره ماريا المومس ، تتبعه)

باليكـه : أية مهزلة قرود هذه ! (يأخذ في الصياح وراء كراجلر لكسر الصمت.) لقد أردت شراء لحم ؟ ليس ها هنا سوق الدواب ! احزم قمرك الأحمر واذهب لتعزف لحنا صغيرا لشمبا نزياتك . إنى أهزأ بنخيلك ، أنا ! ثم إنك لست غير شخصية في رواية . أبرز اذن شهادةميلادك ؟ (كراجلر خرج)

السيدة باليكه : كفَّ عن الصياح ! لكن ماذا بك هكذا ، أتريد أن تشرب تحت المائدة مع الكيرش [1] ؟

باليكـه : لكن أى سيماء عليه ! كأنه ورق ممضوغ !

السيدة باليكه : لا ، لكن انظر إلى هذه البنت المسكينة ! ماذا جرى لك أذن ؟ آه ، كفى الآن !

(أنّا جالسة إلى المائدة صامتة ، شبه غائصة بين الستائر . وأمامها كأس)

مـورك : (يذهب ناحيتها ، ويتشمم الكأس) : فلفل ،

---

(١) اى هل ستشرب حتى تتمرغ تحت المائدة

وايم الله ! (تنتزع منه الكأس بازدراء .) آه ، حسن ، أنافاهم . ماذا تريدين اذن أن تفعلى بهذا الفلفل ؟ ألا تريدين أيضاً حمام مجلس ساخن ؟ أنت يجب تعليمك كيف تسيرين سيرا مستقيما . أنت تثيرين الاشمئزاز في نفسي .

(يبصق ، ويرمى بالكأس على الارض . أنّا تبتسم يسمع أطلاق مدافع المترليوز)

بابـوش : (عند النافذة) : لقد بدأ ؛ الجماهير ثارت ؛ الأسبارتاكيون ثاروا . الجريمة تستمر . (الكل مُسَمَّرون ، وآذانهم مرهفة)

★★★

الفصل الثالث

(ركب الفالكيرى)

شارع في حى الصحافة

(سور من القرميد الأحمر لثكنة ، يعترض المسرح وينزل من اليسار ناحية العمق إلى اليمين . من ورائه تشاهد المدينة في الضوء المتحلل للنجوم . الوقت وقت الليل . ريح)

ماريّـــا : إلى أين تعدو اذن ؟

كراجلــر : (بدون طاقية ، والياقة واقفة ، ويداه في جيوبه ، يدخل المسرح وهو يصفر) : ماهذا الشيء الأحمر؟

ماريــا : لاتجر هكذا .

كراجلــر : ألا تستطيعين متابعتى ؟

ماريــا : هل أنت خائف من أن يطاردوك ؟

كراجلر : أنت تريدين كسب نتبود ؟ ، أين غرفتك ؟

ماريــا : كلامك هذا ليس لائقا .

كراجلــر : نعم .

(يريد أن يواصل مسيرته)

ماريــا : أنا مصابة في رئتى .

كراجلـــر : لست ملزمة بمتابعتى !

ماريـــا : ولكن هذه . . .

كراجلـــر : أف ! سيمحى هذا ! سيغسل ! سيشطب !

ماريـــا : وماذا أنت صانع الآن حتى باكر صباحا ؟

كراجلـــر : توجد سكاكين .

ماريـــا : يايسوع ! يامريم !

كراجلـــر : هدئى من روعك : لاأحب أن أسمعك تصيحين هكذا، يوجد أيضاً كحول . ماذا تفضلين ؟ يمكننى محاولة الضحك ، إذا كان هذا يسرك . قولى لى هل ألقى بك في عرض الشارع قبل تناولك الأول ؟ أتدخنين ؟ (يضحك) هيا بنا بعيدا !

ماريـــا : الرصاص يطلق في حى الصحافة .

كراجلـــر : ربما كانوا في حاجة الينا في الناحية .

(يخرجان . ريح . يدخل رجلان يسيران في نفس الاتجاه)

الرجل الأول : أعتقد أن الأحسن أن نفعله هاهنا .

الثـــانى : من يدرى هل هناك يمكن أيضا . . .

(يبولان على الجدار)

الأول : المـــدفع .

الثـــانى : يا ألله ! في شارع فريدرش .

الأول : هناك حيث كنت تبيع خموراً مغشوشة .

الثـــانى : هذا القمر يكفى كى يجعلك مجنونا !

الأول : خصوصا حين يبيع المرء في السوق السوداء دخانا متعفنا !

الثـــانى : نعم ، لقد تاجرتُ في دخان متعفن ، لـــكنك كدّست أناسا في جحور فئران .

الأول : فيم يفيدك هذا الكلام ؟

الثـــانى : لن أشنق وحدى !

الأول : أتعرف ماذا صنع البلشفيك ؟ أرنى يديك ! ليس فيها انتفاخات !
بف ، باف ، (الآخر ينظر في يديه) بـــف ، باف ! ، انهم يستشعرونه !

الثـــانى : يا الحى !

الأول : سيكون جميلا أن تعود إلى بيتك وعلى رأسك قبعة أسطوانية !

الثـــانى : وأنت أيضا تلبس نفس القبعة .

الأول : نعم ، ولكنها منبعجة ياعزيزى .

الثـــانى : أستطيع أنا أيضا أن أبعج قبعتى .

الأول : ياقتك الصلبة أسوأ من حبل مغسول بالصابون .

الثـــانى : انها تصير طرية من كثرة عرقي ، ولكنك تلبس حذاء بزراير !

الأول : وكرشك !

الثـــانى : وصوتك !

الأول : ونظرتك ، ومشيتك ، وطريقتك في عرض نفسك !

الثاني : نعم ، كل هذا سيتسبب في شنقي في أول عمود نور ، ولكنك أنت عليك سيما المثقف !

الأول : عفوا ، أذني على شكل القنبيط ، وشحمة أذني خرقتها رصاصة ، ياسيدي العزيز .

الثاني : يا لله !

(كلاهما يذهب . ريح . ركب الفالكيري [1] يدخل من ناحية اليسار : وأنّا يبدو أنها تهرب . وبالقرب منها مانكه Manke الجرسون في بار بيكادلي ، وهو ملتف بمعطف المساء ، وسلوكه سلوك مخمور . وخلفهما يأتي بابوش وهو يجبر مورك السكران كل السكر ، ووجهه شاحب ، وملامحه منتفخة) .

مانكه : لا تترددي ! لا تفكري ! لقد رحل ! حملته الريح ! ربما ابتلعه حي الصحافة . الرصاص يطلق في كل مكان ، وفي ناحية حي الصحافة يحدث كل شيء ، خصوصا في هذه الليلة ، وليس من المستحيل أن يردى قتيلا بالرصاص . (يحاول إقناع أنّا ، على طريقة السكارى) حين يطلق

---

(١) Walkyrie : كلمة شمالية الاصل، من الكلمتين: فال Wal = ساحة المعركة + كيريا Kyri a = التى تختار . وتطلق على ثلاث الاهات (أو فتيات الاهات) يفصلن فى امر المحاربين ويحددن من ينبغي ان يموت فى ساحة القتال ، ويسقنهم الى الفلهلا ، وهى قاعة الاله اودين التى ترسل اليها ارواح الابطال الدين قتلوا في ساحة الحرب .

الرصاص ، يمكن المرء النجاة ، ويمكنه أيضا ألا ينجو . على كل حال ، بعد ساعة ، لن يجـــده أحد . سيذوب مثل الورق في الماء . لقد أصابـــه القمر . ويتبع اى ناعق . هيّا ! أنقذيه ، وهو الذى كان ، لا ، وهو الذى لا يزال عاشقك وحبيبك .

بابــوش : (يتوقف امام انّا) ففى ، كل ركب الفالكيرى ! إلى اين انت ذاهبة ؟ الجو بارد ، والريح تعصف ، وهو قد استقر في حانة من الحانات . (مقلـــدا الجارسون) : هذا الذى انتظر اربع سنـــوات ، لا احد الآن يستطيع ان يعثر عليه بعد !

مــورك : لا احد ، لا احد ابدا .

(يجلس على حجر)

بابــوش : انظر إلى هذا !

مانــكه : وماذا يهمنى منه ! قدم اليه معطفا ! لكن لا تضيع الوقت. وهذا الذى انتظر اربع سنوات ، هاهو ذا الآن يعدو اسرع من هذه السحب ! لقد اختفـــى اسرع من هذه الريح .

مــورك : (بعدم اكتراث) كان في « البونش [1] » لون . ثم ان كل شيء كان جاهزاً ! جهاز العرس كامل ، والشقـــة تم استئجارها . تعـــال بالقرب منى ، يا باب [2] !

---

(١) شراب مؤلف عادة من الكحول وعصير الليمون والتوابل والشاى والماء

(٢) ترخيم لاسم بابوش

مانـــكه : (مخاطبا ازا) لماذا تبقين واقفة هكذا مثل زوجة لوط ؟ هنا ليست عمُورة [1] ! هل يعجبـــك هذا الشخص المخمور البائس ! فات الأوان لعمل شيء آخر . اهو بسبب جهاز العرس ؟ اهـــذا سيمنع السحب من الجرى ؟

بابـــوش : لكن ، قل ، هل هذا من شأنك ؟ هل السحب من شأنك ؟ ما انت الا مجرد جارسون في مقهـــى ، اليس كذلك ؟

مانـــكه : كيف يهمني هذا ؟ في كل مرة يشهد امرؤ عملا خسيسا دون ان يتحرك ، فان النجوم تخرج عن مسالكها . (يمسك برقبته بين يديه) . وانا ايضا اطاحت بي هذه الدوامة . انها تمسك بمخنقـــى ! يجب الا يكون المرء خسيسا . حين يشاهد انسانا يغرق .

بابـــوش : ماذا تقول ؟ يغرق ؟ من الذى يتحدث عن الغريق ؟ أنا أقول لك : سيسمع صراخ ، وخوار ثيران ، في حى الصحافة ، من الآن حتى الصباح . وسيصبح الأمر في أيدى الغوغاء الذين يعتقدون أن الوقت قد حان لتسوية حسابات قديمة !

مـــورك : (وقد نهض ، ينوح . مخاطبا أنّا) : لماذا تجرينى هكذا في الريح ؟ أرغب في القيء ، لماذا ترحلـــين ؟ ماذا جرى ؟ أنا في حاجة اليك . ليس هذا من أجـــل جهاز العرس .

---

(١) قرية النبى لوط

أنّــا : لا أستطيع .

مــورك : لا أستطيع أن أمسك نفسى على ساقيّ .

مانــكه : اذن أجلس ! لست الوحيد في هذا . هذا يُعْدِى . سيصاب الأب بنوبة قلبية ، والأم ، هذه الكانجورو المخمورة ، لا تكفُّ عن البكاء . لكن البنت تنزل إلى الأحياء الوضيعة ، بحثا عن حبيبها الذى انتظر أربع سنوات .

أنّــا : لا أستطيع .

مــورك : جهاز عرسك على التمام . والأثاث موجــود في الشقة .

مانــكه : والبياضات مطوية ، ولكن العروس لا تحضر .

أنّــا : جهاز عرسى اشترى ، وقد رتبته في الصــوان ، قطعة بعد قطعة ، ولكنى لا أحتاج اليه الآن . والشقة استؤجرت ، والستائر وضعت . ولا تنقص ولا سجادة واحدة . لكن وصل هذا الذى لا يمــلك غير بذلة مزقتها العثة ولا يلبس حذاء .

مانــكه : وحىّ الصحافة ابتلعه ! والحانة ترّصده ! الليل ! البؤس ! الغوغاء ! أنقذيه !

بابــوش : وكل هذا يؤلف مسرحية : ملاك المراقص الشعبية .

مانــكه : نعم ، الملاك .

مــورك : وتريدين أن تذهبي إلى مدينة فريدرش؟ لاشيء يمنعك؟

أنّــا : لا ، أرى مانعا .

مـــورك : لا شيء ؟ ألا تريدين أن تفكرى قليلا في « الشيء الآخر » ؟

أنـّــا : الحبل هو الذى شدّنى .

مـــورك : وهو لا يحجزك ؟

أنـّــا : لقد انقطع الآن .

مـــورك : ولا تكترثين لولدك ؟

أنـّــا : لا أكترث له .

مـــورك : لانه وصل من ليس له بذلة ؟

أنـّــا : لم أكن أعرفه قبل ذلك .

مـــورك : لكنه لم يعد هو هو !لم يكن ممكنا أن تكونى قد عرفته !

أنـّــا : لقد كان ماثلا هناك كالحيوان في وسط دائرتك . ثم ضربتموه كما يضرب الحيوان !

مـــورك : وأخذ ينوح كما تنوح المرأة العجوز !

أنـّــا : وأخذ ينوح كما تنوح المرأة العجوز !

مـــورك : ثم مضى وتركك هناك .

أنـّــا : ومضى وتركنى هناك .

مـــورك : لقد انقضى أمره !

أنـّــا : لقد انقضى أمره !

مـــورك : لقد رحـــل . . .

أنـّــا : لكن في نفس اللحظة التى رحل فيها ، وانقضى أمره . . .

مـــورك : لم يحدث شيء ، لم يحدث أى شيء .

أنّـــا : حدثت وراءه دوامة وحركة نسيم خفيف ، لكنه قـــوى جدا ، أقوى من كل شيء . وحينئذ ذهبت أنا ، والآن وصلت ، وانقضى أمر كلينا معا هو وأنا . أين ذهب ؟ الله وحده يعلم أين هو ! العالم واسع ، فأين عساه هو ؟ (تتطلع في مانكه بهدوء ، وتقول له بلهجة خفيفة) : ارجع إلى حـــانتك ، أشكرك ، وأعده إلى هناك ! أما أنت يابابوش ، فتعال معى !

(تخرج وهى مهرولة من ناحية اليمين)

مـــورك : (باكيا) أين ذهبت ؟

بابـــوش : الآن ، ياعزيزى ، ركب الفالكيرى ، موجـــود في البحيرة .

مانـــكه : اختفى الحبيب ، لكن المحبوبة تطير اليه عـــلى أجنحة الحب . عرف البطل السقوط ، لـــكن صعوده يتهيأ الآن .

بابـــوش : لكن الحبيب سيلقى بالحبيبة في النهر وسيفضـــل السماء على النزول إلى العالم السفلى . آه ! يالك من رومانتيكى !

مانـــكه : لقد اختفت ، وهرولت إلى حىّ الصحافة . ولا تزال ترى هناك ، شبيهة بالشراع الابيـــض ، والفكرة الطاهرة ، والمقطوعة الأخيرة من قصيدة ، والبجعة الأنيقة وهى تنساب على الأمواج . . . .

بابـــوش : وماذا سيحدث لهذا المرج المبتل بالكحول ؟

مـــورك : سأبقى ها هنا . الجو بارد . فإن زادت البرودة ، عادوا . أنت لا تفهم في هذا شيئا ، لانك تجهل الباقي . دعهم يجروا . انه لن يأخذ اثنتين ! لقـــد ترك واحدة ، وإن اثنتين لتجريان وراءه .

(يضحك)

بابـــوش : ها هى ذى ، والله ، تطير كالمقطوعة الأخيرة من قصيدة !

(يمضى في نفس الاتجاه)

مانـــكه : (يصيح فيه) مقهى جالـــوب Glubb ، فـــى شارع الشوسيه ! المومس التى كانت معه محلهـــا المختار هو في مقهى جلوب ! (يمد ذراعيـــه ، بصوت فخم) : الثورة تبتلعهم ، فهل سيلتقون ؟

* * *

الفصل الرابع

(ينبلج فجر)

حانة صغيرة

(جلوب ، صاحب الحانة ، يلبس ملابس بيضاء ، ويغنى شكوى الجندى القتيل ، بصاحبة الماندولين . لار Laar ورجل أسمر سكران لايتوقفان عن النظر الى اصابعه . رجل قصير ربعة ، اسمه بولتروتر Bulltrotter يقرأ الجريدة . مانكه ، الجارسون، يشرب مع أوجستا ، وهى مومس . الجميع يدخنون)

بولتروتر : أريد ماء حياة ، ولا أريد جنديا قتيلا ، وأريد أن أقرأ الجريدة ، ومن أجل هذا لابد لى من شرب ماء الحياة ، والا فلن أفهم ما أقرأ ، بحق الله !

جلوب : (بصوت بارد لامعنى له) : ألست راضيا هنا ؟

بولتروتر : نعم ، لكن الآن توجد الثورة .

جلوب : ما الفائدة ؟ عندنا حثالة المجتمع مبسوطة ، ولازارس يغنى .

الرجل المخمور : الحثالة هى أنا ، وأنت لا زارس .

عامل : (يدخل ويذهب الى الكونتوار) : نهارك سعيد ، يا كارل .

جلوب : مستعجل ؟

العامـــل : الساعة الحادية عشرة ، في ميدان السجن .

جلـــوب : تروى أشياء كثيرة .

العامـــل : فرقة الحرس تحتل منذ الساعة السادسة المحطـــة . وفي « الى الامام » كل شئ يسير سيرا حسنا . في يوم كهذا اليوم نفتقر الى باول .

(صمت)

مانكـــه : هنا ، عادة ، لايتحدثون عن باول.

العامـــل : اليوم ليس يوما عاديا .

(يخـــرج)

مانكـــه : (يخاطب جلوب) : وفي نوفمبر كانت الحـــال عادية ؟ ما يفتقرون اليه هو قطعة من الخشب في اليد ، وشعور يلصقها في الاصابع .

جلـــوب : (ببرود) : هل تريد شيئا ياسيدى ؟

بولترّوتر : الحيويـــة !

(يخلع سترته ويحل ياقته)

جلـــوب : بناء على تعليمات الشرطة ممنوع الشرب بـــدون السترة .

بولترّوتر : رجعـــى !

مانكـــه : حاول اذن أن تغنى نشيد الدولية ، بأربعة أصوات ، مع التريمولو ! الحرّية ! وفي هذه اللحظة سيّـــد بأكمـــام نظيفة يكلّف بتنظيف الكنيف ، أليس كذلك ؟

جلـــوب : أنت تفسد الرخام : انه من خشب .

أوجـــستا : وذوو الأكمام البيضاء ليس عليهم اذن أن ينظفوا الكنيف ؟

بولتروتو : أنت ، ياصغيرتي ، سيلصقونك على الحائط .

أوجـــستا : في هذه الحالة يرجى من ذوى الأكمام البيضاء أن يضعوا غطاء على مخارجهم .

مانكـــه : يا أوجستا ، أنت مبتذلة .

أوجـــستا : عليكم أن تشعروا بالخزى والعار ، يا عصابة من خنازير . ما يلزم هو انتزاع أحشائكم ، ومكانكم ، يامن تلبسون أساور قميص ، هو على عمودالنور . يا آنسة ، رخّصي الأجرة ، فقد خسرنا الحرب ! ما عليك الا أن تمتنع عن الجنس اذا لم يكن معك فلوس ، وأن تمتنع عن خوض الحرب اذا لم تكن قادرا عليها . وأنت ، ارفع رجليك من فـــوق المنضدة ، حين يكون ثم سيدات ! هل أنا ملزمة باستنشاق رائحة أقدامكم الكريهة ، ياقليلي الأدب !

جلـــوب : لكن أكمامه ليست بيضاء أبدا .

الرجل المخمور : الذى نسمعه يتدحرج على الاسفلت ؟

مانكـــه : مدافـــع !

الرجل المخمور : (ينظر الى الآخرين بتهانف ، وهو شاحـــب) : ما هذا الذى يسمع هكذا وهـــو يتدحرج عـــلى الاسفلت ؟

(جلوب يسرع الى النافذة ويفتحها دفعة واحدة .

تسمع أصوات المدافع وهى تدرج في الشـــارع . الجميع يذهبون الى النافذة) .

بولتروتر : هؤلاء هم الخنافس ، فرقة الحرس !

أوجســـتا : بحق العذراء المقدسة ، الى أين هم ذاهبون ؟

جلـــوب : الى حى الصحافة ، من غير شك . انهم قراء !
(يغلق النافذة)

أوجســـتا : بحق العذراء المقدسة ، من هناك عند الباب ؟

(كراجلر عند المدخل ، يترنح كأنه سكران ، ويضع قدما على قدم)

مانكـــه : هل أنت بسبيل أن تبيض بيضة ؟

أوجســـتا : من أنت ؟

كراجلـــر : (بتهانف شرير) : لاأحـــد

أوجســـتا : لكن العرق يتصبب على رقبته ! هل أنهكك الجرى الى هذا الحـــد ؟

الرجل المخمور : هل أنت مصاب باسهال ؟

كراجلـــر : لا ، ليس عندى اســـهال .

مانكـــه : (وقد ذهب اليه) : اذن ، أية جريمة ارتكبت ، يارجل ، أنا أعرف هذا النوع من الشحنات .

ماريـــا : (تظهر خلفه) : لم يرتكب جريمة . بل أنا الـــتى دعوته ، يا أوجستا . انه لايدرى الى أين يذهب . انه عائد من افريقية ! (مخاطبة كراجلر) :اجلس
(كراجلر يظل واقفا عند عتبة الباب)

مانكـــه : أسير ؟

ماريـــا : نعم ، ومفقود .

أوجســـتا : ومفقود أيضا ؟

ماريـــا : وأسير . وفي تلك الاثناء اختطفوا منه خطيبته .

أوجســـتا : اذن تعال هاهنا بالقـــرب مـــن ماما . اجلس ، يامدفعى . (مخاطبة جلوب :) خمس كاســـات مزدوجة من الكيرش ، يا كارل !

(جلوب يملأ خمس كؤوس ، ومانكه يصفهـــا على الكرسى المستدير)

جلـــوب : وقد خطفوا منى في الاسبوع الماضى دراجة .

(كراجلر يتوجه ناحية الكرسى المستدير)

أوجســـتا : حدثنا عن افريقية .

(كراجلر لا يجيب ، ولكنه يشرب)

بولتروتر : تستطيعين الذهاب اليها . افرغى حقيبتك : صاحب المحـــل احمر .

جلـــوب : أنا ماذا ؟

بولتروتر : أحمـــر .

مانكـــه : شيئا من الأدب ، ياسيد ، لاشىء هنا أحمر ، ياسيد.

بولتروتر : حسن . أنا لم أقل شيئا .

أوجســـتا : وماذا فعلت هناك ؟

كراجلـــر : (مخاطبا ماريا) : أطلقت الرصاص على بطـــون

الزنوج ، وغطيت الطرق بالأحجار .

(هى تسعل) اذن دائما رئتاك ؟

أوجستا : وكم بقيت هناك ؟

كراجلر : (يخاطب دائما ماريّا) : سبعة وعشرين .

ماريا : شهرا .

أوجستا : وقبل ذلك ؟

كراجلر : قبل ذلك ؟ كنت في جحر مملوء بالطين .

بولتروتر : وماذا كنت تعمل فيه ؟

كراجلر : لأتعفن فيه .

جلوب : أجل ، كان في مقدورك أن لاتعمل شيئا كما تشاء.

بولتروتر : وفي افريقية ، كيف الفتيات ؟

(كراجلر يسكت)

أوجستا : لا تكن مبتذلا هكذا

بولتروتر : وحينما رجعت ، لم تكن هى في البيت ، أليس كذلك ؟ لقد كنت تظن أنها في الصباح ستأتى الى الثكنة في انتظارك ، وسط الكلاب ؟

كراجلر : (مخاطبا ماريّا) : هل ألكمه لكمة على شدقه ؟

جلوب : لا، ليس بعد . لكنك يمكنك ان تجعل الاوركسترا الميكانيكى يعزف . هذا ، نعم .

كراجلر : (ينهض مترنحا ، ويحيي التحية العسكرية) : تحت أمرك .

(يشغل الاوركسترا الميكانيكى)

بولتروتر : عاطفيات !

أوجستا : ليس عنده شعور أكثر مما عند الجيفة ، انه في عداد الموتى .

جلوب : أجل ، أجل ، أجل . لقد أهين بعض الاهانة . لكن العشب سينمو على هذه الحكاية .

بولتروتر : اذن ، قل له ، ألست أحمر ؟ يا جلوب ، ألم يجر الحديث عن ابن أخ ؟

جلوب : نعم ، جرى الحديث عن هذا . ولكن ليس في هذا المقهى

بولتروتر : لا ، ليس في هذا المقهى . عند سيمنس .

جلوب : ليس من وقت بعيد .

بولتروتر : عند سيمنس ، ليس من وقت بعيد . كان عاملا على آلة تشكيل ، ولكن ليس لمدة طويلة . كان عاملا على آلة تشكيل حتى شهر نوفمبر ، أليس كذلك ؟

الرجل المخمور : (الذى لم يفعل حتى الآن غير انه كان يضحك ، يأخذ في الغناء) :

مات اخوانى ولم يفلت أَحَدْ
وأنا كدتُ ألاقي مصرعى .
كنتُ في تشرين أحمر ،
غير أنّا في يناير .

جلــوب : ياسيد مانكه ، هذا السيد لايريد أن يضايق أحدا . اعمل الواجب

كراجلــر : (وقد أمسك بأوجستا من خصرها وأخذ يقفــز معهــا) :

دخل الكلب الى المطبخ
واستل من الطبّاخ بيضه
فأتى الطباخ بالسّاطور
وانقض على الكلب فقدّه .

الرجل المخمور : (وقد تمزق من الضحك) : عامل على آلة تشكيل لمدة غير طويلة .

جلــوب : أرجوك ألا تفسد عليّ الكؤوس ، يا مدفعى !

ماريــا : الآن هو سكران . آلامه أقل .

كراجلــر : آلامه أقل ؟ عزّ نفسك دائما ، يا أخى العربيــد ، قائلا لنفسك : كل هذا غير موجود .

أوجســتا : اشرب أنت .

الرجل المخمور : ألم يجر الحديث عن ابن أخ ؟

كراجلــر : ما الخنزير في نظر الله الآب ، يا أختى المومس ؟ لا شئ .

الرجل المخمور : لكن ليس في هذا المحــل .

كراجلــر : ولم لا ؟ هل يمكن الغاء العسكريين أو الله الرحمن؟ هل تملك ان تلغى التعذيب أيها المالك الأحمــر ، وألوان التعذيب التى علّمها البشر أنفسهم للشيطان؟

لست قادرا على هذا . لكن أن تقدم ماء حياة ، فهذا في وسعك . اذن اشرب وأغلق الباب ،لاتدع الريح تدخل، الريح التي تشعر بالبرد هي الأخرى، لكن أسدل الستائر الخشبية .

بولتروتر : صاحب المحل يقول انه وقعت اهانة ، وظلم ، ولكنه يقول ان العشب سينبت من فوقها .

كراجلر : سينبت ؟ قلت : ظلم ، يا أخي صاحب المحل، يا صاحب المحل يا أحمر ؟ ما أضحك كلمة : ظلم . انهم يخترعون كثيرا من الكلمات الصغيرة هكذا . ويلقون بها في الهواء ، وبعد ذلك يستطيعون أن يذهبوا للنوم وأن ينتظروا أن يمر هذا . والأكبر يضرب وجه الأصغر ، والسمين يصنع زبدته . هنا لك ينبت العشب جيدا .

الرجل المخمور : على ابن الاخ ، الذى ليس موضوعا للحديث .

كراجلر : فأتى باقي الكلاب

حفروا للمَيْت قبرا

وعلى الشاهد خطوا

دخل الكلب الى المطبخ . . .

ولهذا ينبغى علينا ان نتفاهم فيما بيننا على خير وجه ونحن في هذا الكوكب الصغير ، الجو بارد هنا ومظلم شيئا ، أيها المالك الأحمر ، والعالم أشد شيخوخة من أن يكون له مستقبل أفضل ، والسماء قد استؤجرت ، يا أعزائى .

ماريـــا : ماذا سنفعل ؟ هو يقول انه يريد أن يذهب الى حى الصحافة . لكن ماذا يجرى هناك ؟

كراجلـــر : عربة تذهب الى بار البكادلى .

أوجســـتا : هل هى فيهـــا ؟

كراجلـــر : انها فيها . نبض عادى جدا ، أمسكى .

(يبسط يده اليسرى ، ويشرب باليد الأخرى)

ماريـــا : اسمه اندرياس .

كراجلـــر : اندرياس . نعم ، اندرياس كان هو اسمى .

(يستمر في جس نبضه ، وكأنه ذاهل)

لار : كانت خصوصا أشجار صنوبر ، صغيرة .

جلـــوب : آه ! ، ها هوذا الحجر الذى أخذ في فتحه .

بولتروتر : وهنالك بعت ، يامغفل .

لار : من ؟ أنا ؟

بولتروتر : آه ! حكاية البنك ! شائق ، يا جلوب ، ولكـــن ليس في هذا المقهى .

جلـــوب : أهانوك ؟ لكنك قادر على ضبط نفسك . اذن ، اذن ما عليك الا أن تضبط نفسك ! لو نزعـــوا منك جلدك ، فلا تتحرك يا مدفعى ، والا انشـــق بالطول ، وليس عندك غيره (يستمر في غســـل الكؤوس) آه ! أجل ، لقد أهانوك اهانة بسيطة ، ضربوك بالسيف ، واطلقوا عليك دانات المدفع ، واستولوا عليك ، وبصقوا عليك . ثم ماذا بعد ذلك؟

بولتروتر : (وهو يرى الكؤوس) : ليست نظيفة بعد؟

الرجل المخمور : اغسلنى يا ربى حتى أصير أبيض ! اغسلنى حتى أصير أبيض كالثلج ! (يغنى)

مات اخوانى ولم يفلت أحد

وأنا كدت ألاقي مصرعى .

كنت في تشرين أحمـــر ،

غير أنّا في يناير .

جلـوب : كــفى .

أوجســتا : يا عصابة الجبناء !

بائعة جرائد : (تدخل) : الاسبارتاكيون في حى الصحافــة ! روزا الحمراء تخطب في الهواء الطلق بحديقـــة الحيوان ! هل نتحمل وقتا طويلا انفجارات الغوغاء أين الجيش؟ عشرة ملاليم ، يامدفعى ، أيـــن الجيش؟ عشرة ملاليم .

(لما لم يشتر أحد الجريدة تخرج)

أوجســتا : وليس ثم باول !

كراجلـــر : استؤنف اطلاق الرصاص ؟

جلـــوب : (يغلق بالمفتاح صوان زجاجات الليكير ، ويجفف يديه) : سنغلق المحل .

مانكـــه : لنسرع يا أوجستا ! لك يقال هذا الكلام، فلنسرع ! (مخاطبا بولتروتر) : وأنت ياسيدى؟ ماركـــان وستون بفنج .

بولتروتر : شهدت معركة جتلند. ولم يكن الأمر سهلا.

(الكل ينهضون)

الرجل المخمور : (معانقا ماريّا) : وغدة جميلة، ملاك ناعم، سبح معه في بحر الدموع هذا.

كراجلـــر : الى حي الصحافة معنا!

دخل الكلب الى المطبخ

واستل من الطباخ بيضه

فأتى الطباخ بالساطور

وانقض على الكلب، فقدّه.

(لار، الفلاح، يذهب مترنحا الى الاوركسترا الميكانيكى، وينتزع منه الطبلة، ويتبع الآخرين وهو يقرع الطبلة)

★ ★ ★

الفصل الخامس

(السرير)

جسر من خشب

(صيحات ، قمر أحمر كبير)

يابــوش : كان الواجب عليك أن تعودى إلى بيتك .

أنــا : لا أستطيع بعد . وما الفائدة ؟ لقد انتظرت أربع سنوات بصحبة صورته الشمسية ، ثم أخذت شخصا آخر . كنت أخاف في أثناء الليل .

يابــوش : لقد فرغت سيجاراتى . ألا تُريدُ العودةَ إلى بيتِكَ أبدا ؟

أنــا : اسمع !

يابــوش : انهم يمزقون الجرائد ، ويلقون بها في برك الماء ، ويسبون الترليوزات ، ويطلقون الرصاص على الوجود ، ويحسبون انهم يبنون عالما جديدا . وها هى ذى عصابة أخرى قد قدمت .

أنــا : ها هوذا !

(كلما اقتربت الجماعة نشأ اضطراب كبير في الأزقة المجاورة . طلقات النار تندفع فى اتجاهات عديدة) .

أنـّـا : الآن ، سأخبره .

بابـوش : سأغلق فمك .

أنـّـا : لست بلهاء . الآن ، سأصيح .

بابـوش : وأنا الذى ليس معه بعد سيجار !

(ينبثق من بين البيوت جلوب ، ومانكـه ، والامرأتان ، واندرياس كراجلر

كراجلـر : أنا مبحوح . افريقيـة تخرج من ثقوب أنفـى . سأشنق نفسى .

جلـوب : الا يمكنك أن تشنق نفسك غدا ، وتأتى معنا الآن إلى حى الصحافة ؟

كراجلـر : (وهو يحدق في أنـّا) بلى !

أوجسـتا : أترى رؤيا ؟

مانـكه : ماذا جرى لك ياصاحبى ، ان شعرك يقف عـلى رأسك !

جلـوب : أهى ؟

كراجلـر : نعم ، ماذا هناك ، أتتوقفون ؟ سأذهب بكم إلى حيث تقتلون رميا بالرصاص ! إلى الأمام ، إلى الأمام ، دائما إلى الأمام !

أنـّـا : (تتقدم للقائه) اندريه !

الرجل المخمور : ارفع الساق ، فالحب ينادى !

أنـّـا : يااندريه ، توقف . انه أنا . اردت أن أقـول لك شيئا . (صمت) . أردت أن ألفت انتباهك.

إلى شيء . توقف قليــلا ، أنــا لست سكرى .
(صمت) . ليس على رأسك شيء ، والجــو
بارد . لابد أن أهمس في أذنك بشيء .

كراجلــر : هل أنت سكرى ؟

أوجســتا : العروس تجرى وراءه ، والعروس سكرى !

أنّــا : نعم ، ماذا تقول ؟ (تخطو بضع خطوات) . أنا
حامل .

(أوجستا تقهقه بضحكة حادة . كراجلر يترنح ،
يحدق ناحية الجسر ، يأخذ في رفع قدمه كما لــو
كان يبدأ من جديد في تعلم المشى)

اوجســتا : لست سمكة حتى تستنشق الهواء هكذا !

مانــكه : أوه ! أتحسب انك تحلم ؟

كراجلــر : (واصبعه على خط خياطة البنطالون) تحــت
أمــرك !

مانــكه : انها حامل . الحمل بأطفال ، هذه مهنتها . تعــال
الآن !

كراجلــر : (بتشدد) تحت أمرك . إلى أين ؟

مانــكه : لقد صار مجنونا .

جلــوب : ألم تكن في افريقية ؟

كراجلــر : مراكش ، الدار البيضاء ، الثكنة ! .

أنّــا : اندريه !

كراجلـــر : (مرهفا أذنه) اسمعى ، ياعروسى ، يا قحبة ! لقد جاءت ، ها هى ذى ، بطنها مملوء .

جلـــوب : ان فيها فقر دم ، أليس كذلك؟

كراجلـــر : صه ! لم أكن أنا ، لم أكن أنا الذى فعلته .

أنتـــا : اندريه ، هناك ناس !

كراجلـــر : هل الهواء هو الذى نفخ بطنك ، أو أنت صرت مومسا ؟ لم أكن موجودا ، ولم يكن في مقدورى مراقبتك . كنت مغروزا في الطين . أين كنت راقدة اذن ، حين كنت أنا مغروزا في الطين ؟

مـــاريا : ينبغى ألا تتكلم هكذا . ماذا تعرف اذن ؟

كراجلـــر : وأنت التى أردت أن أراها من جديد . والا ، لكنت ممددا في مكانى الحقيقى ، والريح تهزم في جمجمتى ، والتراب في فمى ، ولن أعرف شيئا . لكن هذا أيضا هو ما أردت أن أراه . كان لابد لى أن أدفع ثمنه . لقد أكلت الكُسْبَ ، وكان مُرّاً . وزحفت على قدمى ويدىّ لأخرج من جحرى . آه ! كان ذلك خبثا ! ياويلتاه ! لقد كنت خنزيراً ! (يفتح عينيه) . أتظنون انكم تشاهدون مسرحية ؟ هل دفعتم ثمن التذاكر ؟ (يمسك بقطع من الطين على الأرض ويرمى بها حواليه)

أوجستا : امنعوه !

أنّــا : استمر يا اندريه ، استمر ! ارم في هذه الجهة ، ارم !

مــاريا : أبعدوا هذه المرأة ، انه سيقتلها .

كراجلــر : اذهبوا إلى الشيطان ! عندكم كل ما رغبتم فيــه . يمكنكم أن تفتحوا افواهكم . هذا كل شيء ، لا أكثر .

أوجســتا : الرأس منكس إلى أسفل ! في التراب ، الرأس ! (الرجال يمسكون برأس كراجلر في مواجهــة الأرض)

أوجســتا : والآن ، اذهبي يا آنسة ، أرجوك .

جلــوب : (مخاطبا أنّا) نعم ، اذهبي إلى بيتك الآن ! هواء الصباح مفيد للمبايض .

بابــوش : (يتقدم نحو كراجلر وهو يخترق ساحة القتــال بميل ، ويقول له ، وهو يستمر في مضغ طــرف سيجار) الآن تعرفين أين استقرت القذيفة . أنت الله الآب . وقد فجرّت رعدك . أما هذه المرأة ، فهي حامل ، ولا تستطيع أن تستمر جالسة على هذا الحجر ، والليالي باردة ، وربما تستطيع أن تقول شيئا . . .

جلــوب : نعم ، ربما تستطيع ان تقول شيئا .

(الرجال يدعون كراجلر ينصب قامته . صمت . الريح تهب . يمر رجلان مسرعان)

أحدهمــا : لقد استولوا على بيت اولّشتين Ullstein .

الآخـــر : وأمام محل موسّة Mosse احضروا المدافع .

الواحـــد : نحن قلة قليلة جدا .

الآخـــر : كثيرون قادمون في الطريق .

الواحـــد : بعد فوات الأوان ، بعد فوات الأوان بكثير .

(مـــرّا)

أوجســـتا : هل سمعتم ؟ هيّا ، لننه المسألة الآن .

مانـــكه : القوا بالجواب في فمه ، هـــذا البورجـــوازى وفاجرته !

أوجســـتا : (تريد أن تجـــر كراجلر) تعال معنا إلى حـــى الصحافة ، يافتى ، سترى أنك سينبت لك شعر الوحش !

جلـــوب : ما عليك الا أن تتركها في حالها عند حدها ! في الساعة السابعة ستأخذ أول « مترو » .

أوجســـتا : لن يسير « المترو » اليوم .

الرجل المخمور : إلى الأمام ، لندخل في الرقص !

(أنّا نهضت)

ماريـــا : (وهى تتطلع فيها) بيضاء مثل الغسيل .

جلـــوب : شاحبة قليلا ونحيلة قليلا .

بابـــوش : سيغمى عليها .

جلـــوب : يبدو عليها هذا ، لكن الضوء هو الذى يصورهـــا هـــكذا .

(ينظر إلى السماء)

أوجستا : هؤلاء قادمون من فدنج Wedding

جلوب : (وهو يفرك يديه) وأنت أيضا أتيت في نفس الوقت مع المدافع . لعلك من نفس الاتجاه ؟ (كراجلر يعتصم بالصمت) . أنت لا تقول شيئا ، وهذا عين العقل . (يلف حول كراجلر) ستركتك مزقتها طلقات الرصاص ، وأنت ممزق مهلهل . ولكن هذا لا أهمية كبيرة له . ربما فقط حذاؤك هو الذى يضايق ، لأنه يزقزق . لكن تستطيع ان تشحمه ، أليس كذلك ؟ (يستنشق الهواء) . منذ الساعة الحادية عشرة بعض الكواكب قد أطيح بها ، وبعض المنقذين قد أكلتهم الطيور ، ومن الخير أنك بقيت . هضمك فقط هو الذى لا يزال يسبب لي بعض الهموم . على كل حال ، أنت على الأقل لست شفافا تماما : لا تزال ترى على الأقل .

كراجلر : تعالى هنا ، يا أنّا !

مانكه : « تعالى هنا ، يا أنّا ! »

أنّا : قولوا ، أين محطة المترو ؟

أوجستا : لا مترو اليوم . اليوم لا مترو ، ولا قطار ضواحى ، ولا « ترام » طوال النهار . اليوم راحة في كل مكان ، والقطارات متوقفة على كل الخطوط ، وسنمشى على أقدامنا كالرجال ، حتى المساء ، ياعزيزتى .

كراجلـــر : تعالى ها هنا بالقرب منّى ، يا أنّا !

جلـــوب : ألا تريد أن تمشى معنا قليلا ، يا أخى المدفعى ؟

(كراجلر يلتزم الصمت)

جلـــوب : كان منا من كان يريد أن يشرب كأسا أخرى أو كأسين ، لكنك أنت كنت ضد هذا الرأى . وكان منا من كان يود أن ينام مرة أخرى فـــى سرير ، لكنك أنت لم يكن لك سرير ، ومن أجل هذا لم نعد إلى بيوتنا .

(كراجلر يلتزم الصمت)

أنّـــا : ألا تريد أن تذهب إلى هناك ، يا اندريه ؟ هؤلاء السادة ينتظرونك .

مانـــكه : اذن ، هل قررت قرارك ؟ اكشفى عما في بطنك

كراجلـــر : ارمونى بالحجارة ، فلن أتحرك ، وانا مستعـــد للتنازل عن قميصى من أجلكم ، لكن أن أقـــدم قفاى للسكين ، كلا ، هذا لا أريده .

الرجل المخمور : اسم الله ! اسم الله !

أوجســـتا : واذن ؟ واذن ، حى الصحافة ؟

كراجلـــر : لافائدة . لن أنقاد إلى حى الصحافة وأنا بقميصى . انتهى . لم أعد خروفا . لاأريد أن اموت .

(يستل غليونه من جيب بنطلونه)

جلـــوب : ألا تعتقد أنك بهذا تتصرف تصرف رجل مسكين؟

كراجلـــر : ياعزيزى ، انهم يضربون الرصاص في البطون

مباشرة ! أنّا ! يالنظرتك إليّ ، باسم الله ! هل يجب عليّ أن أبرز نفسى أمامك ؟ (مخاطبا جلوب) أنت ، لقد قتلوا أبن أخيك ، أما أنا فقد استرددت زوجتى . تعاليْ يا أنّا !

جلــوب : أعتقد أننا نستطيع الاستمرار في السير وحدنا .

أوجســتا : اذن كل هذا ، أفريقية وسائر الأشياء ، كله كان أكاذيب ؟

كراجلــر : لا ، قد كان حقيقياً ! أنّا !

مانكــه : السيد قد نادى مثل السمسار في البورصة ، والآن السيد يريد أن يذهب إلى الفراش .

كراجلــر : الآن ، عندى زوجتى .

مانكــه : أهى ملكك الآن حقا ؟

كراجلــر : تعالى هنا ، ياأنّا ! انها ليست سليمة ، لم تعد بريئة هل سلكت كما ينبغى ، أو تحملين ولدا في بطنك ؟

أنّــا : ولد ، نعم ، أحمل ولدا .

كراجلــر : تحملينه .

أنّــا : انه هنا . والفلفل لم يفد في شيء ، وخطوط جسمى فسدت إلى الأبد .

كراجلــر : هذه هى حالتها !

مانكــه : ونحن ؟ امتلأنا من الكحول حتى القلب ، وحشينا

من العبارات حتى الرقبة ، ومن السكاكين حتى أقدامنا ، من الذى وضع كل هذا فينا ؟

كراجلـــر : أنا . (مخاطبا أنّا :) نعم ، هذه حالتك يافتاة .

أنّـــا : نعم ، هذه حالتى أنا .

أوجســـتا : ألم تصح : « إلى حى الصحافة ! » – أليس كذلك ؟

كراجلـــر : بلى ، فعلت ذلك . (مخاطبا أنّا :) تعالى هنا .

مانكـــه : نعم فعلت ذلك . ولن تتخلص من الأمر بهذه السهولة ، ياصاحبي . لقد صحت : « إلى حى الصحافة ! »

كراجلـــر : وأنا عائد إلى بيتى . (مخاطبا أنّا :) هل أدفعك دفعا ؟

أوجســـتا : سافل !

أنّـــا : دعنى ! لقد مثلت الكوميديا على أبى وأمى ، وأستقبلت شابا في سريرى .

أوجســـتا : وغد ، أنت الآخر .

كراجلـــر : ماذا أصابك ؟

أنّـــا : لقد أشتريت الستائر معه . ونمت معه في السرير .

كراجلـــر : اسكتى !

مانكـــه : لو تتزعزع ، لشنقت نفسى ، يارجل !
(في العمق ، بعيدا ، تسمع صيحات)

أوجســـتا : والآن هم يهجمون على محلات موسّه Mosse

أنّـــا : وأنت لقـــد نسيتك تمامـــا ، بالرغم من الصورة الشمسية ، نسيتك من رأسك حتى أخمص قدميك

كراجلـــر : اسكتى .

أنّـــا : نسيتك ، نسيتك .

كراجلر : وأنا لايهمنى . هل كان عليّ أن أبحث عنك ، وسكّينى في يدى ؟

أنّـــا : نعم ، تعال خذنى ، نعم ، بسكينك !

مانكـــه : في الماء ، هذه الجيفة !

(ينقضون على أنّا)

أوجســـتا : نعم ، أنتزعوا منه هذه القحبة !

مانكـــه : أمسكوا بها من خناقها .

أوجســـتا : في الماء ، هذه المزيّفة .

أنّـــا : أندريه !

كراجلـــر : كفوا ! انصرفوا !

(لاتسمع حشرجات الصدور . من بعيد ، تسمع أصوات المدافع المكتومة ، على فترات غير منتظمة

مانكـــه : ماهذا ؟

أوجســـتا : المدفعية .

مانكـــه : مدافع .

أوجســـتا : فليرحم الله كل الذين هناك . انهم يتطايرون كالسمك .

كراجلـــر : أنّـــا !

(أوجستا تهرع إلى العمق وهى محنية الظهر)

بولتروتر : (يظهر في عمق المسرح على الجسر) : ياألهى ! ماذا تفعلون ؟

جلـــوب : انه يبول على نفسه !

مانكـــه : يا وغـــد !

(يخـــرج)

كراجلـــر : الآن أنا عائد الى بيتى ، ياطائرى الجميل .

جلـــوب : (وقد وصل الى الجسر) : نعم ، لاتزال عنـــدك خصيتاك .

كراجلـــر : (مخاطبا أنّا) لا يزال الصفير ، تشبثى برقبـــتى ، يا أنّـــا .

أنّـــا : سأجعل نفسى صغيرة جدا .

جلـــوب : وأرجو أن تشنق نفسك ، غدا صباحا ، في الكنيف (اختفت أوجستا هى والآخرين)

كراجلـــر : أنت ياصاحبي ستقتل رميا بالرصاص .

جلـــوب : نعم ، ياصاحبي ، هواء الصباح غنىّ بالوعـــود لكن هناك من يفضلون الاحتماء بمأمن .

(يختفى)

كراجلـــر : كنتم على وشك أن تغرقوا في الدموع التى ذرفتموها على مصيرى ، وأنا لم أفعل غير أن غسلت قميصى بدموعكم ! ربما كان علىّ أن أجعل لحمى يتعفن

في النهر لأجعل فكرتكم ترتفع الى السماء ؟ ، أنتم سكارى ، أليس كذلك ؟

أنّا : اندريه ! كل هذا لا أهمية له .

كراجلر : (دون ان يتطلع في وجهها ، وهو يدور على نفسه ممسكا رقبته بيديه) : لقد ضقت ذرعا الى هذا الحد ! (يتهانف بشراسة) مسرحية هذه كلها ، ومن أخسّ الأنواع ! ألواح ، وقمر من ورق ، وخلف ذلك : منضدة الجزار : هي وحدها الحقيقية . (يستأنف الدوران حول نفسه ، وذراعاه مرتفعتان ، ثم يسقط على الأرض حيث يلتقط طبلة مقهى جلوب .) لقد نسوا طبلتهم . (يقرعها .) «النصف اسبارتاكى ، أو قوة الحب ! » ، « حمام دم في حى الصحافة » ، أو « في جلده يشعر كل انسان بالأمان » . (يرفع عينيه ، ويطرف بجفنه .) يرفع على الدرع أوبدون درع . (يضرب على الطبلة :) القربة تعزف والمساكن يموتون في حى الصحافة ، والمنازل تنهار على رؤوسهم ، والفجر ينبلج ، وهم ممددون على الاسفلت كأنهم قطط غرق ، وأنا خنزير ، والخنزير يعود الى بيته . (يسترد نفسه .) سألبس قميصا نظيفا ، وجلدى أملكه دائما ، وسترتى أنا أتركها ، وحذائى سأدهنه بالورنيش (بضحكه شريرة :) كل هذه الصيحات ستنتهى ، غدا صباحا ، ولكنى أنا سأكون في فراشي غد

صباحا ، وسأتكاثر حتى لا تنقطع ذريتي . (طبل) لاتنظروا نظرات رومنتيكية هكذا ! ياعصابة من المرابين ! (طبل .) يا قاطعي الرقاب ! (يضحك مل' حلقه حتى ليكاد يختنق :) أيها الجبنـــــــاء المتعطشون الى الدماء ! (ضحكة تتوقف في حلقه ، ولا يملك نفسه ، يترنح ، يرمى بالطبلة نحو القمر ، الذى كان مجرد مصباح – الطبل والقمر يسقطان في النهر الذى لايجرى فيه أىّ ماء) كل هذا لعب صبيان وعربدة . والآن جاء دور السرير ، السرير الكبير الواسع الأبيض ، تعالى !

أنّـــا : يا اندريـــه !

كراجلـــر : (يجرها الى العمق) : أراغبة أنت أيضا ؟

أنّـــا : لكن ليس عليك سترة .

(تساعده على لبس سترته)

كراجلـــر : الجو بارد . (تلف المحرمة على عنقه .) تعالى الآن ! (يسيران جنبا الى جنب ، دون ان يتلامسا . أنّـــا متخلفة عنه قليلا . وفي الهواء ، في أعلى جـــدا بعيدا جدا ، صياح وحشى حاد ، صادر من حى الصحافة .)

كراجلـــر : (يتوقف ، ينصت ، يمسك بأنّا من كتفيهـــا) : مضت أربع سنوات ، الآن .

(يتركان المسرح ، بينما الصيحات لا تتوقف)

حياة جاليليو

تأليف: برتولت برشت

ترجمة وتقديم: د. عبد الرحمن بدوي

العنوان الاصلى للمسرحية :

Bertolt Brecht
Leben des Galilei
Schauspiel

Suhrkamp Verlag

مقدمة مسرحية " حياة جاليلو "
بقلم المترجم

- ١ -
جاليلو كما عرفه التاريخ

بين جاليلو كما عرفه التاريخ ، وجاليلو كما صوره برشت فى هذه المسرحية مشابه كثيرة .

اما جاليليو ، الرياضى والفزيائى والفلكى العظيم فقد ولد فى بيزا (بشمال غربى ايطاليا) في ١٥ فبراير سنة ١٥٦٤ ، وكان أبوه موسيقيا لا بأس به (حوالى ١٥٢٣ — ١٥٩١) مما ولد فى نفس ابنه حب الموسيقى ، ودفعه الى اتقان العزف على العود . وقام بدراساته الاولى فى بيزا ، ثم في فلورانسا ، ودخل جامعة بيزا في ١٥٨١/٩/٥ ، وبدأ بدراسة الطب ، وعقب عليه بدراسة الفلسفة والرياضيات . غير أنه ما لبث أن انقطع عن دراساته الجامعية ربما لسوء ظروف أسرته . وأخذ فى دراسة الهندسة على يد أوستليو ريتشى Ostilio Ricci ، معلم خدم الدوق الكبير . واستطاع بجهده الشخصى أن يتعمق فى دراسة مؤلفات ارخميدس ، ولحل مشكلة تاج هيرون اخترع الميزان المائى (الهدرو ستاتيكى) ، وقد وصفه في رسالة صغيرة بعنوان « الميزان الصغير » (سنة ١٥٨٦) . وقام بأبحاث هندسية عن مراكز الثقل فى قطاعات الاشكال الهرمية ، والمخروطات ، والأشكال شبه المخروطية ذات القطع المكافىء اخبر بها الاب كرستوفور كلافيوس فى اثناء زيارة جاليليو الاولى لروما فى النصف الثانى من عام ١٥٨٧ ، وكذلك بعث بها الى مولتى Moletti مدرس الرياضيات في پدوفا (بالقرب من البندقية) ، والى العالم الرياضى المركيز جيدوبلدو دال مونتى Guidubaldo Dal Monte فسعى هؤلاء لتعيينه في جامعة بيزا وصار مدرسا بها فى يوليو ١٥٨٩ . وكان في تدريسه يتبع ما هو مقرر ، لكنه بدا فى تفنيد نظريات ارسطو فى الفيزياء واشتغل بالميكانيكا . فانكر نظرية ارسطو القائلة بأن الاجسام المختلفة الاوزان تسقط بسرعات مختلفة . وفي رسالته الصغيرة عن الحركة De motu (حوالى سنة ١٥٩٠) وقد كتبها على شكل حوار ، نجد أبحاثا عن حركة الأجسام الثقيلة على المستويات المائلة ، واعتراضات عديدة على نظرية ارسطو في حركة المقذوفات . وفى أثناء تدريسه فى بيزا قام بتجاربه المشهورة من فوق برج بيزا للتأكد من ان كرتين متساويتين فى الحجم ومختلفتين في الوزن

تسقطان بنفس السرعة ، كذلك اكتشافه ان ذبذبات البندول تتم في وقت واحد ، بمعنى ان البندول يحتاج الى نفس الكمية من الزمن لاتمام ذبذبته ، مهما كان اتساع مدى الذبذبة . وكان لهذا الاكتشاف الأخير أثره فيما بعد حين رأى جاليليو أن مبدأ البندول يمكن ان يطبق لضبط الساعات الكبيرة . وقيل انه اكتشف هذه الظاهرة وهو يلاحظ تذبذب المصباح فى كاتدرائية بيزا .

وبعد وفاة ابيه سنة ١٥٩١ زادت مطالب العيش عليه . فحمله ذلك على تقديم طلب للحصول على كرسى الرياضيات في جامعة بادوفا ، وتولى هذا المنصب فى سبتمبر سنة ١٥٩٢ خلفا للاستاذ مولتى Moletti . ومن برنامج التدريس يتبين انه كان فى بادوفا يدرس أصول الهندسة لاقليدس ، وكتاب الاُكَر (جمع : كرة) تأليف سكروبوسكو Sacrobosco ، و (المجسطى) لبطلميوس ، و **المسائل الميكانيكية لارسطو ونظرية الكواكب السيارة** . اما فى دروسه الخاصة (وكانت العادة فى هذا العصر أن يعطى الاستاذ دروسا خصوصية للتلاميذ الراغبين فى ذلك ، وهم يقيمون في منزله للسكنى والطعام أيضا) فقد كان يدرس بعض أبحاثه الخاصة ، مثل استعمال الفرجار الهندسى والعسكرى ، وعلم الميكانيكا ، وفن الحرب . وبفضل مهارته في التدريس الخصوصى وفد عليه الطلاب من أنحاء اوربا . وقد كتب في هذه الفترة الرسائل الآتية : **المعمار الحربى ، بحث فى التحصينات الحربية ، بحث فى الكرة** ، تبعا لنظام بطلميوس ، و **بحث في الميكانيكا** .

ومنذ سنة ١٥٩٧ عمل على تحسين آلة ابتكرها المركيز دال مونتى ، مما أدى به الى عمل الفرجار الهندسى والعسكرى ، وهو نوع من المسطرة الحاسبة ، وتم عمله بواسطة صانع ماهر هو ماركو أنطونيو متسولينى Mazzolini تحت اشراف جاليليو .

وفى أثناء العامين الاخيرين من اقامته فى بادوفا (١٦٠٩ — ١٦١٠) عنى بتحسين المنظار الذى سُمِّيَ فيما بعد باسم التلسكوب ، والذى بفضله قام باكتشافات فلكية هائلة .

وقد أثبتت الوثائق التى اكتشفها ك . دى فارد C. de Waard فى المحفوظات التاريخية الهولندية فى سنة ١٩٠٦ أن يانسن زخرياس فن مد لبورج Janssen Zacharias von Middelburg صنع أول جهاز ركبت فيه عدسات داخل أنبوبة وذلك فى سنة ١٦٠٤ . كذلك ركب هانز لبرشاى Hans Lippershey فى مدلبورج أيضا مناظير ذات عدسات داخل أنبوبة . ووصل نبأ هذا الاختراع مدينة البندقية في نوفمبر سنة ١٦٠٨ ، ومن المحقق انه في أوائل سنة ١٦٠٩ كانت تباع مناظير من هذا النوع فى باريس وايطاليا . وقد عرف جاليليو بهذا الاختراع فى ربيع سنة ١٦٠٩ .

واعتمادا على هذا المنظار قام جاليليو بصنع تلسكوب أقوى من هذه المناظير

الهولندية الصنع ، وقدم هذا التلسكوب الى مجلس شيوخ البندقية فى ٢٥ اغسطس سنة ١٦٠٩ فادهش الجميع . وقد كانت قوة أول نموذج صنعه ثلاثة اضعاف قوة المنظار الهولندى الصنع . ومن ثم أدخل عليه تحسينات بسرعة ، حتى صارت قوته ٣٢ ضعف قوة المنظار الهولندى . وكان الفضل فى ذلك الى الطريقة التى ابتكرها جالليو لضبط انحناءات العدسات . ونظرا الى قوة هذا التلسكوب الذى صنعه جالليو ، أمكن استخدامه في الارصاد الفلكية (١) .

وكان جالليو اول من استخدمه فى دراسة السماء فى أواخر سنة ١٦٠٩ وأوائل سنة ١٦١٠ ، فتوصل به الى سلسلة من الاكتشافات الفلكية ، أهمها :

١ ـ اكتشف أن سطح القمر غير منتظم ولا أملس كما كان يظن فيما مضى .

٢ ـ ولاحظ أن المجرة مؤلفة من مجموعة من النجوم البعيدة .

٣ ـ واكتشف توابع كوكب المشترى ، وسماها النجوم المدتشية Sidera Medicea على اسم تلميذه السابق ، كوزمو الثانى ، دوق توسكانيا الكبير .

٤ ـ اكتشف او لاحظ بقعا على الشمس .

٥ ـ شاهد أوجه (أطوار) كوكب الزهرة Les Phases de Vénus وما بدا له انه اشكال زُحَل الثلاثة . وقد أعلن عن هذه الاكتشافات فى Sidereus Nuncius (مارس سنة ١٦١٠) .

وقد أثارت هذه الاكتشافات الكثير من المجادلات والمنازعات من جانب انصار ارسطو ، ومنهم مارتن هوركى Horky ، ولودفكو دلى كولومبى Lodovico delle Colombe وفرنشسكو ستسى Fr. Sizi . لكنه ابدها فلكى عظيم هو كبلر Kepler . ولم يعدم جاللیو من يدعى انه سبقه الى بعض هذه الاكتشافات ، مثلما فعل سيمون ماير Simon Mayr فى كتابه Mundus Jovialis (نورمبرج سنة ١٦١٤) .

ومكافأة له على هذه الاكتشافات ، قرر مجلس شيوخ جمهورية البندقية تعيينه استاذا مدى الحياة مع مرتب ممتاز . لكن رغبته الحارة فى العودة الى وطنه (فيرنتسه) ورغبته في التحرر من متاعب التدريس للتفرغ للمشاهدات الفلكية والأبحاث العلمية، حملته على قبول منصب : « رياضى فوق العادة فى معهد بيزا وفيلسوف صاحب السمو الدوق الكبير » ، مع عدم الالتزام بالتدريس ولا بالاقامة فى المعهد ولا فى مدينة بيزا . وكان ذلك فى أول يوليو ١٦١٠ .

---

(١) راجع عن تاريخ التلسكوب

H.C. King : **The history of the Telescope.** Charles Griffin, London, 1955, 456 pp.

وهكذا ترك جاليليو بادوفا بعد اقامة استمرت ثماني عشرة سنة وهو في أمان تام وحرية مكفولة للبحث والكتابة . وهنا في بادوفا ولد له من زوجته مارينا جمبا Marina Gamba ابنتان وولد. والابنةالكبرى هي فرجينيا (٢) ،وكانت بكر أولاده، وكان يؤثرها بالحب الشديد ، وقد ولدت في ١٣ أغسطس سنة ١٦٠٠ ، ولكنها دخلت طريقة الرهبنة وصارت راهبة في ٤ أكتوبر سنة ١٦١٦ في دير القديس متى في ارشترى Arcetri وفي هذا الدير توفيت في ٢ ابريل سنة ١٦٣٤ . وقد بقي لنا منها ١٢٤ رسالة كتبتها الى أبيها في الفترة ما بين ١٦٢٣ و ١٦٣٣ ، واسمها في الدين الأخت ماريه شيلستي Maria Celeste وكانت متدينة ولكن بنوع من التفتح الذهني ، وحريصة دائما على أن تشارك أباها آلامه ومسراته ، وأن تعاونه قدر ما تستطيع . وقد استغل برشت شخصيتها مع بعض التعديلات طبعا – في هذه المسرحية خير استغلال : تدينها ، عطفها المستمر على أبيها . أما حكاية خطبتها الى لودفكو مرسيلي ، فهي من اختراع برشت .

اما الابن فنشنتسو Vincenzo (١٦٠٦ – ١٦٤٩) ، فكان شاعرا رقيقا .

ونتابع حياة جاليليو فنقول : انه في السنة التالية ، سنة ١٦١١ ، سافر الى روما (٢٩ مارس – ٤ يونيو ١٦١١) أولا ضيفا على سفير توسكانيا ج. نيكوليني G. Miccoini ثم أقام بعد ذلك في ڤلا مدتشي الشهيرة في رابية Trinità deiMonti (حيث توجد الآن مدرسة روما L'Ecole De Rome التابعة لفرنسا). واستقبله البابا بولس الخامس . وفي حديقة الكورينالي عرض اكتشافاته على العلماء اليسوعيين في الكلية الرومانية Collegium Romanum . فاستطاعوا أن يشاهدوا الكواكب المدتشية من نوفمبر سنة ١٦١٠ ، الى ابريل سنة ١٦١١ ، واحتفلوا احتفالا عظيما بجاليليو . وكان هؤلاء العلماء اليسوعيون ، بناء على طلب من بلرمينو ، قد أيدوا اكتشافات جاليليو ، فيما عدا تحفظ أحدهم ، وهو كلافيوس، على نقطة جبال القمر . وفي ١٢ ابريل اختير جاليليو عضوا في أكاديمية لنشاى Lincei ، التي لا تزال شهيرة بعلمائها وأبحاثها حتى اليوم .

وقامت مناقشة حول أسباب طفو الثلج ، تبعا لارسطو والمشائين ، فاشترك فيها جاليليو بكتاب بعنوان : **مقال الى صاحب السمو دون كوزمو الثانى ..** (سنة ١٦١٢ وفيه بين مبادىء علم المائيات (الهدروستاتيكا) تبعا لارخميدس . وقد أثار ردودا من جهة المشائين : كورزيو G. Corresio ودي جرسيا

---

(٢) راجع عنها
Galileo Galilei & Suor Maria Celeste. Firenze, 1891.
(وقد نشرت فيه ص ٢٣٣ – ٤٢٤ كل رسائلها الى ابيها) .

V. Di Grazia ، فرد عليها تلميذه الاب . ب . كاستلى B. Castelli الأستاذ فى بيزا وكان تلميذا لجاليليو فى بادوفا .

واكتشف جاليليو البقع الشمسية (فى يوليو سنة ١٦١٠) وعرضها فى البندقية ثم في روما بين مارس وابريل سنة ١٦١١ ، كذلك اكتشفها فى نفس الوقت ج . فابرتسيوس ، الذى ظهر كتابه فى هذا الموضوع بعنوان Narratio de Maculis in Sole observatis (ذكر البقع الملاحظة فى الشمس) فى سنة ١٦١١ . اما جاليليو فقد نشر رأيه فيها فى كتاب بعنوان De-maculis solaribus في يناير وسبتمبر سنة ١٦١٢ باسم مستعار هو Apelle ، وقد دافع جاليليو عن كونه هو أول من اكتشفها . وأثارت مسألة أولية اكتشاف البقع الشمسية هذه مجادلات لاتنتهى حتى الآن .

وهنا حدثت العاصفة الكبرى. أن جاليليو كان من انصار النظام الذى قال به كوبر نيكوس ، وهو أن الشمس فى المركز وأن الارض مجرد كوكب سيار يدور فى فلكها . وقد عبر جاليليو عن تأييده لنظام كوبر نيكوس في رسالة كتبها الى ياكوبو مالسونى في مايو سنة ١٥٩٧ ، وفى رسالة أخرى كتبها فى ٤ ابريل الى كبلر فيها يؤكد صحة نظام كوبرنيكوس . وكان من شأن اكتشافاته الجديدة أن تأيد لديه نظام كوبر نيكوس اكثر وأكثر . وعبر عن ذلك فى رسالة كتبها الى ب . كستلي B. Castelli في ٢١ ديسمبر سنة ١٦١٣ ، مع مزيد من التحقيق . وقد قال فى كلتا الرسالتين انه من الخطر ادخال الكتاب المقدس في نزاع مع نتائج العلوم الطبيعية لان الكتاب المقدس لا يمكن ان يخطىء وانما الشراح هم الذين يخطئون خصوصا والكتاب المقدس يستخدم لغة يفهمها الجمهور واليه وجهها وكيفها مع عقلية الجمهور . واكد ايضا أن النص الوارد في الكتاب المقدس بشأن وقف يوشع للشمس عن الدوران ــ يتفق تماما مع نظام كوبر نيكوس . غير أن راهبين دومينيكيين ــ وللرهبان الدومنيكان تاريخ أسود فى اضطهاد حرية الفكر في أوروبا ــ هما ت . كاتشينى T. Caccini و ن . لورينى N. Lorini ، اثارا ضد جاليليو حملة شعواء علنية . فأولهما ، كاتشينى ، من منبر كنيسة سنتاماريا نوفلا فى فيرنتسة اتهم جاليليو فى أوائل سنة ١٦١٥ علنا بالهرطقة . وثانيهما وهو لورينى قدم طعنا فى جاليليو الى الديوان المقدس في روما بسبب البِدَع التى يحتوى عليها خطابه المذكور الى كستلى . فأمر الديوان المقدس باجراء تحقيق فى هذا الخطاب وفى الرسائل التى كتبها جاليليو عن البقع الشمسية ، وذلك فى ٢٥ نوفبر سنة ١٦١٥ . وعلى الرغم مما قام به جاليليو فى سفرته الثالثة الى روما من محاولات لافساد تدابير اعدائه هذه، فان الديوان المقدس ، برئاسة ر . بلرمين أعلن بطلان نظام كوبر نيكوس في ٢٥ فبراير سنة ١٦١٦ ، وامر جاليليو بالامتناع من تعليم ، او الدفاع عن ، أو معالجة ، نظام كوبر نيكوس على أى وجه ، وإلا ادخل السجن . وابلغ جاليليو بقرار المحكمة هذا فى ٢٧ فبراير سنة ١٦١٦ . وقد قبل جاليليو هذا القرار واعلن انه سيطيعه .

وفى ٥ مارس سنة ١٦١٦ حرمت هيئة الرقابة على الكتب Congregazine dell'Indice قراءة كتاب كوبر نيكوس ، وكذلك سائر الكتب التى تعلم نفس النظام . وفي يونيو سنة ١٦١٦ عاد جالليو الى فيرنته فنصحه الدوق الكبير ، كوزمو الثانى ، واصدقاؤه وعارفوه باطاعة قرار الديوان المقدس والاعتصام بالسكينة .

وكان الكردينال بلرمين قد استقبل جالليو فى يوم ٢٦ فبراير ، وابلغه بالقرار الذى سيصدر ، وحذّره من أن عليه من الآن فصاعدا الا يقول بنظام كوبر نيكوس والا يدافع عنه .

واستجاب جالليو فعلا للقرار . فظل طوال السنوات السبع التالية (١٦١٦ ـ ١٦٢٣) فى عزلة فى بيته فى بلوسجواردو Bellosguardo بالقرب من فلورنسة ، يواصل دراساته وأبحاثه في عزلة وهدوء . وفي سنة ١٦٢٣ رد على رسالة كتبها أحد اليسوعيين ، وهو أوراتسيو جراسى Orazio Grassi عن طبيعة المذنبات ، وكان من الواضح أن صاحبها يقصد الى الطعن فى جالليو . وكان الذى دفع جراسى الى تحرير رسالته هذه ظهور ثلاثة مذنبات فى سنة ١٦١٨ ، فانتهزها هذا اليسوعى فرصة للهجوم على نظام كوبر نيكوس ، ومن ثم على الهجوم على جالليو . وكان عنوان رد جالليو ، وقد أهداه الى البابا اربان الثامن هو :

Saggiatore nel quale con bilancia esquisita & giusta si poderano je cose contenute nella libra astronomica & filosofica.

وفيه يرد على ادعاءات س . ماير بأسبقيته في اكتشاف البقع الشمسية ، ثم يعرض كل اكتشافاته الفلكية ، ويروى قصة اختراعه للتلسكوب ، ثم يرد ردا مفحما على كل نقطة اثارها أوراتسيو جراسى .

وفى سنة ١٦٢٤ زار روما للمرة الرابعة واستقبله البابا أربان الثامن ـ واسمه الأصلي مافيو بربريني Maffeo Barberini ـ وهو الذى طالما اظهر اعجابه به وعطفه عليه منذ أن كان كردينالا .

ثم عاد الى فلورنسه ، وهناك اخترع وحسَّن الجهاز المركب ـ Microscopo Composto ، وأرسل نموذجا منه الى اتشيزي Cesi فى سبتمبر سنة ١٦٢٤ وقال عنه « انه منظار لرؤية الاشياء المتناهية الصغر عن قرب » .

وفى نفس الوقت ظل جالليو يعمل فى تأليف كتابه الرئيسي : المحاورة Dialogo وكان موضوعه نظام العالم . وفرغ منه نهائيا في ديسمبر سنة ١٦٢٩ ، وكان معدا للطبع فى مايو سنة ١٦٣٠ . وبعد رحلة اخرى الى روما ومجهودات مضنية استطاع الحصول على اذن بطبع الكتاب .

وظهر هذا الكتاب في فبراير سنة ١٦٣٢ بعنوان :

Dialogo di G. Galilei, . .. dove ne i congressi di quattro giornate si discorre sopra i due massimi sistemi del mondo, tolemaico & copernicano, proponendo indeterminatamente le ragioni folosofiche e naturali tanto per l'una quanto per l'altra parte

ومكان الحوار هو البندقية ، والمتحاورون هم :

١ - فيليو سلفياني (١٥٨٢ - ١٦١٤) وهو عين من أعيان فلورنسه ، وعضو في اكاديمية لنشاى ، وفي بيته كتب جاليو رسالتين من رسائله الثلاث عن البقع الشمسية . وهو يمثل آراء كوبر نيكوس وآراء جاليو .

٢ - جو فني فرنشكو سجريدو ، وهو من البندقية (١٥٧١ - ١٦٢٠) ويمثل « الادراك السليم » .

٣ - سمبليشيو Simplicio ، وهو من انصار أرسطو ، ولقب بهذا الاسم على اسم شارح أرسطو المشهور : سنبلقيوس . وهو يمثل أرسطو وانصاره ، وان كان أعداء جاليو قد حاولوا ايهام البابا والناس ان المقصود به هو البابا نفسه ، أربان الثامن ، وذلك على أساس أن المؤلف قد وضع على لسان سمبلتشيو هذا العبارات التي بها دافع البابا عن نظام بطلميوس .

وتجرى مناقشات اليوم الاول في نقد نظرية ارسطو فى الحركة ، والدفاع عن آراء جاليو في وجود جبال وبحار فى القمر . وخصص اليوم الثاني للبحث فى حركة الارض اليومية حول محورها وتفنيد الحجج التي سبقت لتأييد عكس ذلك ، وفى الاسباب التي تدعو الى ترجيح نظام كوبر نيكوس . وفي مناقشات هذا اليوم يعرض جاليو آراءه فى الديناميكا ، ومبدأ القصور الذاتي ، وفى القوة الطاردة ، ويعرض قوانين سقوط الاجسام ، وقوانين ذبذبات البندول ، وفي كون سرعة سقوط الجسم مستقلة عن وزنه - وفى اليوم الثالث يدور الحوار حول أسباب حركة الارض حول الشمس ، وتفسير مواقع النجوم بحسب كوبر نيكوس ، وحول أوجه (أطوار) الزُهَرة والبقع الشمسية . وفى هذا الحوار تأييد حار لنظام كوبر نيكوس ونبذ شديد لنظام بطلميوس ، كما تدل على ذلك هذه العبارة : « فى بطلميوس الامراض ، وعند كوبر نيكوس الأدوية » . وخصصت مناقشات اليوم الرابع للبحث في المد والجزر فى البحر ، وهو يفسره بحركة الارض ، مفندا فكرة تأثير القمر ، وكان جاليو في هذا مخطئا تماما .

---

(٣) وترجمته : « حوار تاليف جاليو جاليلاى... وفيه خلال جلسات استمرت اربعة ايام جرت مناقشة حول اكبر نظامين للعالم : نظام بطلميوس ونظام كوبر نيكوس ، مع ايراد الاسباب الفلسفية والطبيعية فى جانب الواحد ، وفى جانب الآخر على السواء بدون تحيز لاحدهما » . وواضح من العبارة الاخيرة ان جاليو يريد أن يفلت من مقتضى قرار الديوان المقدس .

وسرعان ما تبين خصوم جاليليو ما فى كتاب « الحوار » هذا من خطر ، وخصوصا الأبوان اليسوعيان فى الكلية الرومانية : جراسّي وشرينر Grassi & Schreiner فأعلن هذان ـ رغم أن الكتاب قد مر من الرقابة وأذن بنشره ـ أن هذا الكتاب « أسوأ وأخطر على الكنيسة من كتابات لوثر وكلفان » . لهذا تقرر (أغسطس سنة ١٦٣٢) منع نشر وتوزيع الكتاب في روما ، ثم فى ١٦٣٢/١٠/١ طلب من جاليليو المثول أمام المندوب العام للديوان المقدس . واضطر جاليليو للذهاب الى روما فى يناير سنة ١٦٣٣ ، بعد أن كتب وصيته ، فوصل روما فى ١٣ فبراير ونزل عند سفير توسكانا فى قصر فلورنسة . وفي ١٢ ابريل جرى تحقيق أولى معه أمام الديوان المقدس ، مع شيء من الرعاية . وقام ثلاثةمن الاحبار هم : ملكيور انشوفر Melchiorre Inchofer ، واوجستينو أورجيو Agostino Oregio وزكريا بسكواليجو Zaccaria Pasqualigo بفحص كتاب « الحوار » وقرروا أن جاليليو قد خالف التحذير الذى وجه اليه سنة ١٦١٦ وقرار سنة ١٦١٦ ، وقال احدهم أنه يُشتَم من الكتاب ان جاليليو يؤيد نظام كوبر نيكوس . وفى ١٦ يونيو سنة ١٦٣٢ ، فى قصر الكورينالى ، أصدر مجلس الديوان المقدس قراره ، بعد جلسات عديدة رأس الكثير منها البابا نفسه . **ويقضى القرار** (١) بأن يعلن جاليليو تبرؤه من نظرياته ، و (٢) يسجن حسب ما يقضى به المجمع المقدس Sacra Congregazione ، (٣) منع كتاب « الحوار » وأى كتاب آخر يكتبه من بعد .

وأبلغ جاليليو بالقرار فى ٢١ يونيو سنة ١٦٣٢ . وفى يوم ٢٢ فى مركز الديوان المقدس فى كنيسة سانتاماريا فوق منيرفا جرت عملية التبرؤ . لكن الحكم بالسجن سرعان ما عدله البابا الى الاعتقال فى حديقة ترينتادى مونتى (على رابية من روابى روما) Trinita dei Monti أولا ، ثم بعد ذلك فى مدينة سيينا (بمقاطعة توسكانا) وأخيرا (في ديسمبر سنة ١٦٣٢) فى قرية ارشترى Arcetri

وقد شاعت اشاعة تقول ان جاليليو ، بعد أن تبرأ ، تلفت وقال : « ومع ذلك فهى تتحرك » Eppur si muove . ولكن ليس لهذه الاشاعة أى سند تاريخى . والثابت أنه تبرأ من آرائه واذعن مطيعا ساكتا .

وعلى الرغم مما بذل من شفاعات ووساطات لم يفرج عن جاليليو حتى آخر عمره افراجا تاما ولم يصدر عنه أى عفو . ورفضت كل التماساته للعفو عنه او الافراج . وآخر هذه الالتماسات قد ارسله جاليليو الى البابا فى ٢٨ ابريل سنة ١٦٣٨ ، ولكن الديوان المقدس رفض التماسه . وظل قرار تحديد اقامته فى بيته ساريا حتى وفاته .

وقد امضى جاليليو السنوات الثمانى الأخيرة من حياته رهين معتقله فى فلورنس اولا في بيت على رابية سان جورجيو ثم بعد ذلك فى بيت فى أرشترى Arcetri

وتوالت عليه المحن بعد ذلك وهو فى محبسه فى ارشترى : ففقد اولا ابنته العزيزة فرجينيا فى ٢ ابريل سنة ١٦٣٤ ، ثم كف بصره نهائيا في سنة ١٦٣٨ ، فلم يعد يستطيع كما قال : « ان يبصر تلك السماء ، وذلك العالم ، وهذا الكون الذى استطعت بفضل مشاهداتى العجيبة وبراهينى الواضحة ان أكثر منه مئات بل وآلاف المرات زيادة عما رآه العلماء فى كل العصور الماضية » .

لكن ذلك كله لم يمنعه من مواصلة الكتابة ثم الاملاء . فحرر كتابه الرئيسى بعنوان :

Discorsi & Dimostrazioni matematiche, intorno a due nuove scienze, attenenti alla meca ica e i movimenti locali

وكان معدا للطبع منذ سنة ١٦٣٤ ، وبعد محاولات عديدة لطبعه ، انتهز فرصة زيارة الناشر الهولندى الشهير L. Elzeviro له فى محبسه بأرشترى واعطاه اصل الكتاب لطبعه في مدينة ليدن Leiden فى هولنده ، وتم ذلك فى سنة ١٦٣٨ .

وأملى على تلميذه فنشنتسو فيفيانى Vincenzo Viviani – وكان يقيم الى جواره منذ نوفمبر سنة ١٦٣٨ – بحثا فى البرهنة على الفرض المتعلق بالحركة على السطوح المائلة. وكذلك أملى على ايفا نجلستا تورتشلى Evangelista Torricelli فى اكتوبر سنة ١٦٤١ حوار اليوم الخامس من تعريفات ونظريات اقليدس (المقالة الخامسة) .

وتوفى جاليليو فى أورشترى في الثامن من يناير سنة ١٦٤٢ بعد اصابته بالحمى البطيئة .

ويمكن تلخيص اهم اكتشافات جاليليو العلمية فيما يلى :

١ – قام بتحسين جهاز هولندى الصنع تستعمل فيه عدسات فى أنبوبة ، وكان عن ذلك التلسكوب (المِقْراب) الذى بفضله أمكن تقوية رؤية العين الى درجة مكنت من رصد النجوم البعيدة .

٢ – اكتشف مبدأ القصور الذاتى فى الحركة ، وان كان ذلك ينسب عادة الى ديكارت .

٣ – استطاع بواسطة مقرابه ان يكتشف توابع المشترى وان يرسم لوحات لدوراتها .

٤ – لاحظ البقع الشمسية ودرسها في نفس الوقت الذى درسها فيه ج . فابرتسيوس سنة ١٦١١ .

٥ – اكتشف ان المجرة مؤلفة من مجموعة من النجوم البعيدة .

٦ ـ اكتشف اوجه كوكب الزهرة .

٧ ـ لعب دورا كبيرا جدا في ايجاد علم الميكانيكا بوصفها علما ، وبهذا مهد الطريق لنيوتن .

٨ ـ أسهم اسهاما كبيرا في تطبيق الرياضيات على الفيزياء ، ورأى بثاقب بصره « أن الطبيعة مكتوبة بلغة رياضية » على حد تعبيره الشهير .

٩ ـ وكان من أكبر دعاة المنهج التجريبي في البحث العلمي . (٤)



---

(٤) هناك ثبت بمؤلفات جالليو وما كتب عنه من ابحاث ، يستغرق الفترة من ١٥٨٦ حتى ١٨٩٥ وفيه ٢١٠٨ عنوان بحث ، وقد قام به ا . كارلى و ا . فافارو : A. Carli e A. Favaro : Bibliografia Galileiana. Rome, 1896.

وراجع عن جالليو :

A. Banfi : Galileo Galilei-Finenze, 1931 ;
L. Olschki : Galiqeo und seine Zeit. Halle, 1927 ;
Stillman Drake : Discoveries and opinions of Galiqeo. London, 1955.

— ٢ —
جالليو فى مسرحية برشت

هذا هو جالليو كما عرفه التاريخ . ومن يقرأ مسرحية برشت هذه يجد ان المشابه كثيرة جدا بين احداث حياة جالليو وبين احداث المسرحية ، لاتكاد في خطوطها العامة أن تخرج عنها . وحتى أسماء الشخصيات معظمها أسماء تاريخية ، والادوار التي لعبتها متكافئة فى كلا المجالين : التاريخ والمسرحية :

١ — فرجينيا ، ابنة جالليو ، هي : الابنة التي آثرها ابوها بالحب ، وآثرته بالحب والاخلاص . وهي هي : المرأة المتدينة ، حتى انها تاريخيا دخلت الرهبانية فى سن السادسة عشرة . والخلاف هو في قصة خطبتها الى لودفكو مرسيلي : فهذه الحكاية اخترعها برشت ، كما أنه لم يُشِرْ الى كونها ترهبت .

٢ — **والكردينا لان** بلرمين وبربريني — والاخيرأصبح البابا أربان الثامن — دورهما في المسرحية هو دورهما فى الواقع التاريخي ، لم يغير برشت فيه شيئا .

فان بلرمين (أو بلرمينو Bellarmino كان كردينالا ، ومطرانا لكبوا Capua . وعين في سنة ١٥٧٦ فى الكلية الرومانية Collegio romano أستاذا للمسائل الجدلية ، وظل فى هذا المنصب حتى سنة ١٥٨٨ . ثم عاد الى الكلية الرومانية في ١٥٩٠ في منصب المرشد الروحى ، وعين مديرا لها في ديسمبر سنة ١٥٩٢ . كما عين مستشارا للديوان المقدس ، وبهذه الصفة اشترك فى قضية جورد انو برونو ، الفيلسوف الذى قضي باحراقه . ومنح لقب كردينال في ٣ مارس سنة ١٥٩٩ ، واشترك بهذه الصفة فى كل المجامع المقدسة . واشترك في كل القضايا الدينية الكبرى التي أثيرت فى ذلك العصر : قضية حرمان البندقية (١٦٠٦) ، قضية النزاع الانجلكاني والجاليكاني فيما يختص بسلطة البابا في الامور الدنيوية (من سنة ١٦٠٧ الى سنة ١٦١٢) كما اشترك في قضية جالليو (١٦١٥ — ١٦١٦) وتوفى فى ١٧ سبتمبر سنة ١٦٢١ .

أما بربريني فهو احد كبار رجالات أسرة بربريني المشهورة فى تاريخ ايطاليا في القرن السابع عشر . والمقصود فى المسرحية هو اوربانو الثامن البابا واسمه الاصلي مافيو بربريني Maffeo Barberini الابن الخامس لانطونيو بربريني . ولد في فلورنس في ٥ ابريل سنة ١٥٨٨ ، واعتلى كرسي البابوية فى ١ اغسطس سنة ١٦٢٣ واتخذ اسم « اربانو الثامن » وفى أثناء بابويته عني باصلاح أحوال الكهنوت الروماني والطرق الرهبانية . وزاد من سلطة محاكم التفتيش ، فعمل على تأجيج حركة اضطهاد المفكرين ورجال الدين ذوى الآراء الحرة (دى دومينيس ، مطران اسبالاتو ، وتوماس كمبانلا ، وكريمونيني Cremonini) .

واهم القضايا التي اثيرت في عهده قضية جالليو ، على الرغم من أنه كان معجبا بجالليو ، عطوفا عليه ، خصوصا وقد حصل شطرا من الرياضيات والثقافة الانسانية وخاض غمار الحروب الدينية العديدة التي اثيرت فى أوربا في عصره . وتوفي فى ٩ يوليو سنة ١٦٤٤ .

شخصيات المسرحية

جاليو جاليلاى	Galileo Galilei
أندريا سارتى :	Andrea Sarti
السيدة سارتى : أم اندريا ، وتقوم بخدمة جاليو	Sarti
لودوفكو مرسيلى : شاب ثرى	Ludovico Marsili
السيد بريولى : مدير جامعة بادوا	Priuli
سجريدو : صديق لجاليو	Sagredo
فرجينيا : بنت جاليو	Virginia
فدرتسونى : صاقل عدسات ، ومساعد لجاليو	Federzoni
الدوج :	Doge
اعضاء المجلس	
كوزيمو دى مدتشى : الدوق الاكبر لفيرنتسه	Cosimo di Medici
رئيس البلاط	
اللاهوتى	
الفيلسوف	
الرياضى	
كبرى الوصيفات	
خادم للدوق الاكبر	
راهبتان	

جنديان
امرأة عجوز
عالمان
راهبان
فلكيان
راهب نحيف جدا
الكردينال العجوز
الأب كرستوفر كلافيوس : فلكى Christopher Clavins
الراهب الصغير
الكردينال صاحب التفتيش
الكردينـــال بربرينى : الذى اصبـح بابا باسم أوربان الثامن Kardinal Barberini
الكردينال بلرمين Kardinal Bellarmin
كاتبان كهنوتيان
فتاتان
فلو موشيوس : عالم Filippo Mucius
السيد جافونى : مدير جامعة بيزا Gaffone
مطرب جوال
زوجته
فانى : رئيس مصنع صهر الحديد Vanni
محضر
موظف كبير
شخص
راهب
فلاح
حارس حدود
كاتب
رجال ، نساء ، اطفال .

(١)

جالليو جاليلاى ، أستاذ الرياضيات في بادوا ، يريد أن يبرهن على صحة النظام الجديد للعالم كما تصوره كوبرنيكوس .

في عام ألف وستمائة — وتسع
شع نور العلم من بيت صغير — في بادوا
إذ جالليو بالحسابات توصل :
ليست الشمس ، بل الأرض تدور .

(جالليو في مكتبه المتواضع في بادوا . الصباح . صبى ، هو اندريا ، ابن ربة البيت ، يحضر كوباً من اللبن وقطعة من الخبز الأبيض) .

جالليو (وكان يغسل نصف جسمه الأعلى ، مهتزا وفي طرب) : ضع اللبن على المنضدة ، لكن لا تغلق أى كتاب .

اندريا : أمي تقول انه لابد من دفع المبالغ المستحقة للبّان ، والا ، ياسيدى جالليو ، فإنه سيتخذ طريقا دائريا ليتجنب منزلنا .

جالليو : يجب أن يقال ، يا اندريا ، انه سيرسم قوس دائرة .

اندريا : كما تشاء . لكن ان لم ندفع ، فإنه سيتجنبنا راسما قوس دائرة ، ياسيدى جالليو .

جالليو : والمحضر ، السيد كمبيونى ، سينقض علينا في خط مستقيم . فأى طريق سيختار بين نقطتين ؟

اندريا : (بابتسامة عريضة) أقصر طريق !

جاالايـــو : حسن . عندى شيء لك . اذهب وانظـــر وراء الجداول الفلكية .

(من وراء الجداول الفلكية ، يُخْرِج اندريـــا نموذجا خشبيا يمثل نظام بطلميوس) .

اندريـــا : ما هـــذا ؟

جاالليـــو : هذا اسطرلاب ، وهو يبين كيف تدور الكواكب حول الأرض ، تبعا لرأى الأقدمين .

اندريـــا : كيف تسير ؟

جاالليـــو : لننظر . أول شيء هو : الوصف .

اندريـــا : في الوسط حجر صغير .

جاالليـــو : انه الأرض .

اندريـــا : وحواليه أغشية متداخل بعضها في بعض .

جاالليـــو : كم عددها ؟

اندريـــا : ثمانيـــة .

جاالليـــو : هذه هى أفلاك البلّور .

اندريـــا : وعلى الأغشية كرات مثبتة .

جاالليـــو : هذه هى النجوم .

اندريـــا : ثم هناك أمثال الأشرطة ، عليها كتابة .

جاالليـــو : أى كتابة ؟

اندريـــا : أسماء النجوم .

جاالليـــو : مثلا ؟

اندريا : الكرة السفلى مكتوب عليها : القمر . وفوقها الشمس .

جاليلو : والآن ، حرك الشمس .

اندريا : (وهو يدير الأغشية) هذا جميل . لكن ، كأننا في صندوق .

جاليلو : (وهو يجفف نفسه) نعم ، وأنا أيضا كان لدىّ هذا الشعور حين رأيت هذا الشىء لأول مرة . بعضنا لديه هذا الشعور (يلقى إلى اندريا بالفوطة ، ليمسح له بها ظهره) . جدران . أغشية ، وسكون ! طوال عشرين قرنا اعتقدت الانسانية أن الشمس وجميع الأجرام السماوية تدور حول الأرض . والبابا بكرديناﻻته ، والأمراء والأساتذة ، والملاحون والتجار ، وبائعات السمك، والتلاميذ. الجميع اعتقدوا أنهم ساكنون مستقرون في كرة البلور هذه . لكن ،هذهالمرة ، ياأندريا ، سنلقى بأنفسنا في البحر الواسع ، لأن الزمن القديم ولّى ، وها هوذا عصرجديد . ويخيّل إلى المرء أنالانسانية كانت ، منذ مائة سنة ، تنتظر شيئا .

المدن ضيقة ، والعقول كذلك . الخرافات ، والطاعون . ولكن في هذه المرة نحن نقول : مادامت الأمور هكذا ، فانّها لن تستمر هكذا . لأن كل شيء يتحرك ، ياصديقى الصغير .

ويلذ لى أن أتصور أن هذا قد بدأ بالسفن . منذ أقدم الأزمنة ، لم تكن السفن تسير الا على طول الشواطىء ، وفجأة غادرتها ، وقذفت بنفسها في المحيطات .

وعلى قارتنا العتيقة نشأت شائعة فجأة ، تقول انه توجد قـارات جديدة . ومنذ أن ذهبت إليها سفننا ، ترددت هـذه الشائعة فـى القارات ، فكانت هناك ضحكة عالية : ذلك أن المحيط الشاسع الذى كان الناس يخافونه صار يبدو لهم بعد ذلك ، كما لو كان بركة مـن الماء . كلّ يومٍ اكتشافٌ جديد. وحتى الذين بلغوا المائة يريـدون قبل أن يموتوا أنْ يصرخ الشباب في آذانهم بما اكتشفمن جديد .

لقد تم اكتشاف الكثير ، لكن لا يزال هناك ما سيكتشف بعـد ، مما سيكون من عمل الأجيال الجديدة .

في سينا Siena ، لما كنت صغيرا ، رأيت جماعة من البنائين يرتبون الحبال بطريقة جديدة عملية ، بدلا من الطريقة القديمة لنقـل كتل الجرانيت ، بعد مناقشة استغرقت خمس دقائق . وفي الحـال فهمت : لقد ولّى الزمان القديم ، وها هوذا عصر جديد . وعما قليل ستعرف الانسانية الحقيقة عن مسكنها ، هذا الجِرْمِ السماوى الذى تسكنه . وما هو مكتوب في الكتب القديمة لم يعد يكفيها .

فهناك حيث انتقش الايمان منذ ألف عام ، انتقش الآن الشـك . العالم كله يقول : نعم ، هذا مكتوب في الكتب ، لكن لننظر نحـن بأنفسنا . والحقائق التى كانت مُسَلّمة بكل جد ، صارت الآن هدفا للنقد ، وما لم يوضع أبدا موضع الشك ، قد صار الآن هدفا للشك

وهكذا هبّت ريح عاتية زعزعت كل شيء ، ورفعت حـتى السراويل المزركشة بالذهب والتى يلبسها الأمراء وكبار رجال الدين وصار من الممكن أن نرى تحت الرّكَب السمينة أو الهزيلة ، رُكَبـاً مماثلة لرُكَبنا . لقد تبين في نهاية الأمر أن السموات خاوية،وانطلقت عن ذلك ضحكة عالية .

لكن مياه الأرض تدير المناسج الجديدة ، وفي ورش المـوانى

ومصانع الحبال والشراعات تشتغل خمسمائة يد في وقت واحـــد بنظام جديد .

وأنا أتنبأ بأننا سنعيش حتّى نسمع الناس يتكلمون في الأســـواق عن علم الفلك ، وحتّى أولاد بائعات السمك الذين سيتدافعون إلى المدارس . لأن هؤلاء الناس الذين تراهم في مدننا متشوقون للتغيير ، وسيشعرون بالرضا والارتياح حين يرون أن علمَ فلكٍ جديداً سيجعل الأرض تتحرك . لقد كان يقال دائماً ان النجوم مثبتة في قبة من البلّور حتّى لا تسقط . أما الآن فقد تحلينا بالشجاعة ، وسندعها تتجول في الفضاء ، دون أن تكون مُثَبّتة في شيء ، وها هي ذى تسبح في الفضاء الفسيح ، مثل سفننا في البحار وهى تجول دون مراسٍ .

والأرض تدور مبتهجة حول الشمس ، وبائعات السمك ، والتجار ، والأمراء ، والكرادلة ، والبابا نفسه — كل الناس يدورون معها .

أما الكون فَقَدْ فَقَدَ مركزه في ليلـــة واحدة ، وفي الصبـــاح صارت له مراكز لا حصر لهـــا . حتّى صار كل شيء مركزا ، ولا مركز ، إذ كثرت المواضع .

وسفننا تنطلق إلى الآفاق البعيدة ، والنجوم تدور إلى غير نهايـــة في المدارات الكبرى في الفضاء ، وحتّى في لعبة الشطرنج تجول الطوابى في كل الخانات .

ماذا قال الشاعر ؟ « ياله فجر جديد . . . »

اندريـــا : —

« ياله فجر جديد !
بالنسم الريح يأتى
الآن من شط جديد ! »

ثم ، عليك أن تشرب هذا اللبن ، فعمّا قليل ستبدأ الزيارات .

جاليلـيو : ما قلته لك ، هل فهمته منذ أمس مساء ؟

اندريـا : ماذا ؟ حكاية كبرّنيك وأشيائه التى تدور ؟

جاليلـيو : نعم !

اندريـا : لا . ولماذا تريد منى أن أفهمها ؟ انها صعبة جدا ، ولن أبلغ من العمر الحادية عشرة الا في أكتوبر .

جاليلـيو : ما يهمنى أيضا هو أن تفهم أنت كذلك . وإذا كنت ترانى أشتغل وبدلا من دفع المبالغ المستحقة لبائع اللبن ، أشترى هذه الكتب الغالية الثمن ، فذلك من أجل أن يفهم الناس .

اندريـا : لكنى أرى بوضوح أن الشمس في المساء تتوقف في مكان غير مكانها في الصباح . فليس من الممكن اذن أنها لا تتحرك . مستحيل .

جاليلـيو : هكذا وماذا ترى ؟ أنت لا ترى شيئا أبداً أنت تحملق بعينيك فقط . والحملقة ليست هى الرؤية . (يضع في وسط الغرفة الحامل الحديدى الذى يحمل الحوض) . لنفترض أن هذا هو الشمس . اقعد (اندريا يقعد على أحد الكرسيين وجاليليو يقف خلفه) أين الشمس : عن يمين ؟ عن يسار ؟

اندريـا : عن يسار .

جاليلـيو : وكيف تنتقل إلى اليمين؟

اندريـــا : إذا جعلتها تنتقل إلى اليمين ، طبعا .

جاليــــو : فقط في هذه الحالة ؟ (يرفعه مع الكرسي ويجعله يدور نصف دورة) . أين الشمس ، الآن ؟

اندريـــا : على اليمين .

جاليــــو : وهل تحركت ؟

اندريـــا : لا ، طبعا .

جاليــــو : ومن الذى تحرك ؟

اندريـــا : أنا .

جاليــــو : (صائحا) لا ، يا مغفل ! الكرسى !

اندريـــا : وأنا معه !

جاليــــو : بالتأكيد . الكرسى هو الأرض ، وأنت جالس فوقه

السيد سارتى : (تدخل لترتيب السرير ، وقد لاحظت المنظر —) ماذا تفعل مع ولدى ، ياسيد جاليلو؟

جاليــــو : أعلمه كيف ينظر ، ياسارتى

السيد سارتى : وأنت تديره في الغرفة

أندريـــا : لاشأن لك بهذا ، ياأماه . فهذا أمر لاتفهمينه .

السيد سارتى : آ ه ، هكذا ؟ وأنت ، أنت تفهمه ؟ هنا شاب يريد تلقى دروس . يلبس ثيابا فاخرة ، ومعه خطاب توصية . (تعطيه الخطاب) ستفيد أندريا كثيرا ، إلى حد أنه سينتهى به الأمر أن يقول ان ٢×٢=٥ . أنه يخلط في كل ماتقوله له . أمس فقط أراد أن

يبرهن لى على أن الأرض تدور حول الشمس .
ويعتقد اعتقادا جازما أن رجلا اسمه كبرّنيك قد بيّن هذا بالحسابات .

أندريــا : ياسيد جاالليو ، ألم يبرهن على هذا كبرّنيك ؟ قل لها أنت بنفسك .

السيد سارتى : ماذا ؟ هل تقول له حقا مثل هذه الحماقات؟ حتّى يذيع هذا في المدرسة ، وبعد هذا يأتى القساوسة إلىّ فيخبروننى أن أبنى يهذى بخرافات ؟ ألا تخجل ، ياسيد جالليو ؟

جالليــو : (وهو يتناول طعام الافطار) : ياسيدة سارتى ! استناداً إلى أبحاثنا وبعد مناقشات حامية قمنا ، أندريا وأنا ، باكتشافات لانستطيع أن نستمر في أخفائها عن الناس . لقد بدأ عصر جديد ، عصر عظيم ، ماأمتع العيش فيه !

السيدة سارتى : هكذا ؟ وأرجو أن نتمكن من دفع المبالغ المستحقة علينا لبائع اللبن في عصرك الجديد هذا ، ياسيد جالليو . وأرجوك ألا تردّ الشاب كما فعلت مع الآخرين . انى أفكر في دفع ثمن اللبن . (تخرج)

جالليــو : (ضاحكاً) دعنى على الأقل طوال المدة التى فيها أشربه . (مخاطبا أندريا :) إذاً فهمت بالأمس بعض الأشياء .

أندريــا : لقد قلت هذا لها لأبهرها . ولكن المسألة ليست بهذه البساطة . الكرسى الذى كنت أجلس عليه ، كل مافعلته هو أنك أدرته حول نفسه أفقيا ، وليس

هكذا . (يقوم بحركة الترجح بذراعه) والا لكُنْت سَقَطت . هذه هى الحقيقة . فلماذا لم تحرك الكرسى ورأسى إلى أسفل ؟ ذلك أن هذا سيكون برهانا على أنني أنا سأسقط من على الأرض اذا تحركت بهذه الكيفية . لقد وَقَعْتَ فيمَأْزِق

جاليـــو : لكني برهنت لك . . .

أندريـــا : نعم ، لكن في الليلة الماضية فكرت فوجدت أنه في هذه الحالة اذا دارت الأرض هكذا فان رأسى في الليل سيكون في أسفل . وهذه حقيقة .

جاليـــو : (وقد أخذ تفاحة من فوق المنضدة) : لنفرض أن هذه هى الأرض .

أندريـــا : لاتضرب أمثلة من هذا النوع ، ياسيد جاليو. فبها ستستطيع التخلص باستمرار .

جاليـــو : (معيداً التفاحة إلى مكانها) : ليكن .

أندريـــا : بواسطة الأمثلة يستطيع المرء التخلص ، مادام يحسن ضربها . والفارق هو أنني أنا لاأستطيع أن أجرر أمى على كرسى ، كما تفعل أنت معى . وهكذا ترى أن المثل ردىء . ثم ماذا يحدث، اذا كانت تفاحتك هذه هى الأرض ؟ لاشىء يحدث أبداً .

جاليـــو : (ضاحكا) : يظهر أنه لايهمك أن تعرف .

أندريـــا : أَمْسك بالتفاحة مرة أخرى . كيف يتأتى ألا تكون رأسى إلى أسفل في أثناء الليل ؟

جاليـــو : لنفرض اذن أن هذه هى الأرض ، وأنك أنت هناك (يغرز في التفاحة شظية خشب أخذها من حطبة) والآن تدور الأرض .

أندريـــا : والآن رأسي منكوس .

جاليـــو : كيف ؟ انظر جيدا . أين الرأس ؟

أندريـــا : (وهو يشير إلى نقطة في التفاحة) : هناك ، في أسفل .

جاليـــو : كيف (يدير التفاحة في الأتجاه العكسى .) أليس في نفس المكان ؟ أوليست القدمان في أسفل ؟ أو هل أنا أقيمك منتصبا حينما أديرك ، هكذا ؟

(يسحب شظية الخشب من التفاحة ويديرها) .

أندريـــا : لا . لكن لماذا لاأحسّ بأى تقلب ؟

جاليـــو : لأنك تدور مع الأرض . أنت ، والهواء الذى فوقك ، وكل من على الكرة .

أندريـــا : ولكن لماذا يخيّل إلى المرء أن الشمس هى التى تدور؟

جاليـــو : (وهو يدير التفاحةمن جديد بواسطة شظية الخشب المغروسة فيها) : اذن أنت ترى الأرض تحتك ، وهى كمـــا هى ، دائما في أسفل ، وبالنسبة اليك يبدو أنها لاتتحرك . لكن ، انظر الآن من فوقك الآن ، المصباح فوق رأسك، ولكن حينما أدرت التفاحة فما هو الشىء الذى فوق الرأس ، وبالتالى هو في أعلى ؟

اندريـــا : (مصاحبا الحركة) : الموقـــد .

جاليـــو : والمصباح ، أين هو ؟

اندريـــا : هذا عظيم ، هذا سيد هشها .

(يدخل لودفكو مرسيلى ، وهو شاب من أسرة موسرة)

جاليـــو : هذا البيت مثل برج الحمام .

لودفكـــو : صباح الخير يا سيدى. أنا اسمى لودفكو مرسيلى .

جاليـــو : (وهو يتفحص خطاب التّوْصِية) : كُنْتَ في هولنده ؟

دفكـــو : سمعت عنك كثيرا ياسيد جاليو .

جاليـــو : لأسرتك أرض في كمبانيا

لودفكـــو : تمنت أمي عليّ أن احتك بالدنيا ، ابتغاء رؤيـــة الأشياء الجديدة الخ .

جاليـــو : وفي هولنده سمعتهم يقولون ان الجديد في ايطاليا مثلا هو أنا ؟

لودفكـــو : ولما كانت امى تريد منى أن أحتك قليلا بالعلوم. .

جاليـــو : دروس خصوصية : عشرون اسكودى في الشهر.

لودفكـــو : حسن جدا يا سيدى .

جاليـــو : بماذا تهتم ؟

لودفكـــو : بالخيـــل .

جاليـــو : هيه ! هيه !

لودفكـــو : رأسي لم يخلق للعلوم ، يا سيدى جاليـــو .

جاليليو : هيه ! هيه ! في هذه الحالة تدفع خمسة عشر اسكودى .

لودفكو : حسن جدا ، يا سيد جاليليو .

جاليليو : لابد من أن يكون درسك في الصباح الباكر . وستكون أنت الضحية ، يا اندريا . طبعا الدرس الخاص بك سيلغى . وأنت فاهم ، لأنك لاتدفع .

اندريا : حسن ، أنا ذاهب . هل أستطيع أخذ التفاحة ؟

جاليليو : نعم .

(اندريا يخرج)

لودفكو : معى يجب عليك أن تكون صبورا . الصعوبة الكبرى هى أنه في العلوم لا شئ يجرى كما يشير به الفهم العليم . خذ مثلا تلك الأنبوبة الغزيبة التى تباع في امستردام. لقد فحصتها بدقة . يدٌ من الجلد الأخضر وعدستان ، واحدة هكذا (يده ترسم عدسة مقعرة) ، والأخرى هكذا (يده ترسم عدسة محدبة). ويقال ان الواحدة تكبر ، والأخرى تصغرّ . وأى انسان عاقل يتخيل أنهما تتعادلان. أبدا . فمن خلال هذا الجهاز يرى الشئ مكبرا خمس مرات . هذا هو العلم الذى تريده، ياسيدى

جاليليو : أى شئ يرى مكبرا خمس مرات ؟

لودفكو : ابراج نواقيس ، حمام . كل ما هو بعيد .

جاليليو : هل رأيتها أنت بنفسك هذه الأبراج المكبرة ؟

لودفكو : بالتأكيد ، ياسيدى .

جاليليو : والأنبوبة فيها عدستان ؟ (يخطط رسما « كروياً » على ورقة) هكذا ؟ (لودفكو يوافق بهز رأسه) متى ظهر هذا الاختراع؟

لودفكو : قبيل سفرى من هولنده بأيام قليلة ، على كل حال لم يظهر في السوق الا منذ وقت قصير .

جاليليو : (بشيء من التودد) : ولماذا علم الطبيعة بالذات؟ لماذا لا تدرس تربية الخيل ؟ (السيدة سارتى تدخل دون أن يراها جاليليو)

لودفكو : أمّى تقول ان قليلا من العلم لا غنى عنه — في هذه الأيام الناس جميعا يهتمون بالعلم .

جاليليو : يمكنك ان تتعلم لغة من اللغات القديمة ، أو اللاهوت : فهذا أسهل عليك (وقد تنبه الى وجود السيدة سارتى) : حسن ، تعال صباح الثلاثاء . (لودفكو يذهب) . لا تتطلعى فيّ هكذا . فقد وافقتُ على التدريس له .

السيدة سارتى : لأنك أَبْصَرْتنى في الوقت المناسب . ان مدير الجامعة ينتظرك في الخارج

جاليليو : دعيه يدخل . انه مهم . ربما أحصل على خمسمائة اسكودى . ، وفي هذه الحالة لن أكون في حاجة الى اعطاء دروس خصوصية . (السيدة سارتى تدعو المدير للدخول . ارتدى جاليليو كل ثيابه ، وهو يكتب بعض الأرقام على قطعة من الورق) صباح الخير . أقرضنى نصف اسكودى . (يعطى

السيدة سارتى قطعة النقود التى استخرجها مدير الجامعة من حافظة نقوده) . يا سيدتى سارتى ، ابعثى باندريا الى صاقل العدسات لاحضار عدستين. المقاييس هناك ، على هذه الورقة .

(السيدة سارتى تخرج ومعها الورقة)

المدير : أتيت للتحدث معك بشأن طلبك زيادة مرتبك الى ألف اسكوده . لكن يؤسفنى ألا أعطى الرأى بالموافقة للجامعة . أنت تعلم جيدا أن محاضرات الرياضيات لاتجتذب العدد الكبير الى الجامعة . هذه واقعة حقيقية . ذلك أن الرياضيات صناعة لاتوفر الكسب الكافي لصاحبها . وليس ذلك لأن الجمهورية لاتقيم لها وزنا كبيرا : فان الرياضيات وان لم تكن لاغنى عنها مثل الفلسفة ، ولا مفيدة مثل اللاهوت ، فانها تحقق لدارسها لذّات لاحدّ لها .

جاليليو : (مكبا على أوراقه) : ياعزيزى ، أنا لا أستطيع أن أعيش بخمسمائة اسكودو .

المدير : لكن ، ياسيد جاليليو ، أنت تلقى درسين في الاسبوع بمعدل ساعتين لكل درس . وشهرتك النادرة تخوّل لك الحصول على أى عدد من التلاميذ القادرين على دفع أثمان الدروس الخصوصية . ألا تلقى دروسا خصوصية ؟

جاليليو : ياسيدى العزيز ، عندى الكثير جدا . اعطاء دروس

خصوصية ، دائما دروس، وأين اذن سأجـــــد الوقت الكافي للاطلاع والافادة ؟ يا الهي ! لست كواحد من هؤلاء السادة الأساتذة في كليةالفلسفة، هؤلاء الأذكياء . أنا غبيّ . لا أفهـــم شيئا في أى شيء . ولهـــذا فانني مضطر الى ســـد الثغرات في معلوماتي . لكن أين أجد الوقت لذلك ؟ وأين أجد الوقت للقيام بالأبحاث ؟ أنا ياسيدى يحتاج علمـــى الى مزيد من العلم . فيما يتعلق بالمشكلـــة الكبرى ليس لدينا حتّى الآن غير فروض . وما نطالب به أنفسنا هو البراهين. فكيف السبيل الى أن أتقدم في هذا المجال ، اذا كنت مضطرا ، من أجل لقمة العيش ، أن أكرر لأى غبيّ عنده الوسيلة لدفــع الثمن ، أن المتوازيات تلتقى عند النهاية ؟

المديـــر : ينبغى ألا تنسى أنه اذا كانت جمهوريتنا ربمـــا لاتدفع بنفس السخاء الذى يدفعه بعض الأمراء ، فانها في مقابل ذلك تضمن حرية البحث . ونحـــن في جامعة بادوا نسمح حتّى للبروتستنت بالحضور كمستمعين ! ونعطيهم الدكتوراه . خذ مثلا الأستاذ كريمونيني Cremonini : ليس فقط نحـــن لم نسلمه لمحاكم التفتيش لما أن برهنوا لنا ، أقـــول برهنوا ياسيد جاليلو ، أنه كان يلقى بآراء مخالفـــة للايمان ، بل ورفعنا مرتبه،حتى في هولنده يعرفون عنا ذلك . البندقية هى الجمهورية التى لا قيمة فيها لمحاكم التفتيش . ولهذا الأمر قيمته بالنسبة اليك،

فأنت عالم فلك ، وبالتالى ميدان تخصصك من الميادين التى فيها مذهب الكنيسة لايعامل بالاحترام الواجب .

جاليلـو : والأستاذ جوردانو برونو Giordano Bruno ؟ لقد كان هنا ، وأنتم الذين أسلمتموه الى روما . لا لشئ الا لأنه نشر آراء كوبر نيكوس .

المديـر : لا لأنه نشر آراء كوبر نيكوس هذا ، وهى مع ذلك آراء فاسدة ، ولكن لأنه لم يكن من أهالى البندقية ، ولم يشغل أية وظيفة هنا . فدع اذن من أحرقوه في روما حيثُ هم . ولا أكتمك أنه على الرغم من الحرية التى تسود هنا ، فمن الأفضل لك ألا تذكر عاليا مثل هذا الاسم ، الذى حلت عليه اللعنة الصريحة للكنيسة . ولا هنا . لا . ولاهنا.

جاليلـو : حمايتكم لحرية الفكر هذا أمر جميل جدا. وبفضل هذه الحجة ، وهى أن محاكم التفتيش تسيطر في الأماكن الأخرى وتحكم بالاحراق ، صار عندكم أساتذة أفاضل . أنتم تحمون من محاكم التفتيش ، لكنكم تدفعون أقل مما يدفع الآخرون ، وبهذا توفرون .

المديـر : هذا افك ، افك فاحش ! وماذا يفيدك أن يكون عندك كل الوقت للبحث ، اذا كان أى راهب جاهل من رجال التفتيش يستطيع أن يمنع ويصادر أفكارك ؟ لا ورد بلاشوك ، ولا أمير بدون رهبان يا سيد جاليلـو .

جاليلـو : وفيم تفيد حرية البحث ، اذا أعوز الفراغ للقيام بالبحث ؟ وماذا يصنع بالنتائج ؟ ألا تستطيع أن ترى هؤلاء السادة ، أعضاء المجلس الأعلى ، هذه الابحاث المتعلقة بقوانين سقوط الأجسام (يريه اضبارةمن الأوراق المخطوطة) وتسألهم : ألا تساوى هذه مزيدا من الاسكودات القليلة ؟

المديـر : هذا يساوى الكثير جدا ، ياسيد جاليلو .

جاليلـه : لا ، ليس الكثير جدا ، بل فقط خمسمائه اسكودو زيادةً ، ياسيدى العزيز .

المديـر : يساوى أسكوديات ما يَدِرّ اسكوديات . اذا كنت تريد نقودا ، فعليك أن ترينا شيئا آخر . أما فيما يتعلق بالعلم الذى تريد بيعه ، فينبغى ألا تطلب عنه أكثر مما يَدِرّه على من يشتريه . خذ مثلا الفلسفة التى يبيعها الأستاذ كولومب في فيرنتسه : انها تدر على الأمير عشرة آلاف اسكوده على الأقل في العام الواحد . صحيح ان قوانينك الخاصة بسقوط الأجسام قد أثارت ضجة ، وفي براج وباريس الكل يصفقون لك بحماسة . لكن هؤلاء المصفقين لايدفعون لجامعة بادوا شيئا نظير ماتكلفها أنت . مصيبتك ، ياسيدجاليلو ، هى في تخصصك.

جاليلـو : فاهم : السوق الحرة ، والبحث الحر . وبالجملة ، السوق الحرة للبحث ، أليس كذلك ؟

المديـر : أوه ، ياسيد جاليلو ! كيف تتصور الأمور ! اسمح لى أن أقول لك انى لاأفهم تماما أجوبتك الساخرة

هذه . ولايتضح لى ماهو العيب في ازدهار تجارة جمهوريتنا .ولكنى ، وأنا مدير للجامعة منذسنوات طويلة، لاأسمح لنفسى بالكلام بهذه اللهجة عن البحث، هذه اللهجة ، وأسمح لى أن أقولها — غير اللائقة.(جاليلو يلقى نظرة مضطربة على مكتبه) فكّر فيما يجرى في سائر أنحاء أيطاليا . فكّر في الاستبداد الذى يذلّ العلوم ويبكيها في كثير من المواطن. هناك يؤخذ جلد المجلدات العتيقة ليصنع منه سيور للسياط. هناك مايجب معرفته ليس هو كيف يسقط الحجر ، ولكن ماذا قال أرسطو في هذا .والعيون فائدتها الوحيدة هى للقراءة . وفيم تفيد القوانين الجديدة الخاصة بسقوط الأجسام ، اذا كانالشىء الوحيد الذىيهم هو القوانين الخاصة بفن الركوع والانحناء؟ قارن بهذا كله السرور الذى لاحد له الذى به تستقبل جمهوريتنا آراءك، مهما تكن جريئة. لاأحد يراقبك ، ولاأحد يضطهدك . وتجارنا ـ وهم يعرفون، في المنافسة مع فيرنتسه ، أهمية تحسين نوع المنسوجات ـ يستمعون اليك باهتمام حين تعلن قائلا : « حسنوا علم الطبيعة » ويعرفون كم يدين علم الطبيعةلهذا التحسين لوسائل النسيج؟ ان البارزين من مواطنينا يهتمون بأبحاثك ويزورونك ويرحبون بالأطلاع على أكتشافاتك، مع أن وقتهم ثمين جدا . لاتحتقر التجارة ، ياسيد جاليو . لاأحد يسمح هنا بالتشويش عليك في

عملك، أو أن يخلق لك الصعوبات غير المختصين أعترف ياسيد جاليليو بأنك تستطيع العمل ها هنا .

جاليليو : (يائسا) : نعم .

المدير : وفيما يتعلق بالجانب المادى ، عليك ان تبتكر لنا شيئا بديعا مثل فرجار التناسب الذى اخترعته ، والذى بفضله يمكن الانسان- دون أن تكون لديه أدنى فكرة عن الرياضيات - : (يعد على أصابعه) أن يرسم منحنيات ، وأن يحسب الفوائد المركبة لرأس المال بنسخ مستويات مساحية على مقياس رسم أصغر أو أكبر ،وأن يحدد وزن دانات المدافع.

جاليليو : هذه لعبة أطفال .

المدير : اختراعٌ أدهش كبار المواطنين ، ودرّ نقداً سائلا أتسميه لعبة أطفال؟ ! ولقد قيل لى إنه بهذه الآلة نفسها استطاع حتى الجنرال استفانو جريتى أن يستخرج الجذور التربيعية!

جاليليو : معجزة ، في الحقيقة يابريولى Priuli أنك جعلتنى أفكر . بريولى ، ربما عندى لك شيء من النوع الذى تتكلم عنه. (يأخذ من فوق المنضدة الورقة المرسوم فيها رسم كروكى)

المدير : صحيح؟ هذا سيرتب كل شيء (ينهض واقفا) نحن نعلم ،ياسيد جاليليو ، أنك عقل ممتاز . ممتاز ولكنه غير راض أبدا ، إذا جاز لى هذا التعبير .

جاليلو : نعم أنا غير راض أبدا ، ولو فهمت الأمور ، لوجدت أن عدم الرضا هذا يستحق زيادة في المرتب . لأنى غير راض . . . عن نفسى . ، لكن بدلا من هذا ، تفعلون كل المطلوب من أجل أن يتحول عدم رضاى ضدكم . وأنا أعترف ، ياسادة البندقية ، أننى لست ساخطا على كونى واحدا في ترسانتكم الشهيرة وفي ورشكم البحرية ومصانع المدافع . لكنكم لا تتركون لى الوقت اللازم الكافي لعمل التأمل الذى يلحّ علىّ دائما ويجعلنى أتقدم في تخصصى نفسه . وتقيدون الثور الذى يدرس حبوب حقولكم . عمرى الآن ست وأربعون سنة ، ولم أحقق حتّى الآن شيئا أرضاه لنفسى .

المدير : في هذه الحالة ، لا أود أن أضايقك أكثر .

جاليلو : شكرا .

(يذهب المدير . يبقّى جاليلو وحده لحظات ويشرع في العمل. يدخل اندريا باندفاع)

جاليلو : (دون أن يقطع عمله) : لماذا لم تأكل التفاحة ؟

اندريا : بهذه أود أن أثبت لها أن الأرض تدور .

جاليلو : علىّ أن أقول لك شيئا يا اندريا : لاتتكلم عن أفكارنا مع الناس .

اندريا : لماذا ؟

جاليلو : السلطات لاتريد هذا .

اندريا
جاليـــو : لكن ، مادامت هذه هى الحقيقة ؟

جاليـــو : صحيح ، لكنها لاتريد . وفي مسألتنا هذه هنـــاك سبب آخر . فنحن ، علماء الطبيعة ، لسنا قادرين باستمرار على سوق البرهان على ما نعتقد أنه حق . وحتى نظرية كوبرنيكوس العظيم لم يبرهن عليهـــا بعد . انها مجرد فرض . أعطنى العدسات .

اندريـــا : لم يَكْفِ نصفُ الاسكودى . فاضطررتُ أن أترك هناك معطفى رهْناً .

جاليـــو : وماذا تصنع في الشتاء بدون معطف ؟

(صمت . جاليلو يرتب العدسات على الورقة التى فيها الرسم الكروكى)

اندريـــا : لكن ما هو الفرض ؟

جاليـــو : هو أن نقر بان شيئا محتمل ، لكن دون أن تكون لدينا الوقائع التى تثبته . خذ مثلا فيليشيا ، هنـــاك أمام دكان القفاّص ومعها طفلها يرضـــع : اذا قلنا انها تعطى الطفل لبنا ، لا أن الطفل هو الـــذى يعطيها اللبن ، فان هذا القول يظل فرضا طالمـــا لم نذهب الى هناك ونشاهد ونحصل على الدليل . وأمام النجوم نحن مثل دود الأرض ، بعيون ضعيفةلاترى الكثير . والنظريات القديمة التى اعتقد الناس صحتها طوال ألف عام ، هى على استعداد للانهيـــار ، وفي هذه الأبنية الهائلة من الخشب أقل مما في السواند

المفروض فيها أنها تسندها . كميات من القوانين لتفسير القليل جدا من الأشياء ، بينما الفرض الجديد لا يتضمن غير قليل من القوانين لتفسير كميات من الأشياء .

اندريا : لكنك برهنت لى على كل شئ .

جاليلو : لقد أثبت فقط أن هذا ممكن . الفرض جميل ، ولا شئ ضده .

اندريا : وأنا أيضا ، ياسيد جاليلو ، أريد فيما بعد أن أصبح عالم طبيعة .

جاليلو : أعتقد هذا ، خصوصا وهناك مسائل عديدة جدا يجب إيضاحها في ميداننا هذا . (ذهب الى النافذة ونظر من خلال العدسات . ودون حماسة كبيرة قال :) انظر قليلا في هذا ، يا أندريا .

اندريا : ياللعذراء مريم المقدسة ! كل الأشياء تقترب . برج الناقوس يرى قريبا جدا . وفي وسعى أن أقرأ الحروف على النحاس : « الحمد لله » .

جاليلو : هذا يساوى خمسمائة اسكودى بالنسبة الينا .

★ ★ ★

(٢)

(جالليو يهدى إلى جمهورية البندقية اختراعا جديدا)

ما كل ما فعل العظيم عظيما
جالليو يأكل وافــراً مسرورا
والآن إسْمع ،واطرحْ كلّ الغضب
اسْمَع حقيقة آلــة المقــراب

الترسانة الكبرى في ميناء البندقية .

أعضاء المجلس ، وعلى رأسهم الدوج . وفي ناحيته يقف سجريدو ، صديق جالليو ، وفرجينيا جاليلاى ، وعمرها ١٥ سنة ، تحمل مخدة من المخمل عليها عدسة طولها حوالى ٦٠ سنتيمتراً ، موضوعة فــى غلاف من الجلد الأحمر الغامق . جالليو واقف على منصة . وخلفــه حامل العدسة ، وبالقرب منه صاقل العدسات فدرتسونى مشغول).

جالليــو : صاحب السعادة ، أيها المجلس النبيل . منذ قيامى بتدريس الرياضيات في جامعتكم ، جامعة بادوا ، وادارتى لترسانتكم الكبيرة في مدينة البندقية هذه ، كنت أحسب من واجبى ليس فقــط أن أؤدى مهمتى الجامعية النبيلة بأمانة واخلاص ، بل وأيضاً ، أن أهيىء لجمهورية البندقية الوقور أرباحا غــير عادية بفضل اختراعات مفيدة. وفي وسعى اليوم ، والسرور يغمر نفسى ، وبكل الاحترام الواجب لكم ، أن أعرض عليكم آلة جديدة تماما ، هى

المقراب (التلسكوب) وقد حققتها في ترسانتكم الشهيرة وفقا للمبادىء العليا لعلم الطبيعة والايمان المسيحى . وهى ثمرة سبعة عشر عاما من الأبحاث المتصلة التى قام بها مَنْ يُشَرّفه أن يكون خادمكم المتواضع جدا والمخلص جدا . (جاليليو يترك المنبر ، ويأتى إلى قرب سجريدو . تصفيق) .

(جاليليو ينحنى لسجريدو هامسا) : إنى أضيّع وقتى !

سجريدو : (بصوت خفيض) ياصاحبى ، سيكون فى مقدورك أن تدفع ما عليك للجزار .

جاليليو : صحيح ، هذا سيجلب لهم نقودا .

(يحيى من جديد)

المدير : (وهو يرتقى المنصة) صاحب السعادة ، أيها المجلس النبيل ! مرة أخرى تكتب صفحة من المجد في سجل الفنون والصناعات بأحرف خطتها يد بندقية . (تصفيق مهذب) عالم مشهور في العالم كله يهدى اليكم ، واليكم وحدكم ، أنبوبة رائجة البيع جدا ، لتنتجوا منها وتلقوا بانتاجكم فى السوق كما تشاءون . (تصفيق أشد) . وهل لاحظتم أنه في وقت الحرب سنستطيع ، بفضل هذه الآلة ، أن نعرف أنباء سفن العدو : عددها ونوعها ، نعرفها أسبق من معرفتهم لسفننا بساعتين ، حتى أننا وقد عرفنا قواتهم نستطيع أن نقرر هل نطاردهم ، أو نخوض معركة معهم ،

أو نهرب منهم . (تصفيق حـاد) . والآن ، ياصاحب السعادة ، ويا أيها المجلس النبيل ، ان السيد جاليليو يلتمس منكم أن تتفضلوا بقبول هذه الآلة التي اخترعها ، والتي تشهد بعبقريته ، قبولها من يدى ابنته الجميلة .

(موسيقى . فرجينيا تتقدم ، وتنحنى ، وتعطـى المدير المقراب ، وهذا بدوره يقدمه لفدرتسونى . وفدرتسونى يضعه على الحامل ويصوبه . والدوج وأعضاء المجلس يصعدون على المنصة وينظـرون من خلال المقراب) .

جاليليـو : (بصوت خفيض) لا أستطيع أن أعدك بتحمـل هذه الألاعيب حتى النهاية . انظر اليهم : انهـم يعتقدون أنهم تلقوا ألعوبـة صغيرة ستدر عليهم أرباحا طائلة ، ان الأمر أهم بكثير . هذه الأنبوبة ، في الليلة الماضية ، صوبتها نحو القمر .

سجريـدو : وماذا رأيت ؟

جاليليـو : القمر لا يضيء بنفسه .

سجريـدو : كيـف ؟

المستشارون : ياسيد جاليليو ، انني أستطيع أن أرى تحصينـات سنتاروزيتا Santa Rosita هناك ، على السفينة ، يتناولون وجبة الغذاء . سمك مقلى . هذا يسيل لعابي .

جاليليـو : أقول لك ان علم الفلك توقف منذ ألف سنة بسبب

عدم وجود عدسات.

عضو في المجلس : السيد جاليليو !

سجريدو : الكلام موجه اليك .

عضو في المجلس : يمكن المرء أن يبصر جيدا بواسطة هذا الجهاز . وعليّ أن أقول لأهلي أن يكفّوا بعد الآن عن الاستحمام فوق السطح.

جاليليو : هل تعرف مم يتكون نهر المجرّة ؟

سجريدو : لا .

جاليليو : أنا أعرف.

عضو في المجلس : جهاز مثل هذا ، ياسيد جاليليو، يمكن أن يطلب المرء فيه عشرة اسكودى.

(جاليليو ينحنى)

فرجينيا : (مقتادة لودفكو إلى أبيها) يا أبي ، لودفكو يودّ أن يهنئك.

لودفكو : (بتلعثم وحرج) تهانىّ ، ياسيدى.

جاليليو : لقد أصلحته .

لودفكو : بالتأكيد ، ياسيدى ! لقد لاحظت أنك طليت الغلاف بالأحمر . في هولنده ، كان أخضر .

جاليليو : (ملتفتا إلى سجريدو) وانى أسائل نفسى عما إذا كنت أستطيع أن أبرهن ، بواسطة هذا الجهاز، على صحة نظرية معينة .

سجريدو : فكّرْ فيما تقول .

المديـــر : ياجاليليو ! الخمسمائة اسكوده صارت في جيبك .

جاليليـــو : (دون أن يوجه انتباهه اليه) طبعا ، أنا محتـــاط جدا من الوصول إلى نتيجة سابقة على الأوان.

(الدوج ، رجل بدين متواضع ، يقترب، وبهيبة متلعثمة يحاول أن يوجه اليه الكلام).

المديـــر : ياسيد جاليليو ، صاحب السعادة الدوج.

(الدوج يصافح بشدة كف جاليليو)

جاليليـــو : صحيح، الخمسمائة اسكوده . اذن هم راضون ياصاحب السعادة ؟

الـــدوج : من المحزن في جمهوريتنا أنه يجب مع شيوخنـــا المتحوطين أن يقدم لهم حجة قبل أن نستطيع أن ندس لعلمائنا بعض المنح .

المديـــر : ومن ناحية أخرى، ياسيد جاليليو ، ماذا تريـــد لمزيد من التشجيع وحفز الهمة؟

الـــدوج : (بابتسامة) لابد لنا من حجة.

(الدوج والمدير يقتادان جاليليو إلى أعضاء المجلس، الذين يحاصرونه. أما فرجينيا ولودفكو فيبتعدان ببطء).

فرجينيـــا : هل فعلت كما ينبغى؟

لودفـــكو : نعم ، كما ينبغى ، في نظرى .

فرجينيـــا : ماذا جرى لك؟

لودفكو : أوه ! لا شيء! ربما كان الغلاف الأخضر يؤدى نفس الغرض.

فرجينيا : أعتقد أنهم جميعا راضون عن والدى.

لودفكو : وأنا أعتقد أننى بدأت أفهم شيئا في علم الطبيعة.

★★★

(٣)

(١٠ ينايـــر سنة ١٦١٠ : بـــواسطة المقراب، يكتشف جاليلو في السماء ظواهر تبرهن على صحة نظرية كوبرنيكوس. صديقه يحذره من نتائـــج أبحاثه ، ولكن جاليليو يؤمن بالعقل الانسانى وقدراته .

في العاشر من يناير
عام ألف وستمائة وعشر
اكتشف جاليليو
أن السماء غير موجودة

مكتب جاليلو في بادوا. الوقت ليل. جاليليـــو وسجريدو وهما ملفوفان بمعاطف ثقيلة ، بالقرب من المقراب)

سجريــدو : (وهو ينظر من خلال المقراب بصوت خفيض) الحافة الداخلية للهلال غير منتظمة ، مسننة ، مملوءة بالنتوءات . وفي الجانب المظلم ، بالقرب من الحافة المضيئة ، توجد نقط ضوئية. تظهر الواحـــدة بعد الأخرى . وابتداء من هذه النقط ، ينتشر الضوء، وينبسط على سطوح تزداد اتساعا ، حيث تلحق بالمسطح المضىء الكبير.

جاليلـــو : كيف تفسرّ نقط الضوء هذه؟

سجريــدو : هذا غير ممكن .

جاليلـــو : نعم ، هذه جبال.

سجريـــدو : جبال فوق نجم !

جاليـــو : جبال هائلة ، قِمَمها ذَهّبَتْها الشمسُ المشرقة، بينما حولها لا يزال الليل يلقى ظلامه على السفوح. ما تراه هو الضوء الذى ينزل من أعلى القمم إلى عمق الأودية.

سجريـــدو : لكن هذا يتناقض مع عشرين قرنا من علم الفلك!

جاليـــو : تماما . ما تراه لم يره أحد من قبـــل ، غيرى أنا . وأنت ثانى إنسان .

سجريـــدو : لكن من المستحيل أن يكون القمر أرضاً ذات جبال وأودية ، كما أنه من المستحيل أن تكون الأرض نجمـــاً .

جاليـــو : من الممكن أن يكون القمر أرضـــا ذات جبـــال وأودية ، ومن الممكن أن تكون الأرض نجما: مجرد جرم سماوى، بين آلاف الأجرام ، ولا شيء أكثر من هذا . هل أنت ترى الجزء المظلم مظلما تماما؟

سجريـــدو : كلا . الآن وقد ركزت انتباهى فانى أرى فيـــه ضوءا ضعيفا ، ضوءا رماديا .

جاليـــو : وهذا الضوء ماذا عسى أن يكون ؟

سجريـــدو ؟

جاليـــو : انه قادم من الأرض .

سجريــــدو : غير معقول . كيف يتأتى للأرض أن تكونمضيئة ، بجبالها وغاباتها وأنهارها ، وهى جسم بارد ؟

جاالليــــو : بنفس الطريقة التى بها القمر مضىء . لما كان كلا الكوكبين مضيئا بالشمس ، فهذا يجعلهمامضيئين وما القمر بالنسبة الينا الا كما نحن بالنسبة الى القمر. والقمر يرانا أحيانا على هيئة هلال ، وأحيانا نصف دائرة ، وأحيانا دائرة كاملة ، وأحيانا لايرانــا أبــدا .

سجريــــدو : اذن لا فارق بين القمر والأرض ؟

جاالليــــو : لافارق ، كما يظهــر .

سجريــــدو : منذ أقل من عشر سنوات ، أُحرق رجل في روما . وكان اسمه جوردانو برونو ، وكان هذا تمامــا هو ما قرره .

جاالليــــو : بالتأكيد . ونحن نرى الأمر بوضوح . ركز عينك في العدسة ، يا سجريدو ، ما تراه هو أنه لافــرق بين السماء والأرض . نحن اليوم في العاشر مـــن يناير سنة ١٦١٠ . والانسانية سجّلت في سجلّها : « اليوم حذفنا السماء » .

سجريــــدو : هذا مخيف .

جاالليــــو : لقد اكتشفتُ شيئا آخر ، شيئا ربما كان أكـثر اثارة للدهشة .

السيدة سارتى : (وهى تدخل) : المدير !

(المدير يدخل في لهفــة)

المديـــر : معذرة عن المجئ في ساعة متأخرة . سأكون ممتنّاً إذا استطعتُ الكلام معك وحدك .

جاليليـــو : يا سيد بريولى ، كل ما أستطيع سماعه يستطيـــع السيد سجريدو أيضا سماعه .

المديـــر : ربما لايسرك أن يسمع هذا السيد الحكاية . انـــــه لأمر مع الأسف لايمكن أبدا تصديقه .

جاليليـــو : اعلم أنه حين يكون السيد سجريدو معى فانه متعود على سماع أمور لايمكن تصديقها .

المديـــر : أنا خائف من الأمر ، خائف تماما . (وهو يشير الى المقراب :) هذا هو الجهاز اياه ! هذا الجهـــــاز تستطيع أن تلقى به في المهملات . لافائدة منه ، أبداً .

سجريـــدو : (وكان يتمشى باضطراب محموم) : وكيف ؟

المديـــر : هل تعرف أن اختراعك هذا المزعوم ، الـــــذى قدمته على أنه ثمرة سبعة عشر عاما من البحـ ـث ، يمكن شراؤه باسكوديات قليلة في كل أنحـــــاء ايطاليا ؟ وفوق هذا ، هو مصنوع في هولنده . وفي هذا الوقت بالذات هناك سفينة هولندية تفـــرغ في الميناء مجموعة من خمسمائة وحدة من جهازك هذا .

جاليليـــو : صحيـــح ؟

المديـــر : أنا لا أفهم السر في هدوئك يا سيدى .

سجريـــدو : ماذا يحزنك ؟ اعلَمْ أن السيد جاليليو قد اســـتطاع بهذا الجهاز أن يكتشف في هذه الأيام اكتشافات عن عالم النجوم ستقلب كل شيء .

جاليلـو : (ضاحكا) : يمكنك أن تنظـر ، يا بريولى .

المديـر : اذن فلتعلم أن اكتشافي يكفيني : أنا الذى وافقت على مضاعفة مرتب السيد الجليل جاليلو ، من أجل هذه القطعة من الحديد الخردة . والسادة أعضـاء المجلس ، الذين اعتقدوا أنهم بهذه الآلة قد أمّنوا للجمهورية امتلاك شيء لايمكن صناعته الا هنا ، ويمكنهم اذا نظروا فيها أن يشاهدوا بائعا جـوالا بسيطا مكبرا سبع مرات وهو يبيع في أقرب زواية من الشارع ، هذه الأنبوبة نفسها تباع بما يساوى ثمن قطعة من الخبز .

(جاليلو يضحك ضحكة رنانة)

سجريـدو : يا سيدى بريولى العزيز ، لاشك في أننى لا أستطيع الحكم الصحيح على القيمة التجارية لهذه الآلـة ، لكن قيمتها بالنسبة الى الفلسفة كبيرة جدا الى حد..

المديـر : بالنسبة الى الفلسفة ! وما شـأن السيد جاليـو بالفلسفة ، وهو عالم رياضيات ؟ يا سيد جاليو ؟ لقد اخترعت منذ مدة للمدينة مضخة ماء جيدة ، وجهاز الرىّ هذا يعمل بكفاية تامة . والنساجون هم الآخرون لايتحدثون عن ماكينتك هذه الا بكل خير . فكيف كنتُ أتوقع منك مثل هذه الضربة؟

جاليـو : رفقا ، يابريولى . ان الطرق البحرية لاتزال بطيئة ، قليلة الأمان ، وغالية التكاليف . ويعوزنا نوع من الساعات في السماء ، يمكن الاعتماد عليه ، مـن أجل تبيين الطريق للسفن . وعندى من الأسبـاب

ما يجعلني أفترض أنه بفضل هذا المقراب يمكن رصد بعض النجوم ذوات الحركات المنتظمة جدا . خرائط جديدة للسماء ، يابريولى ، ستوفر للملاحة الملايين من الاسكوديات .

المديـــر : كفى ، كفى . كفانى أنى سمعت كلامك مرة أكثر مما ينبغي . وبدلا من أن تشكر لى فضلى جعلت مني هُزْأةَ المدينة . وستبقى ذكراى عند الناس ذكرى مدير احتيل عليه بعدسة هى سلعة رديئة . لك الحق في أن تضحك ! أنت ، لقد حصلت على الخمسمائة اسكودى التى طالبت بها . أما عن نفسى فانى أستطيع أن أقول لك ، ومن يقول لك هذا هو رجل شريف : ان العالم الذى أعيش فيه يثير في نفسى الاشمئزاز .

(يخرج قارعاً الباب من خلفه)

جاليـــو : في غضبه يصير شِبْه لطيفٍ . هل سمعتَ : عالَمٌ يستحيل فيه عقد صفقات مادية ، هذا العالم يثير في نفسه الاشمئزاز !

سجريـــدو : هل كنت على علم بهذه الالآت الهولندية ؟

جاليـــو : نعم ، بالسماع . لكنى صنعت لهؤلاء الأشخاص أعضاء المجلس الأعلى آلة أفضل بعشر مرات . كيف يمكننى أن أشتغل ، والمُحْضِر في غرفتى ؟ وفرجينيا ، وقد آن الأوان لاعداد جهازها ، انها قليلة الحظ من الذكاء . ثم انى أحب شراء الكتب ، وليس فقط في علم الطبيعة . كما أنى أحب الأكل

الجيد . ففى أثناء الطعام الجيد تنثال علىّ الأفكارُ . ياله من عصر فاسد ! إنهم لم يعطونى حتى مقدار ما يعطونه الحوذى الذى ينقل براميل الخمـر . أربعة أحمال حطب وقوداً من أجل دروس لمدة ساعتين أسبوعيـا في الرياضيات ! والآن قـد انتزعت منهم خمسمائة اسكودى ، لكن بقيت علىّ ديون مطلوبٌ دفعها ، بعضُها مستحق من عشرين سنة . كل ما أريده هو خمس سنـوات من الهدوء للقيام بأبحاثى . وحينئذ سأحصل على كل البراهين ، أود أن أريك شيئا آخر .

سجريـدو : (وهو يتردد في الاقتراب من المقراب) ياجاليلو ، أشعر بما يشبه الخوف .

جاليـو : سأريك الآن واحدا من هذه الضبابات اللامعة اللبنية التى تكوّن المجرةّ . قل لى ، من أى شىء تتكون ؟

سجريـدو : من نجوم ، يستحيل احصاؤها .

جاليـو : فقط في كوكبة الجوزاء يوجد خمسمائة نجم ثابت. هذه هى العوالم العديدة ، العوالم التى لا حصر لها ، والنجوم البعيدة التى تكلم عنها هذا الذى أحرقوه . انه لم يرها ، ولكنه توقعها .

سجريـدو : لكن حتى لو فرضنا أن هذه الأرض التى نحن عليها هى كوكب ، فاننا لا نزال بعيدين عن أقـوال كوبرنيكوس الذى يرى أنها تدور حول الشمس . اذ لا يوجد في السماء كوكب يدور حول كوكب

آخر . لكن، بحسب علمي، حول الأرض يـــدور القمـــر .

جاليـــو : انى أسائل نفسي ، ياسجريدو . منذ أمس وأنـــا أسائل نفسي . خذ المشترى (يصوّب المقراب) هناك بالقرب منه أربعة نجوم أصغر منه لا يمـــكن رؤيتها إلا بالمقراب . شاهدتها يوم الاثنين ، لكن دون أن التفت إلى مواقعها . وبالأمس عـــاودت النظر اليها . وكان في وسعي أن أقسم على أن النجوم الأربعة غيرّت مواقعها . سحبت مواقعها . فتغيرت مواقعها أيضا . ماذا يحدث ؟ ومع ذلك رأيـــت أربعة .

(بدهشة كبيرة) : انظر ، وقل لى .

سجريـــدو : أرى ثلاثة .

جاليـــو : أين الرابع اذن ؟ هذه هي الرسوم . لابد أن نحسب الحركات التي قامت بها .

(يجلسان في اهتياج شديد ويأخذان في العمـــل . المسرح يصبح مظلما ، لكن لا يزال يشاهد في الأفق المشترى وتوابعه . وحينما يضاء من جديد ، يُرَى الرجلان لا يزالان جالسين . وهما يلبسان معاطف شتوية) .

جاليـــو : تم البرهان . الامكان الوحيد هو أن النجم الرابع انتقل إلى الجانب الآخر من المشترى بحيث لم يعد مرئيا . وهكذا لديك كوكب يدور حول كوكب آخر .

سجريـــدو : والغلاف البلّورى الذى يوجد فيه المشترى ؟

جاليليـــو : صحيـــح ، أين هو الآن ؟ في أى شيء يوجـــد المشترى ، إذا كانت هناك نجوم أخرى تـــدور حوله ؟ ليس في السماء نقطة ارتكاز وليس في الكون مرساة ! لدينا شمس جديدة .

سجريـــدو : هدّئ نفسك ! أنت تتعجل البرهنة .

جاليليـــو : كيف أتعجل ؟ تحمس ! فان ما تراه هناك لم يره أحد من قبل . لقد كانوا على صواب .

سجريـــدو : من ؟ أنصار كوبرنيكوس ؟

جاليليـــو : وكذلك الرجل الآخر . العالم كله كان ضدهـــما ، وهما اللذان كانا على صواب . هذا شيء من أجل اندريا . (في حماســـة شديدة يهـــرع إلى الباب ويصرخ صائحا) : سيدة سارتى ! سيدة سارتى !

سجريـــدو : ياجاليليو ، هدئ روعك .

جاليليـــو : ياسجريدو ، تحمس . سيدة سارتى !

سجريـــدو : (مزيحا المقراب) ألا تتوقف عن النهيق عاليـــا كالمجانين ؟

جاليليـــو : وأنت ألا تتوقف عن القبوع هناك كالحطبـــة ، في الوقت الذى فيه انكشفت الحقيقة ؟

سجريـــدو : لست قابعا كالحطبة ، بل أنا أهتز من فكرة أن هذه ربما كانت الحقيقة .

جاليليـــو : مـــاذا ؟

سجريـــدو : هل فقدت كل عقلك ؟ هل صرت عاجزا عن فهم ما تخاطر بالوقوع فيه لو صح ما ترى ، ولو رحت تصيح في كل مكان أن الأرض جرم سماوى ، وليس مركز العالم ؟

جاليـــو : نعم ، وأنه ليس كل هذا الكون الهائل ، بـــكل أجرامه السماوية ، هو الذى يدور حول أرضنـــا الصغيرة جدا ، كما كان الكل يعتقدون .

سجريـــدو : وإذن ليس هناك غير أجرام سماوية ! — إذن أين الله ؟

جاليـــو : ماذا تريد أن تقول ؟

سجريـــدو : والله ؟ أين الله ؟

جاليـــو : (غاضبا) انه ليس هناك في أعلى ، على كل حال ! لن نعثر عليه هناك في أعلى ، كما أن الناس الذين في أعلى لن يجدوه ها هنا .

سجريـــدو : وفي هذه الحالة ، أين الله ؟

جاليـــو : هل أنا لاهوتى ؟ أنا رياضى .

سجريـــدو : قبل كل شيء ، أنت انسان . وأنا أسألك : أين الله في نظامك هذا ؟

جاليـــو : في داخل نفوسنا ، أو ليس في أىّ مكان .

سجريـــدو : (صائحا) مثل ما قال ذلك الذى أحرقوه ؟

جاليـــو : نعم ، كما قال ذلك الذى أحرقوه .

سجريدو : انهم أحرقوه لهذا السبب عينه ، منذ أقل من عشر سنوات !

جاليلو : لأنه لم يقدم الدليل . كان يقرر فقط . ياسيدة سارتى !

سجريدو : جاليلو ، لقد عرفتك دائما رجلا ماكرا . طوال سبع عشرة سنة في بادوا وثلاث سنوات في بيزا كنت تدرس ، دون تبرّم — لمئات التلاميذ نظام بطلميوس الذى أعلنته الكنيسة وأيده الكتاب المقدس الذى هو أساس الكنيسة . لقد كنت ترى هذا النظام زائفا ، متفقا في ذلك مع كوبرنيكوس ، وبالرغم من هذا كنت تقوم بتدريسه .

جاليلو : لأنه لم يكن عندى أدلة .

سجريدو : (غير مقتنع) وهل تظن أن هذا يحدث فرقا ؟

جاليلو : فرق هائل جدا . أنت ترى ، ياسجريدو ، أننى أثق بالانسان ، ومعنى هذا أننى أثق بعقله . وبدون هذه الثقة لن تكون لدىّ القدرةُ على النهوض في الصباح من فراشى .

سجريدو : أما أنا فأقول لك عن نفسى : اننى لا أثق . أربعون عاما قضيتها بين الناس قد جعلتنى دائما أتبين أنهم لا يستمعون لصوت العقل . أرِهم الذّنب الأحمر لنجم مُذَنَّب ، وأثِرْ فيهم جزعا صامتا — تجدهم يقفزون من النافذة ويكسرون سيقانهم . لكن قل لهم شيئا معقولا ، وسق لهم عشرات البراهين ، تجدهم يسخرون منك .

جاليـــو : هذا خطأ فاحش ، وافتراء . ولا أفهم ، وأنت تعتقد هذا الاعتقاد ، كيف تستطيع أن تحب العلم . الموتى وحدهم هم الذين لا تؤثر فيهم الـــبراهين والأدلة .

سجريـــدو : كيف تخلط بين خبثهم المثير للشفقة وبين العقل ؟

جاليـــو : أنا لا أتكلم عن خبثهم ودهائهم . أنا أعلم جيدا أنهم يسمون الحمار فرسا حين يريدون بيعـــه ، ويسمون الفرس حمارا حين يريدون شراءه . هذا هو كل خبثهم . أما العجوز التي تعطي البغـــل حزمة زائدة من العلف بيدها الخشنة عشية السفر ، والملاح الذي يتوقع حدوث العاصفة والســـكون الساكن ، حينما يشتري الزاد للسفينة ، والطفـــل الذي يكبس طاقيته حين يشار له بأن المطرسيسقط – هؤلاء الناس هم أملي ، انهم عقلاء . نعم ، لدىَّ ثقة في الضغط الرقيق الذي يمارسه العقل عـــلى الناس . وبمرور الزمن لا يملكون شيئا ضده . لن يسكت أحد (يرمي بحصاة فتسقط على الأرض) إذا سقطت الحصاة وقلت : انها لم تسقط . لا لن يستطيع أحد ذلك ، أن الاغراء الصادر عن برهان لا يمكن أن يقاوم . الكل تقريبا لابد أن يسلموا بـــه في نهاية الأمر . ان التفكير يؤلف جزءا من أكبر اللذات التي يستشعرها الجنس البشري .

السيدة سارتي : (وهي تدخل) هل أنت في حاجة إلى شيء ، ياسيد جاليو ؟

جاليـــو : (وقد عاد إلى المقراب وأخذ يسجل ملاحظات ، بلهجة ودية للغاية) : نعم ، أنا في حاجة إلى اندريا .

السيدة سارتى : اندريا ؟ هو في فراشه بسبيل النوم .

جاليـــو : ألا تستطيعين ايقاظه ؟

السيدة سارتى : لكن ماذا تريد منه ؟

جاليـــو : أريد أن أطلعه على شيء يسره . سيرى شيئا لم يره إنسان من قبل ، منذ أن وجدت الأرض ، فيمـــا عدانا نحن الاثنين .

السيدة سارتى : لابد أنه شيء مما يرى بأنبوبتك هذه .

جاليـــو : تماما . بأنبوبتى . ياسيدة سارتى .

السيدة سارتى : ومن أجل هذا عليّ أن أوقظه في جنح الليل ؟ هل أنت مجنون ؟ انه في حاجة الى الليل لينام . أمـــا أن أوقظه ، فهذا مستحيل .

جاليـــو : صحيح ؟

السيدة سارتى : أبدا

جاليـــو : في هذه الحالة ، يـــاسيدة سارتى ، ربما تستطيعين أنت أن تساعدينى . لقد وقعنا على مسألة لم نصـــل فيها الى اتفاق ، ربما لأننا قرأنا الكثير من الكتب . مسألة تتعلق بالسماء ، مسألة تتعلق بالنجوم . وها هى ذى : ما هو الأكثر احتمالا : أن يدور الشيء الكبير حول الصغير ، او الصغير حول الكبير ؟

السيدة سارتى : (بتشكك) : معك ياسيد جاليليو لايشعر المـــرء أبدا باطمئنان . هل هذا سؤال جاد ، أو تريد فقط

أن تسخر مني ؟

جاليـــو : المسألة جـــد .

السيدة سارتي : اذن فخذ الجواب في الحال . هل أنت الذى تقدم لى الطعام ، أو أنا الذى أقدم لك الطعام ؟

جاليـــو : أنت التي تقدّمين الى طعامى . وبالأمس كان شائطا.

السيدة سارتي : ولماذا كان شائطا ؟ لأنك ألزمتنى باحضار حذائك حينما كنت مشغولة بطهى الطعام . ألم أحضر لك حذاءك ؟

جاليـــو : ممكـــن .

السيدة سارتي : من بين كلينا أنت الذى درست ويمكن أن تدفـــع الأجرة للآخـــر .

جاليـــو : فاهم ، فاهم ، هذا ليس صعبا . صباح الخـــير ياسيدة سارتي . (السيدة سارتي تخرج مبتهجة) . وبعد هذا يقال ان ناسا مثلها لا يستطيعون ادراك الحقيقة ؟ انهم متعطشون لها كأنها خبز جيـــــد . (ناقوس يبدأ في الدق معلنا عن القداس الأول . تدخل فرجينيا متدثرة بمعطف وفي يدها مصباح).

فرجينيـــا : صباح الخير ، يا أبى .

جاليـــو : لمـــاذا استيقظت ؟

فرجينيـــا : أنا ذاهبة مع السيدة سارتي لحضور قداس الساعة السادسة صباحا . ولودفكو سيذهب أيضا . هـــل كانت الليلة حسنة ياوالدى ؟

جاليـــو : كانت صافية .

فرجينيا : هل يمكنني النظر فيه ؟

جاليليو : لماذا ؟ (فرجينيا لا تعرف بماذا تجيب) . هذه ليست لعبة .

فرجينيا : لا ، يا والدى .

جاليليو : ثم ان هذه الانبوبة خدعة كبيرة ، هكذا ستسمعين الناس يقولون في كل مكان . انها تباع في الشارع بثلاثة اسكوديات ، وقد سبق اختراعها في هولنده .

فرجينيا : ألم تطلعك على شئ جديد في السماء ؟

جاليليو : لاشئ يشوقك . مجرد بقع صغيرة غامضة على يسار نجم كبير ، ولابد لى من أن أجد الوسيلة للفت النظر اليها . (وهو يتحدث الى سجريدو من فوق رأس فرجينيا) . أستطيع أن أسميها الكواكب المدتشية ، باسم الدوق الكبير في فيرنتسه . (مخاطبا فرجينيا :) قد يهمك يافرجينيا أن تعلمى أننا راحلون الى فيرنتسه . كتبت رسالة الى هناك أسأل فيها هل لدى الدوق الكبير وظيفة من أجلى ، رياضياً في البلاط .

فرجينيا : (مبتهجة) : في البلاط ؟

سجريدو : جاليليو !

جاليليو : ياصديقى ، أنا في حاجة الى الفراغ ، أنا في حاجة الى براهين . وأريد نصيبي من صحن العدس . في هذا المنصب لن أعود في حاجة الى تكرار نظام بطلميوس في دروس خصوصية . سيكون عندى

الوقت ، الوقت لنفسى ، ياسجريدو ، من أجل تحرير براهيني . لأن ماعندى حتى الآن غير كاف . لاقيمة له ، مجرد أعمال غير منسقة ، لا أستطيع بها أن أتقدم الى العالم . لم أعثر بعد على أى برهان ، على أن ثم جرما سماويا يدور حول الشمس . لكنى سآتى بالبراهين ، البراهين التى ستفرض نفسها على كل الناس ، من الأم سارتى حتى البابا على عرشه . الشئ الوحيد الذى يقلقنى هو أن البلاط لا يعطينى منصبا .

فرجينيا : من المؤكد أنك ستُعْطَى منصبا ، يا أبى ! مع النجوم الجديدة والباقي !

جاليليو : اذهبي لحضور القداس . (فرجينيا تخرج) . من النادر أن أكتب الى شخصيات كبيرة . أتظن أننى أحسنت ؟

(يعطى الرسالة الى سجريدو)

سجريدو : (يقرأ - بصوت عال - نهاية الرسالة التى أعطاه اياها جاليليو) : « . . . اذليس أعز عندى من أن أكون بقربكم ، يامن شمسه البازغة ستكون نور الدنيا بأسرها » . الدوق الكبير عمره تسع سنوات .

جاليليو : تماما . يبدو لى أنك تجد رسالتى مليئة بالتذلل . وأنا على العكس من ذلك أسائل نفسى هل فيها من التذلل ما ينبغى ، وعما إذا كان فيها تحفظ ، وكأنه يعوزنى الاخلاص الكافي . مَنْ برهن على نظرية أرسطو له الحق في أن يستخدم أسلوبا متحفظا

أما أنا ، فلا . بل لابد لرجل مثلي أن يزحف على بطنه ليصل إلى مكانة محترمة . وأنت تعلم جيـــدا أنني أحتقر أولئك الذين لاتستطيع عقولهم أن تملأ بطونهم .

(السيدة سارتي وفرجينيا تمران بالقرب منهمـــا، دون أن تتوقفا وهما في طريقهما الى القداس)

سجريـــدو : يا جاليليو ، لا تذهب الى فيرنتسه .

جاليلـــو : لمـــاذا ؟

سجريـــدو : لأن الرهبان هم السادة هناك .

جاليلـــو : في بلاد فيرنتسه علماء مشهورون .

سجريـــدو : ناس مستعدون لعمل أي شيء .

جاليلـــو : سأمسك بهم من آذانهم وأجرهم الى هذه الأنبوبة. وحتى الرهبان، ياسجريدو ، هم بشر . هم أيضا ينهارون أمـــام اغـــراء البراهـــين . ولاتنس أن كوبر نيكس التمس منهم أن يثقوا بحساباتـــه بعيونهم . حين يكون الحق ضعيفا غير قادر عـــلى الدفاع عن نفسه ، فلا بد له أن ينتقل الى الهجوم . سأمسك بهم من آذانهم وأرغمهم على النظر بهذه الأنبوبة .

سجريـــدو : يا جاليليو ، أراك تسلك طريقا مروعا . اللعنة على الليلة التي فيها يرى الانسان الحقيقة ! لحظة عمى ، تلك التي فيها يثق بعقل الانسان ! عمن يقال انه يمشي مفتوح العينين ؟ عمن يسعى الى هلاكـــه .

وأنىّ للأقوياء أن يدعوا حرا من يعرف الحقيقة ، حتى لو كانت هذه لا تتعلق الا بالنجوم القصيّة ؟ لو قلت للبابا انه مخطئٌ ، فهل تعتقد أنه سيستمع الى حقيقتك لا الى قولك له « أنت مخطئٌ » ؟ وهل تعتقد انه سيكتفى بأن يسجل على ألواحه : « ١٠ يناير سنة ١٦١٠ الغاء السماء » ؟ كيف يخطر ببالك أن تترك هذه الجمهورية ، والحق في جيبك ، لتلق بنفسك والأنبوبة في يدك ، في حبائل الأمراء والرهبان ؟ أنت القليل الثقة فيما يتعلق بالعلم ، ما بالك ساذج كالطفل في كل ما يبدو أنه يساعدك على ممارسته ؟ ! أنت لا تثق بأرسطو ، أما الدوق الكبير فأنت تثق به . منذ قليل وأنا أشاهدك بالقرب من أنبوبتك تشاهد النجوم الجديدة ، خيل الىّ أنى أراك تتلوى على حطب مشتعل ، وحينما قلت : « أنا أثق بالبراهين » ، خيّل الى أننى أتنسم رائحة اللحم المشوى . أنا أحبّ العلم ، لكنى أحبك أكثر ، يا صديق القديم ، يا جاليليو ، لاتذهب الى فيرنتسه .

جاليليو : اذا أرادونى ، فانى سأذهب .

(على ستارة تبدو الصفحة الأخيرة من الرسالة)

« وحين أجرؤ على أن ألقب النجوم الجديدة التى اكتشفتها بلقب أسرة مدتشى ، لايفوتنى أن ألاحظ أنه اذا كان الانتساب الى السماء ذات النجوم يضفى المزيد من المجد على الآلهة والأبطال ، فان

الاسم السامى لآل مدتشى هو الذى سيضمن لهذه النجوم شهرة لاتمحى . وأما عن نفسى ، وأنـــا أذكركم بأننى واحد من أخلص خادميكم، فإنى سأعد دائما أن أعز ما أعتز به هو أننى ولدت واحداً من رعاياكم . اذ ليس أعز عندى من أن أكـــون بقربكم ، يا من شمسه البازغة ستكون نور الدنيا بأسرهـــا » .

جاليـــو جاليـــلاى

★★★

(٤)

(غيّر جاليلو مقامه في جمهورية البندقية إلى بلاط فيرنتسه . وهناك اصطدمت اكتشافاته التي توصل اليها بعقرابه – بالانكار من جانب العلماء) .

« أنا ما قد كان دوما » :

هكذا قال القديم .

« صِرْتَ لا تَصْلُحُ ، فاذْهَبْ » :

هكذا قال الجديد .

منزل جاليلو في فيرنتسه . في مكتب جاليلو ، السيدة سارتي تهيىء كل شيء من أجل استقبال مدعوين . وابنها اندريا جالس يرتب خُرَطاً للسماء) .

السيدة سارتي : منذ وصولنا إلى فرنتسه هـذه ، ولم نفرغ من المجاملات والنفاق . كل المدينة تمر أمام هـذه الأنبوبة ، وبعدها أستطيع التنظيف . وكل هـذا لا يؤدى إلى شيء . لو كان في هذه الاكتشافات ذرة من الحقيقة ، فمن أولى بمعرفتها من رجـال الكنيسة ؟ لقد اشتغلت أربع سنوات عند مونسنيور فلبو ، ولم أفرغ أبدا من تنظيف التراب المتراكم على كتبه . مجلدات ترتفع حتى السقف ، وليس فيها قصائد . وهذا المنسنيور الهمام كان في مقعدته رطلان من الجروح الناجمة عن استمراره قاعدا

على كل هذا العلم . أفمثل هذا الرجل لا يعرف أين الحقيقة ؟ واليوم هو يوم التفتيش الكبير وغدا لن أجرؤ مرة أخرى على التطلع في وجه اللبّان . كنت أعرف ما كنت أقوله حين نصحته أن يقدم وليمة عظيمة لهؤلاء السادة، وفخذة فخمة من اللحم الضأن ، قبل أن ينظروا في انبوبته . أنت تتكلم ! (تقلد جاليليو) : « عندى لهم شيء آخر » (قرع على باب الشارع . السيدة سارتى تتطلع في مرآة النافذة) : يا الهى ، ها هو الدوق الكبير نفسه ! وجاليليو لا يزال في الجامعة ! (تنزل السلم بسرعة وتدخل دوق تسكانيا الكبير ، كوزمودى مدتشى ، يصحبه كبير الياوران ووصيفتان) .

كوزمـــو : أريد أن أرى الأنبوبة .

كبير الياوران : هل يتفضل سموك فينتظر حتّى يحضر السيد جاليليو وباقي السادة ؟ (مخاطبا سارتى) : السيد جاليليـــو أراد أن يقوم السادة علماء الفلك بفحص النجوم التى اكتشفها والتى تسمى الكواكب المديتشية .

كوزمـــو : انهم لا يعتقدون في الأنبوبة أبدا . أين هى ؟

السيدة سارتى : هناك فوق ، في قاعة المكتب .

(الولد يشير برأسه ، ويشير إلى السلم ، وباشارة من السيدة سارتى يصعد السلم بسرعة)

كبير الياوران : (وهو رجل عجوز جدا) ياصاحب الســمو ! (مخاطبا السيدة سارتى) : هـــل من الضرورى

صعود هذا السلم ؟ لقد أتيت فقط لأن المربى مريض .

السيدة سارتى : لا خطر بالنسبة إلى السيد الفتى ، وابنى موجود فوق .

كوزمو : (وهو يدخل الغرفة العليا) مساء الخير !

(ينحنى الصبيان باحترام . صمت . ثم يأخذ اندريا في العمل) .

اندريا : (بنفس لهجة أستاذه جاليليو) الزحام هنا كما في برج الحمام .

كوزمو : كثير من الزوار ؟

اندريا : انهم يأتون إلى ها هنا ، يجررون شحمهم ، ويفتحون عيونهم هكذا ، ولكنهم لا يفهمون في الأمر شيئا .

كوزمو : فاهم . أهذه هى . . .

(يشير إلى الأنبوبة)

اندريا : نعم ، ها هى ذى . لكن ، حاسب . لاتمسها !

كوزمو : وهذا ، ما هذا ؟

(يشير إلى النموذج الخشبي لنظام بطلميوس)

اندريا : هذا نظام بطلميوس .

كوزمو : انه يبين كيف تدور الشمس ، أليس كذلك ؟

اندريا : نعم ، هذا ما يقولونه .

كوزمو : (وقد جلس على كرسى ، وأخذ النموذج الخشبي على ركبتيه) ان معلمى مصاب بزكام . لهذا استطعت المجيء مبكرا . هذا المكان لطيف .

(اندريا لا يقف في مكانه ، ويدور في الغرفة بخطى مترددة ، ناظرا إلى هذا الصبي الذى لا يعرفه نظرة غير مطمئنة . وأخيرا ، حين لم يتمالك مقاومة الاغراء ، سحب من خلف كومة من الخرائط نموذجا آخر ، هو نموذج نظام كوبرنيكوس) .

اندريا : لكن بالطبع الأمر يجرى على هذا النحو .

كوزمو : أى أمر ؟

اندريا : (مشيرا إلى النموذج الذى مع كوزمو) يظن الناس أن الأمر يجرى هكذا ، ولكن (وهو يشير إلى النموذج الذى معه) الحقيقة أنه يجرى هكذا . الأرض هى التى تدور حول الشمس ، فاهم ؟

كوزمو : تعتقد حقا ؟

اندريا : وكيف ! لقد ثبت هذا بالبرهان .

كوزمو : صحيح ؟ أود أن أعرف لماذا لم يسمحوا لى بالدخول عند العجوز . بالأمس كان مع مدعوين إلى العشاء .

اندريا : يبدو أنك لا تصدق هذا ؟

كوزمو : بلى ، بالتأكيد .

اندريا : (مشيرا فجأة إلى النموذج الذى يحمله كوزمو على

ركبتيه) هات هذا ، أنت لا تستطيع حتّى أن تفهم هــذا .

كوزمــو : لست في حاجة إلى الاثنين في وقت واحد .

اندريــا : أعطني هذا . انه ليس لعبة للأطفال الصغار .

كوزمــو : انى لا أمتنع من اعطائك إياه ، لكن عليك أولا أن تكون مؤدبا ، فاهم ؟

اندريــا : أنت أبله ، وبأدب أو بغير أدب ، أعطني هــذا وإلا أريتك .

كوزمــو : لا تمسني ، فاهم ؟

(يتضاربان وبعد قليل يتمرغان على الأرضية)

اندريــا : سأريك كيف يعامل النموذج . استسلم !

كوزمــو : لقد انكسر . لقد لويتَ يدى .

اندريــا : سنرى من هو الذى على صواب . قل انه يدور ، والا لكمتك .

كوزمــو : ابدا . آخ ، يا أشعل ! سأعلمك الأدب .

اندريــا : أشعل ؟ أنا أشعل ؟

(يواصلان معركتهما في صمت . في أسفل يدخل جــاليو وكثير من أســاتذة الجامعة . وخلفهم فدرتسونى) .

كبير الياوران : ياسادة ، توعك خفيف منع السيد سوريو ، معلّم صاحب السمو ، من مصاحبة صاحب السمو .

اللاهــوتى : أرجو ألا يكون مرضه خطيرا .

كبير الياوران : لا خطر منه أبدا .

جاليــو : (وعليه أمارات خيبة الأمل) وصاحب السمــو ؟ هل هو موجود ؟

كبير الياوران : صاحب السمو موجود فوق . من فضلكم لاداعي للتأخير . البــلاط يتحرق من أجل معرفة رأى الجامعة الشهيرة في الآلة العجيبة التى اخترعها السيد جاليو ، وفي الكوكبــة (المجموعة الكوكبية) الجديدة .

(يصعدون . الصبيان لا يزالان على الأرضيــة وقد سكتا حينما سمعا الضجة في أسفل)

كوزمــو : ها هم أولاء . دعنى أنهض .

(ينهضان بسرعة)

الــزوار : (وهم يصعدون) كلا ، كل شيء على مايرام : كلية الطب تقرر تقريرا قاطعا أن الحالات الــتى لوحظت في المدينة القديمــة لا يمكن أن تكــون حالات طاعون . والأبخرة ستتجمد بالضرورة ، وذلك نظرا للحرارة الموجودة – أسوأ شيء في هذه الحالة هو أن يتملك الناس الذعر – مجرد موجــة الزكام المعتادة في مثل هذا الفصل من السنة . لا شيء مشتبه فيه – كل شيء على مايرام .

(لما وصلوا إلى أعلى ، ألقوا التحية)

جاليــو : أنا سعيد ، ياصاحب السمو ، أن أستطيع أن أطلع

رجالات الجامعة ، في حضرتكم ، على الاكتشافات الجديدة .

(كوزمو ينحني بأدب رسمي متجها إلى كل النواحي ، وحتى أمام اندريا) .

اللاهوتي : (وقد شاهد النموذج المحطم لنظام بطلميوس) يبدو أن ثم شيئا قد تحطم . (كوزمو ينحني بسرعة ويعطي اندريا النموذج بأدب ، بينما جاليليو يرتب شأن النموذج الآخر خلسة) .

جاليليو : (أمام المقراب) سموك يعلم من غير شك ، أن حساباتنا نحن الفلكيين تصطدم منذ زمان بعيد بصعوبات كبيرة . ونحن نستعمل فيها نظاما قديما جدا ، يلوح أنه على اتفاق تام مع مبادىء الفلسفة ، لكنه مع الأسف لا يتفق مع الوقائع . وفقا لهذا النظام ، نظام بطلميوس ، يعزى إلى حركات النجوم تعقيد شديد . فوفقا له ، الكوكب فينوس (الزهرة) مثلا يقوم بحركة من هذا النوع . (يرسم على لوحة مدار الزهرة وفقا لنظام بطلميوس) . لكن حتى لو أقررنا بحركات معقدة كهذه ، فإننا لن نستطيع التنبؤ بمواقع النجوم ، إذ لا نجدها في المواقع التي ينبغي أن تكون فيها . يضاف إلى هذا بعض الحركات السماوية التي لا يستطيع نظام بطلميوس تفسيرها . فهذا شأن الحركات التي تقوم بها النجوم الصغيرة التي اكتشفتها بالقرب من جوبتر (المشتري) . هل تودون ، ياسادة ، أن

نبدأ بالقاء نظرة على توابع المشترى [١] ، المسماة بالكواكب المدتشية ؟

اندريـــا : (مشيرا إلى الكرسى المستدير أمام المقراب) : تفضل اجلس .

الفيلسوف : شكرا ، ولدى ، أخشى ألا يكون الأمر بهـــذه البساطة . ياسيد جاليلو ، قبل الانتقال إلى تطبيقات مقرابك الشهير هذا ، هل تسمح بالدخول فـــى مناقشة ؟ موضوعها : هل يمكن وجود مثل هذه الكواكب ؟

الريـــاضى : نعم ، مناقشة منظمة .

جاليـــو : كنت أتصور أنكم ستكتفون بالقاء نظرة من خلال هذه العدسة ، ثم تحكمون بأنفسكم .

اندريـــا : على هذا الكرسى ، من فضلك .

الريـــاضى : مؤكد ، مؤكد . انك لاتجهل أنه من رأى الأوائل أنه من المستحيل تصور وجود كواكب دورانهـــا لاتتخذ الأرض مركزا لها ، وكذلك وجود نجوم دون ارتكاز في السماء .

جاليـــو : من غير شك .

الفيلســـوف : وحتى دون أن أتوقف للبحث فيما اذا كان مـــن

(١) معظم الكواكب السيارة لها توابع تتناسب مع قدر الكوكب : فلكل من زحل والمشترى ـ وهما اكبر الكواكب السيارة التسعة ـ توابع ، ولاورنوس توابع وهكذا والمعتقد هو ان التوابع هي في الاصل قطع انتزعت من الكواكب السيارة ، كما انتزعت الكواكب السيارة من الشمس .

المتصور وجودها ، وهو ما يبدو أن زميلى الرياضى (ينحنى في اتجاه الرياضى) يضعه موضع الشك ، فانى أود بكل تواضع ، بوصفى فيلسوفا ، أن أثير السؤال التالى : هل مثل هذه النجوم ضرورية ؟ ان الكون عند أرسطوطاليس الالهى[1] . . .

جاليلـــو : أو ليس الأولى بنا أن نستعمل اللغة الجاريـــة ؟ ان زميلى السيد فدرتسونى لايفهم اللاتينية .

الفيلســـوف : هل من المهم أن يفهمنا ؟

جاليلـــو : نعـــم .

الفيلســـوف : معذرة . كنت أعتقد أنه مجرد صَقّال عدساتك .

اندريـــا : السيد فدرتسونى صقال عدسات . وفي نفـــس الوقت عـــالم .

الفيلســـوف : شكرا يا ولدى . اذا كان السيد فدرتسونى حريصا.

جاليلـــو : أنا ، أنا حريص على هذا .

الفيلســـوف : ستفقد المحاجّة روعتها ، لكن هذا البيت بيتك . ان الكون كما وصفه أرسطو الالهى ، بما فيه مـــن انسجام سرى يؤلفـــه أفلاكه وقبابه البلوريـــة ، وبالدورة الدائرية لأجرامه السماوية ، وبميل المدار الشمسى ، وبأسرار ألواح حركة التوابع ، وبالعدد الهائل من النجـــوم التى يثرى منها ثَبَتُ نصفِ الكرة الجنوبى ، وبالبناء اللماع لكرة أورانوس —

---

(١) هذه الجملة الاخيرة ، باللاتينية : Aristotel's divini universum

هذا الكون بناء محكم الترتيب فائق البهاء الى حد ينبغي معه الا تُخِلّ بما فيه من انسجام .

جاليو : ومع ذلك ، فهل يتفضل صاحب السمو بالنظر الى هذه النجوم التي يقولون انه لايمكن تصورها ولا داعي لها ، النظر اليها من خلال هذه العدسة ؟

الرياضي : هذا يغري بالرد عليك بأن أنبوبتك هذه ، وهي ترى شيئا لايمكن وجوده ، هي آلة غير جديرة بالثقة . فاهم ؟

جاليو : ماذا تريد بهذا التعريض ؟

الرياضي : انظر ياسيد جاليو : انه يفيدك أكثر لو تسوق البراهين التي تحملك على افتراض أنه في الفلك الأعلى لسماء الثوابت يمكن أن تتحرك نجوم دون أن تكون مثبتة في شيء .

الفيلسوف : براهينك ، ياسيد جاليو ، براهينك !

جاليو : براهيني ؟ تكفي نظرة واحدة الى النجوم نفسها ، وأرصادى التي سجلتها ، من أجل ايضاح المسألة. ياسيدى العزيز ، ان المناقشة صارت غير معقولة .

الرياضي : لو كنا واثقين أنك لن تزداد انفعالا ، لقلنا ان بين ما يوجد في أنبوبتك وما يوجد في السماء يمكن أن يكون هناك فارق .

الفيلسوف : هذه أرقّ طريقة للتعبير .

فدرتسوني : هم يظنون أن الكواكب المدتشية نحن الذين رسمناها على العدسة .

جاليليو : هل تتهمانني بالاحتيال ؟

الفيلسوف : أنىّ لنا أن نفعل ذلك ، ونحن بحضرة صاحب السمو؟

الرياضى : آلتك ، سواء كانت ابنتك ، أو لنقل بالأحرى ابنتك المتبناة ، بارعة الصنع من غير شك .

الفيلسوف : ونحن واثقون ، ياسيد جاليلو ، أنه لا أنت ولا أى انسان ما كان له أن يتجرأ على أن يُزين بالاسم المجيد لبيت أمراءٍ نجوما وجودها ليس بمنأى عن كل شك .

(الجميع ينحنون انحناءة عميقة أمام الدوق الكبير)

كوزمو : (موجها الخطاب للوصيفات) : هل في كواكبي شيء من الاختلال ؟

كبرى الوصيفات : كلاّ ، كل شيء على مايرام في كواكب سموك . ان هؤلاء السادة يتساءلون فقط عما اذا كانت هذه الكواكب موجودة حقا .

(صمت)

صغرى الوصيفات : أَوَلا يقولون انه يمكن بهذه الآلة رؤية عجلات « المَرْكبة » ؟ [1]

فدرتسونى : نعم ، وكذلك كل ما عند « الثور » ! [2]

جاليليو : اذن ياسادتى هل تريدون أن تنظروا ، أَوْ لا ؟

الفيلسوف : بكل تأكيد ، بكل تأكيد .

الرياضى : بكل تأكيد .

---

(١) ويسمى الدب الاكبر وهي مجموعة كوكبية شكلها يشبه المركبة .
(٢) برج من البروج بين الحمل والتوامين حافل بالنجوم وابرز مجموعاته الثريا

(صمت . فجأة يدير أندريا ظهره راغبا في الخروج ، مخترقا القاعة بشكل آلى . أمه تقفه عند الباب)

السيدة سارتى : ماذا جرى لك ؟

اندريا : انهم مغفلون جدا .

(يتخلص منها ويهرب)

الفيلسوف : هذا الولد جدير بالشفقة .

كبير الياوران : ياصاحب السمو ، يا سادة ، هل أذكركم بأن حفلة الرقص الكبرى في القصر ستبدأ بعد ثلاثة أرباع الساعة ؟

الرياضى : فيم كل هذه البهلوانيات؟ عاجلا أو آجلا لابد للسيد جالليو من الرضوخ لكلمة الحق . ان توابع المشترى من شأنها أن تخرق غلاف الفلك . هذا أمر واضح بنفسه .

فدرتسونى : ستندهش من قولى : لايوجد غلاف فالك .

الفيلسوف : أى كتاب مدرسى سيقول لك انه موجود ، يا صاحبي .

فدرتسونى : اذن فلتؤلف كتب مدرسية أخرى .

الفيلسوف : ياصاحب السمو ! ان زميلى الجليل وأنا نستند الى قول أرسطوطاليس الالهى هو نفسه .

جالليو : (في شبه اذعان) : يا أصحابى ، ان الثقة بأرسطو العظيم شيء ، والوقائع الملموسة شيء آخر . أنتم تقولون انه تبعا لأرسطو العظيم ثَمَّ أغلفة بلورية

وأن بعض الحركات مستحيلة اذن ، لأن النجوم في هذه الحالة من شأنها أن تخرق الأغلفة. لكن اذا تهيأ لكم أن تشاهدوا هذه الحركات بأنفسكم — فما قولكم ؟ ربما دعاكم هذا الى التفكير في أن الأغلفة البلورية هذه لا وجود لها . يا أصحابى الأعزاء ، أرجوكم بكل تواضع أن تثقوا في عيونكم .

الرياضى : ياعزيزى جاليو ، يحدث لى أحيانا أن أقرأ أرسطو — وإن بدا هذا أمرا عفّى عليه — وأؤكد لك أننى أثق بعينىّ .

جاليو : تعودت أن أرى السادة في كل الكليات يغلقون عيونهم أمام الوقائع ، وكأنها غير موجودة . أريهم أرصادى فيبتسمون ، وأدعوهم الى استعمال عدستى حتى يقتنعوا ، فيذكرون لى أرسطو . لكن أرسطو لم تكن لديه هذه العدسة !

الرياضى : ليكن ، ثم ماذا ؟

الفيلسوف : (بجلال) : اذا أريد ها هنا تمريغ أرسطو في الوحل ، وهو الحجة التى اعترف بها ليس فقط كل كبار العقول في العصر القديم ، بل وأيضا آباء الكنيسة أنفسهم ، فانه يبدو لى من اللغو ، على كل حال ، أن نتابع المناقشة . انى أرفض الخوض في مناقشة تخلو من الأمانة . لقد قلتُ .

جاليو : الحقيقة بنت زمانها ، وليست بنت السلطة . ان جهلنا لاحدّ له ، فلنقلل منه بمقدار مليمتر مكعب !

وفيم الاصرار على ادعاء أننا عقول كبيرة ، اذا كان في وسعنا الآن أن نكون أقل بلاهة ؟ لقد واتانى حظ لامثيل له ، بأن وقع بين يدىّ آلة جديدة تمكّن من فحص جزء ضئيل من الكون على نحو أدق ، ولا أقول أدق كثيرا . فاستخدموها اذن !

الفيلسوف : يا صاحب السموّ ، سيداتى ، سادتى ! انى أسائل نفسى حقا الى أى شئ سيفضى بنا هذا كله .

جاليليو : يبدو لى ، بوصفنا علماء ، أننا لسنا بحاجة الى أن نتساءل الى أى شئ تؤدى الحقيقة .

الفيلسوف : (منفجرا) : يا سيد جاليليو ، الحقيقة يمكن أن تفضى الى بعيد جدا .

جاليليو : يا صاحب السموّ ! في هذه اللحظة ، وكل ليلة ، في ايطاليا من أقصاها الى أقصاها ، تصوّب عدسات الى السماء . وتوابع المشترى لاتجعل ثمن اللبن أقل. لكنها لم تُرَ أبدا ، ومع ذلك فهى موجودة . ورجل الشارع يستخلص من ذلك ، أن أشياء أخرى كثيرة ستوجد ، لو أنه صمم على أن يفتح عينيه ! ومن حقه عليكم أن يجد منكم التأييد . وما يجعل الآذان ترعى السمع لايطاليا ليس حركات بعض النجوم البعيدة عنا ، بل النبأ العظيم الذى يقول ان نظريات كانت تعد راسخة قد أخذت تتهاوى ، والكل يعلم أن الكثير من المذاهب حاله هكذا ! سادتى الأعزاء ، لا ندافعن عن مذاهب متداعية !

فدرتسوني : عملكم أنتم يا أساتذة أن تثيروا هذا التداعي والتزعزع .

الفيلسوف : أود لو أن مريدك هذا أعفانا من نصائحه في مناقشة علمية .

جاليلو : يا صاحب السموّ ! ان عملي في الترسانة الكبرى في البندقية قد جعلني أحتك كل يوم بالرسامين ، والبنائين ومُركّبي الآلات . هؤلاء الناس علموني طرقا جديدة . لم يقرأوا شيئا ، ولكنهم وثقوا بشهادة حواسهم ، وفي الغالب دون أن يهتموا بماذا عسى أن تفضي اليه هذه الشهادة . . .

الفيلسوف : ياللفظاعة !

جاليلو : كما فعل ملاحونا حين غادروا ، منذ مائة عام ، شواطئنا دون أن يدروا ماذا عسى ستكون الشواطئ التي سيبلغونها ، ولا حتى هل سيبلغون شاطئا . وكأنه قد صار علينا اليوم ، في سبيل استعادة هذا التطلع الرفيع الذي كان السبب في مجد يونان القديمة ، أن ننشده في الورش والترسانات .

الفيلسوف : بعد كل الذي سمعناه في هذا البيت لم يعد عندي شك أبدا في أن السيد جاليلو يجد معجبين به في الورش والترسانات .

كبير الياوران : يا صاحب السمو ! أنا متأسف ، لكن يظهر لي أن هذه المناقشة المفيدة جدا قد طالت بعض الطول . ولابد لصاحب السمو أن يستريح قليلا قبل الرقص

(بناء على اشارة وجهت اليه ، انحنى الدوق الكبير أمام جاليلو . وبدأت الحاشية في الرحيل بسرعة . والسيدة سارتي ، وقد اعترضت طريق الدوق الكبير ، تقدم اليه صحنا من الفطائر) .

السيدة سارتي : كعك باللوز ياصاحب السموّ.

(كبرى الوصيفات تقتاد الدوق الكبير الى الباب)

جاليلو : (ملحا عليهم) : ياسادة ، لم يكن عليكم الا أن تنظروا بهذه الآلة .

كبير الياوران : سمو الأمير سيستشير فيما تقول أكبر علماء الفلك اليوم وهو الأب كرستوفر كلافيوس الفلكي الأول في المجتمع البابوى بروما .



(٥)

(استمر جاليليو في أبحاثه دون خوف ، حتى من الطاعون) .

(أ)

مكتب جاليليـو في فيرنتسـه

(الصباح الباكر . جاليليو ، والأرصاد أمامـه ، ينظر من خلال المقراب . تدخل فرجينيا وهـى تحمل حقيبة سفر) .

جاليليـو : فرجينيا ! ماذا جرى ؟

فرجينيـا : المدرسة أغلقت ، وكان علينا العودة حالا الى بيوتنا. في فيرولى خمس حالات طاعون .

جاليليـو : (مناديا) : يا أم سـارتى !

فرجينيـا : وهنا أيضا ، شارع السوق مغلق منذ هذه الليلـة. يلوح أن ثم ميتين في الحىّ القديم ، وثلاثة آخرين في المستشفى على وشك الموت .

جاليليـو : مرة أخرى كتموا عنا كل شئ حتى آخر لحظة .

السيدة سارتى : (وهى تدخل) : ماذا أتى بك ها هنا ؟

فرجينيـا : يوجد طاعـون .

السيدة سارتى : يا الهى ! ساذهب لحزم الامتعة .
(تجلس)

جاالليـــو : لا ، لاتحزمى أمتعة ! خذى فرجينيا واندريـــا . وسأقوم أنا بأرصادى . (يعود بسرعة الى مكتبـــه ويجمع أوراقه بلهفة . السيدة سارتى تلبس اندريا معطفا ، وهذا يصل مهرعا ، ويخرج ويحضربعض الأغطية والزاد . يدخل خادم الدوق الكبير) .

الخـــادم : نظرا الى انتشار الوباء ، غادر صاحب السموّالمدينة متجها شطر بولونيا . لكنه حرص على تمكين السيد جاالليو من أن يكون في أمان . ستكون العربة أمام الباب بعد دقيقتين .

السيدة سارتى : (موجهة الخطاب الى فرجينيا واندريا) : اخرجا حالا . احمل هذا !

اندريـــا : لماذا ؟ اذا لم تقولى لى لماذا ، فلن أرحل .

السيدة سارتى : يوجد طاعون ، يابنى .

فرجينيـــا : نريد انتظار الوالـــد .

السيدة سارتى : يا سيد جاالليو ، هل انتهيت

جاالليـــو : (واضعا المقراب في الغلاف) : أجلسى فرجينيا واندريا في العربة . وانا قادم فورا .

فرجينيـــا : لا . لن نخرج من هنا بدونك . لن تنتهى ابـــدا اذا اخذت في حزم كتبك .

السيد سارتى : العربة حضرت .

جاالليـــو : كونى عاقلة يافرجينيا : اذا لم تأخذى مكانك في العربة ، فسيرحل السواق . والطاعون وباء خطير .

فرجينيـــا : (وهى تحتج بينما السيدة سارتى تقتادها هــى واندريا) : ساعديه في حزم كتبه ، والا لــن يحضر .

السيدة سارتى : (عند المدخل ، وهى تصيح) : ياسيد جاليليو ! السواق يقول انه لن ينتظر .

جاليليــو : ياسيدة سارتى ! أعتقد أنه يجب علىّ ألا أرحــل. فكل شيء مختلط ، ثلاثة أشــهر من تدويـــن مذكرات ، لن يكون فيها فائدة اذا لم أستمر في العمل ليلة أو ليلتين أخريين . ثم ان هذا المــرض منتشر في كل مكان .

السيدة سارتى : يا سيد جاليليو ! تعال معنا في الحال . لقد فقــدت صوابك .

جاليليــو : عليك أن ترحــلى مع فرجينيا واندريا . وسأحضر فيما بعد .

السيدة سارتى : بعد ساعة لن يسمحوا لأحد بالرحيل . عليـــك بالحضور ! (تتسمع :) انه مضى . يجب علىّ أن ألحق بــه .

(تخرج . جاليليو يتجول في الغرفة . تعود الســيدة سارتى ، شاحبة جدا ، وبدون لفّتها)

جاليليــو : ماذا تنتظرين ؟ العربــة وفيها الولدان سترحل من دونك .

السيدة سارتى : لقد رحلوا . ارادت فرجينيا ان تقفز من العربة ، وكان لابد من الامساك بها بالقوة . في بولونيـــا

سيجد الولدان العناية. أما أنت ، من الذى سيهيء لك الطعام ؟

جاليـــو : هل فقدت عقلك ؟ . . تبقين في هذه المدينة لمجرد طهو الطعام ! (يلوح بمذكراته) لاتظنى ياسيدة سارتى أننى مجنون . سأستطيع أن أترك هـــذه الأرصاد على حالها . ان لى أعداء أقوياء جـــدا ، ولابد لى من تحصيل البراهين على أشياء أقررها .

السيدة سارتى : لست في حاجة الى الاعتذار. لكن ما تفعله ليـــس من العقل في شيء .

— ب —

(أمام بيت جاليو في فيرنتسه . يخرج جاليو ويلقى نظرة صوب أسفل الشارع . تمر راهبتان)

جاليـــو : (مخاطبا اياهما) : هل تستطيعان ، يا أختي ، أن تخبرانى أين أستطيع الحصول على خبز ؟ ، لم تأت بائعة اللبن في هذا الصباح ، وخادمتى رحلت .

احدى الراهبتين : فقط في أسفل المدينة توجد بعض المحلات المفتوحة

الراهبة الأخرى : أنت خارج من هذا البيت ؟ (جاليو يشير بنعم) انه في هذا الشارع !

(الراهبتان ترسمان علامة الصليب ، وهما ترطنان بنشيد « سلام لك يامريم » وتهربان . يمر رجل)

جاليـــو : (مخاطبا اياه) هل أنت الخبّاز الذى يأتى لنـــا بالخبز الأبيض ؟ (الرجل يشير بنعم) هل رأيت خادمتى ؟ انهـــا لابد رحلت بالأمس . لم تكـــن موجودة هذا الصباح .

(الرجل يهز رأسه . نافذة تفتح من الجانب الآخر من الشارع . امرأة تطل برأسها ، وتنظر) .

المـــرأة : (صائحة) : امش بسرعة ! عندهم طاعون !

(الرجل يهرب فزعــا)

جاليـــو : هل تعلمين شيئا عن خادمتي ؟

المـــرأة : خادمتك وقعت هكذا دفعة واحدة ، في أعــــلى الشارع . ولابد أنها كانت تعرف ماذا أصابهـــا . ولهذا رحلت . لم تفكر أبدا في غيرها !

(تغلق النافـــذة بعنف . أولاد يأتون من أقصى الشارع . يشاهدون جاليو فيهربون صارخـــين . جاليو ينحرف . في هذه اللحظة يأتي جنديان بسلاح كامل)

الجنديـــان : ادخل فورا في بيتك .

(برماحهما الطويلة يدفعان جاليو الى داخل بيته . ويصفقان الباب خلفه)

جاليـــو : (من النافذة) : هل تستطيعان أن تخبراني مـــاذا فعلوا بتلك المرأة ؟

الجنديـــان : هم يُدْفَنون في المقبرة المشتركة .

المـــرأة : (وقد أطلت من النافذة من جديد) : لكن مادام الشارع الخلفي مملوءا بالطاعون ! . . . ماذا تنتظران لاغلاقه ؟ (الجنديان يمدان حبلا في عرض الشارع) لكن بهذه الطريقة لن يستطيع أحد الدخـــول . أنتم لاحاجة بكم الى اغلاق الشارع هنا . الناس جميعا

هنا في صحة جيدة . توقفوا توقفوا ! اسمعــوا . زوجى في المدينــة ، ولن يستطيع اذن العودة الى البيت . متوحشون ، شر ذمة من المتوحشين !

(تسمــع في الداخـــل أنّات وصيحات . يمضى الجنديان . من نافذة أخرى تطل امرأة عجوز)

جاليـــو : هناك في الخلف نار ، من غير شك .

المرأة العجوز : الآن ، حين يظنون أنــه يوجد طاعون فانهم لا يطفئون النار . الفكرة الوحيدة عندهم الآن هــى الطاعون .

جاليـــو : هذه طريقتهم ! وكل نظام حكومتهم هكذا ! انهم يقضون علينا كما يقضى على الغصن المريض فــى شجرة التين ، الغصن الذى لا يعود يثمر .

المرأة العجوز : لا ينبغى التكلم هكذا . انهم فقط لا يعرفون ماذا يعملون .

جاليـــو : هل أنت وحدك في بيتك ؟

المرأة العجوز : نعم . ابنى بعث إلىّ بكلمة . والحمد لله انه بالأمس عرف في الوقت المناسب أنه قد مات في الشارع الخلفى شخص ، لهذا لم يعد . في هذه الليلة كان في الحى احدى عشرة حالة .

جاليـــو : انى ألوم نفسى لأننى لم أرحل خادمتى حين كان لا يزال في الوقت متسع . كان عنــدى عمــل مستعجل ، ولكن لم يكن لديها اى داع للبقاء .

المرأة العجوز : على كل حال ، لا نستطيع نحن أيضا أن نرحــل .

إذ من هو الذى سيرحب بنا ؟ لاداعى للوم نفسك .
انها رحلت في هذا الصباح ، حوالى الساعة السابعة .
ولابد انها كانت مريضة : فانها لما راتنى أخرج لآخذ الخبز ، تَجَنَّبَتْنى . وأظن أنها كانت تريد الا يطوق بيتك . لكنهم ينتهى بهم الأمر أن يعرفوا .

(يسمع قرع طبول)

جاليـــو : ما هـــذا ؟

المرأة العجوز : انهم يحدثون ضوضاء من أجل ابعاد الغيوم الـتى تحمل جرائم الطاعون .
(قهقهة عالية من جاليو) ومع هذا أنت تضحك !
(رجل ينزل الشارع ويجده مسدودا)

جاليـــو : يارجل ! كل شيء هنا مطوّق ، وليس في البيت شيء يؤكل . (اختفى الرجـــل وهـــو يعدو) .
ياناس ، ياناس ! لا تدعونا نموت من الجـــوع هنـــا .

المرأة العجوز : ربما أحضروا شيئا . والا ففى وسعى أن أضع أمام بابك قدرا من اللّبن إذا لم يكن هذا ليروعك ، ولكن ليس قبل مجيء الليل .

جاليـــو : ياناس ، ياناس ! لكن ليس من المعقـــول ألا يكونوا يسمعوننا .
(عند الجانب الآخر من الحبل يظهر اندريا فجأة ويرى من وجهه أنه بكى)

جاليـــو : يا اندريا ؟ كيف استطعت المجيء إلى هنا ؟

اندريـــا	:	لقد مررت في هذا الصباح ، وقرعت البـــاب ولكنك لم تفتح . والناس قالوا لى . . .
جاليـــو	:	اذن أنت لم تكن رحلت ؟
اندريـــا	:	بلى،لكنى في أثناء الطريق افلحت في الوثوب من العربة . ولكن فرجينيا بقيت فيها ، ألا أستطيع الدخول ؟
المراة العجوز	:	كلا ، ليس هذا ممكنا . لابد لك أن تذهب إلى دير الراهبات الارسوليات . وربما كانت أمك هناك .
اندريـــا	:	لقد ذهبت إلى هناك . لكن منعونى من روئيتهـــا . انها مريضة جداً .
جاليـــو	:	لقد جئت من مكان بعيد جدا ؟ لأنك رحلت منذ ثلاثة أيام .
اندريـــا	:	لا تغضب منى إذا كنت قد أمضيت كل هـــذا الوقت . ذلك أنهم أوقفونى مرة في الطريق .
جاليـــو	:	(متضايقا) يجب عليك أن تكف عن البـــكاء الآن . لقـــد اكتشفت الكثير من الأشياء منـــذ رحيلك . هـــل أحكى لك ؟ (اندريا ، وهـــو يتنهد ، يهز رأسه علامة الموافقة) . انتبه جيدا ، والا لم تستطع الفهم ، أتذكر أنني أريتك كوكب الزهرة ؟ لا تستمع إلى الضجة التى هناك ، انهـــا ليست بشيء . أتذكر ؟ أتعرف ما رأيته ؟ انها مثل القمر . لقـــد شاهدتها على شكل نصف كرة ، وشاهدتها عـــلى

شكل هلال . فما رأيك في هذا ؟ وبوسعى أن أريك هذا بواسطة كرة صغيرة ومصدر ضوء . وهذا دليل على أن هذا الكوكب لا يستمد نوره من ذاته . أليس هذا مدهشا ؟

اندريـــا : (متنهدا) بالتأكيد ، ثم ان هذه حقيقة .

جالليـــو : (بصوت خفيض) لست أنا الذى طلبت اليها أن تبقى (اندريا لا يجيب) لكن من المؤكد أنه لو لم أبق أنا ، لما حدث ما حدث .

اندريـــا : والآن ، هل سيضطرون إلى تصديقك ؟

جالليـــو : الآن ، جمعت كل الأدلة . حينما تنتهى هـــذه الحكاية ، سأذهب إلى روما لأقدم اليهم الأدلـــة . (من أقصى الشارع يأتى رجلان يلبسان برنسا ومعهما عصوان وجرادل . ومن النوافذ يقدمان إلى جالليو ، ثم إلى المراة العجوز خبزا على أطراف عصيهم)

المرأة العجوز : هناك في البيت المواجه توجد امراة وأولادهـــا الثلاثة . اتركوا لهم شيئا .

جالليـــو : أما أنا فليس عندى ما أشربه . ليس في البيت ماء . (الرجلان يهزان أكتافهما) . هل ستأتيان غـــدا أيضا ؟

أحد الرجلين : (بصوت محتبس ، بسبب الشاش الموجود أمام فمه) هل يعرف أحد ماذا سيحدث غدا ؟

جاليـــو : لو جئتما هل تستطيعان أن تحضرا لى كتابا صغيرا أحتاج اليه في بحثي ؟ .

الرجـــل : (بضحكة مختنقة) يريد كتابا ! احمد ربك إذا جيء لك بخبز !

جاليـــو : لكن هذاالصبي هناك ، وهو تلميذى ، سيكون موجودا وما عليك الا أن تعطيه الكتاب من أجلى .
انه خريطة مبين فيها مدة دورة عطارد ، ياانديا ، ولا أدرى أين وضعته . هل تحضره من المدرسة ؟
(الرجلان رحلا)

اندريـــا : بالتأكيد ، سأذهب لاحضاره ياسيد جاليو .

(يخرج . جاليو ينصرف . من المنزل المواجـــه تخرج المرأة العجوز وتضع أمام باب جاليـــو كـــوزا) .

***

(٦)

(سنة ١٦١٦ : الكلية الرومانية ، وهى معهد أبحاث في الفاتيكان ، تؤيد أكتشافات جاليلو .
في هذا العالم ما أندر
أن يقبل شيخ يتعلم .
كلافيوس ، المخلص لله
قد أعطى الحق لجاليلو .

قاعة في الكلية الرومانية بروما . الوقت ليل . جماعات من كبار رجال الكنهوت ومن الرهبان والعلماء . وفي ناحية : جاليلو وحده . يسود الجو سرور غامر . قبل بداية المنظر ، تسمع قهقهات)

كاهن بدين : (وهو يمسك بجنبيه) : يا للبلاهة ! ياللبلاهة السعيدة ! أود أن يخبرنى أحد بقول واحد لم يجد من يصدّقه .

عالم : هذا القول مثلا يا صاحب النيافة : أنك تكره أطايب الطعام كراهية شديدة .

الكاهن البدين : هناك من يصدقون ذلك ، وسيوجد من يصدقون ذلك . فقط الأشياء المعقولة هى التى لايصدقها الناس . وجود الشيطان ، يشك فيه الناس ، أما أن الأرض تدور حول نفسها مثل سدادة في مجرى — فهذا يصدقونه . يا للبساطة المقدسة !

راهب : (يمثل دور المازح) : الدوران يسبب لى دوارا . الأرض تدور بسرعة . يا أستاذ اسمح لى أن أستند اليك !

(يتظاهر بأنه يترنح ، ويمسك بعالم)

العالم : (مقلدا اياه) : آه ، نعم ، لاتزال سكرى، هذه العجوز العزيزة .

(يمسك بآخر)

الراهب : توقف ! نحن ننخلع ! توقف ، قلت لك .

عالم ثان : ها هى ذى الزهرة مقلوبة . النجدة ، لا أرى منها غير نصف مؤخرتها .

(رهبان يتلاصقون ، ويتضاحكون ، ويتظاهرون بأنهم يتماسكون حتى لايقعوا من سفينة عصفت بها العاصفة) .

راهب ثان : بشرط ألا يلقى بنا على القمر ! يا اخوانى ، يبدو أن فيه جبالا ذوات ابر مخيفة .

العالم الأول : ما عليك الا أن تشد ساقك .

الراهب الأول : ولا تنظر الى أسفل . الدوران يجعلنى مريضا .

الكاهن البدين : (يرفع صوته عن قصد متلفتا نحوجاليلو) : دوران؟ دعك من هذا ! لا أحد يقدر على أن يجعل الكلية الرومانية تدور !

(ضحك . من باب في العمق يدخل فلكيان من أعضاء الكلية الرومانية . الكل يسكت) .

راهـــب : امتحانكم طويل جدا ! هذه فضيحة !

أحد الفلكيين : (متضايقا) : امتحاننا نحن ـ كيف ؟

الفلكى الثانى : الى أين سيفضى بنا هذا ؟ انى لا أفهم هذا الرجل الطيب كلافيوس . سيكون عجبا أن نصدق كل ما قيل خلال هذه السنوات الخمسين الأخـــيرة ! في سنة ١٥٧٢ لمع نجم جديد في أعلى الأفـــلاك ، الفلك الثامن ، فلك الثوابت ، وهـــو بالأحرى أشد لمعانا وأكبر من كل النجوم المجاورة ، لكن لم تكد تمضى ثمانية عشر شهرا حتى اختفى مـــن جديد وصار فريسة العدم . أهذا سبب للتساؤل : أين أزلية السماء وثباتها ؟ »

الفيلســـوف : لو تركناهم يعملون مايشاءون ، فسينتهى بهم الأمر الى أن يحطموا السماء ذات النجوم على رؤوسنا .

الفلكى الأول : نعم ، الى أين نحن ذاهبون ؟ بعد خمس ســـنوات حدد تيشوبراهى ، الفلكى الدانيمركى ، طريـــق نجم مذنب . منشؤه تحت القمر ، وقد خرق كل الأغلفة الفلكية الواحد تلو الآخر ، وهذه الأغلفة هى الحوامل المادية لحركة الأجرام السماويـــة ! لا مقاومة ، ولا انحراف لضوئه . فهل هذا سبب للتساؤل : « أين الأفلاك الآن ؟ »

الفيلســـوف : لكن هذا مستحيل ! كيف يتأتى لكرستوفـــــر كلافيوس ، أعظم فلكى في ايطاليا وفي الكنيسة أن يتنازل لفحص هذه التّرّهة ؟

الكاهن البدين : هذه فضيحـــة ؟

الفلكى الأول : على كل حال هو يفحصها . انه يجلس هنـــاك ، ويفتح عينيه أمام هذه الأنبوبة الشيطانية .

الفلكى الثانى : هذا يناقض المبادئ ! لابد من خنق الشر وهو في البيضة . والأصل في هذا كله هو أنه منذ سنوات ونحن نحسب آلاف الأشياء ، ومدة السنة الشمسية ، وموعد كسوف الشمس وخسوف القمر ، ومواقع الأجرام السماوية اعتمادا على لوحات كوبرنيكوس مع أنه رجل مبتدع (هرطيق) .

راهـــب : أريد أن أضع هذا السؤال : ماهو الأفضل ؟ أن يحدث خسوف القمر بعد ثلاثة أيام من الموعد المذكور في التقويم ، أو لا ننال النجاة الأبدية ؟

راهب نحيف جدا : (يتقدم ومعه الكتاب المقدس مفتوحا ، وبعصبية يربت على موضع منه باصبعه) : ماذا يقول الكتاب المقدس ها هنا ؟ « قفى أيتها الشمس فوق جبعون ، وأنت ، أيها القمر ، توقف على وادى عجلون » . كيف يتأتى للسماء أن تتوقف إذا كانت لا تدور ، كما يدعى هؤلاء المبتدعة ؟ هل كذب الكتاب المقدس ؟

الفلكى الثانى : هناك ظواهر أمرها مشكل علينا نحن الفلكيين ، لكن هل من الضرورى أن يفهم الانسان كل شيء؟ (يذهب الفلكيان)

الراهـــب : مكان ميلاد النوع الانسانى يريدون أن يضعوه في

مرتبــة كوكب جوال . فالانســان والحيوان والنبات والتربة التى تحمله ـ كل هذا يحملونه على عربة ويجعلونه يدور حول نفسه خلال سماء خاوية. الأرض والسماء ـ لايوجدان في نظر هؤلاء الناس لم يعد ثم أرض ، لأنها جرم سماوى ، ولم يعد ثم سماء ، لأنها مؤلفة من أجرام مشابهة للأرض . ولم يعد ثم تمييز بين الأعلى والأسفل ، بين السرمدى والزائل ، أما أننا زائلون ، فنحن نعرف ذلك . لكنهم يقولون لنا الآن إن السماء هى الأخرى زائلة . الشمس ، والقمر ، والنجوم ونحن ، نحن مقيمون على الأرض : هذا ما كان يقال دائما ، وما يقوله الكتاب المقدس ،أما الآن فالأرض هى الأخرى جرم سماوى ، تبعا لما يقولــه هــذا الرجل ، لم يعد هناك غير أجرام سماوية . وسنرى اليوم الذى سيقولون فيه : « لافارق بين الانسان والحيوان ، الانسان هو نفسه حيوان ، وليس ثم غير دواب » .

(في أثناء هذه الخطبة أخرج جاليلو من جيبه حجره وراح يلعب به ، ثم تركه يسقط)

العالم الأول : ياسيد جاليلو ، لقد سقط منك شئ على الأرضية .

جاليلــو : (وهو ينحنى لالتقاط الحجر) : على السقف ، ياصاحب النيافة ، لقد تركته يسقط على السقف .

الكاهن البدين : (ملتفــتا) : ياله من وقح !

(يدخل كردينال عجوز جدا ، يستند إلى راهب ، يخلى أمامه المكان باحترام)

الكردينال الهرم : ألا يزالون في الداخل ؟ ألا يستطيعون الاجهاز على هذه المسألة بسرعة ، وهى مسألة في غاية التفاهة ؟ كلافيوس هذا لابد أنه يعرف الفلك جيدا . وبحسب ما قيل لى فان السيد جالليو هذا يزيح الانسان من مركز الكون إلى أطراف لست أدرى ما هى . اذن هو عدو للجنس البشرى ، وبشكل فاضح . ولا بد أن يعامل على أنه عدو . إن الانسان تاج الخليقة ، وفي وسع أى طفل أن يقرر هذا ، وأسمى وأعز مخلوقات الله . مثل هذه الأعجوبة ، ثمرة مثل هذا الجهد ، كيف يتسنى لله أن يلقى به على حصاة صغيرة تائهة ، تركض باستمرار خلال السماء ؟ أيرسل الله ابنه إلى مثل هذا المكان ؟ وهل يمكن أن يوجد ناس فسدت عقولهم إلى حد أن يثقوا بعبيد ألواحهم الحسابية هؤلاء ؟ أى مخلوق من مخلوقات الله يسمح لنفسه بأن يهان هكذا ؟

الكاهن البدين
(هامسا) : الرجل الذى تشير اليه موجود هنا في القاعة .

الكردينال الهرم : (مخاطبا جالليو) : أهو أنت ؟ اسمع : بصرى ليس قويا ، لكن ثم شيئا أراه : ذلك الشخص الذى أحرقناه منذ مدة ، ما اسمه ؟ انك تشبهه شبها مدهشا .

الراهـــب : ياصاحب النيافة لا تتحمس هكذا . فان الطبيب ...

الكردينال الهرم : (وهو يتخلص ، يخاطب جاليلو) : أنت تريد أن تحط من قدر الأرض ، مع أنك تعيش عليها وتدين لها بكل شيء . انك تدنّس عشك . ولكني ، على كل حال ، لن أسمح لنفسى بأن أهان . (يزيح الراهب بعنف ، ويأخذ في المشى باعتزاز رائحا جائيا .) أنا لست أى شيء على تراب كوكب ما ، أدور لمدة لحظة في مكان ما ! أنا أمشى على أرضٍ راسخة بخطاً ثابتة ، والأرض لا تتحرك بل هى النقطة المركزية لكل ماهو موجود ، وأنا في النقطة المركزية وعين الخالق ترعانى أنا وحدى . ومن حولى ، النجوم الثابتة ، ترسم دوائرها ، وهى مثبتة في ثمانية أغلفة بلورية ، والشمس الرائعة قد خلقت لاضاءة كل شيء حوالىّ ، وإنارتى أنا ، حتى يستطيع الله أن يرانى . إذن من الواضح وضوحا لا مجال أبدا لانكاره أن كل شيءٍ يتعلق بى ، بى أنا الانسان ، ثمرة مجهود الله . أنا المخلوق المركزى ، المصنوع على صورة الله ، باق ، و . . .

(ينهـــــــار)

الراهـــب : صاحب النيافة قد وثق كثيرا بقواه .

(في هذه اللحظة يفتح الباب الذى في العمق . يدخل كلافيوس العظيم على رأس فلكييه . ودون أن ينطق بكلمة ،ودون أن يلتفت برأسه ، يخترق

القاعة بخطوة سريعة. وعلى وشك الخروج يقول لأحد الرهبان :

كلافيوس : صحيح .

(يخرج ، يتبعه الفلكيون . باب العمق يظل مفتوحا. صمت تام . الكردينال الهرم يفيق)

الكردينال الهرم : ماذا ؟ هل أصدروا قرارهم ؟

(لايجروء أحد على الكلام)

الراهب : لابد أن نصحب صاحب النيافة .

(يقتاد الهرم الى الباب الخارجي . الكل ، وهم في حيرة تامة ، يغادرون القاعة . راهب قصير في لجنة كلافيوس يتوقف قرب جاليليو) .

الراهب القصير : (خلسة) : يا سيد جاليليو ، ان الأب كلافيوس قال قبل أن يرحل : » الآن على اللاهوتيين أن يعملوا على لصق كراتهم السماوية ! » لقد كسبت أنت .

جاليليو : (محاولا ايقافه) : لم أكسب أنا ، بل العقل هو الذى كسب .

(الراهب القصير صار بعيدا. جاليليو بدوره يرحل. على عتبة الباب يلتقى بكاهن كبير ، هو الكردينال المكلف بالتفتيش . يصحبه فلكي . جاليليو ينحنى . وقبل أن يخرج يهمس بالسؤال للحاجب .)

الحاجب : (مجيبا بنفس اللهجة) : صاحب النيافة الكردينال كبير المكلفين بالتفتيش .

(الفلكى يقود الكردينال الى المقراب) .

(٧)

(لكــن محكمــة التفتيش تقــرر حرمان نظام
كوبرنيكوس) في ٥ مارس سنة ١٦١٦
في روما كان جَليلْيــو
ضيفا في قصر نيافتــه
بالاكل الفاخــر والخمــر
نفحوه ، مقابل هيّنــــة

قصر الكردينال بِلّرْمين [١] في روما . حفلــــة راقصة في أوجها . في الدهليز ، حيث كاتبــان دينيان يلعبان بالشطرنج ويكتبان ملاحظات عــن المدعوين ، جاليلو يُتَلَقّى بتصفيق من جماعــة صغيرة من السيدات والسادة اللابسين الأقنعــة . تصحبه ابنته فرجينيا وخطيبها لودفكو مرسيلي .)

فرجينيــا : لن أرقص الا معك ، يالودفكــو .

لودفكــو :دبّوس الكتف غير محكــم .

جاليــو : « دعــى الغــلالــة ، ياتاييس ، تنزلق

---

(١) روبرت بلرمين . Robert Bellarmin (١٥٤٢ ـ ١٦٢١) : يسوعي ، عين فى سنة ١٥٩٢ مديرا للكلية الرومانية فى روما ، وصار فى سنة ١٥٩٩ كردينالا . وفى سنة ١٩٣٠ رسم قديسا . وله كتاب اثار مساجلات شديدة ، عنوانه : «مناقشات حول الشبه الموجهة ضد العقيدة المسيحية وذلك ردا على المبتدعة فى هذا العصر » .

لاتعدليها ، ففى إخلالها فِتَنٌ للراقصين على ضوء الشموع ، ولى تدعو الى ظلمة الأيكات والظَّلَل »

فرجينيا : تحسّس قلبي .

جاليلو : (واضعا يده على قلبها) : انه يخفق .

فرجينيا : أود أن أبدو جميلة .

جاليلو : بأى ثمن ، والا فسيكفون عن تصديق أن الأرض تدور .

لودفكو : لكنك تعلم جيدا أنها لاتدور . (جاليلو يضحك) روما لم تكن تتحدث الا عنك . ولكن ابتداء من هذا المساء فسيكون الحديث ، ياسيدى ، عن ابنتك .

جاليلو : يقولون انه ليس من الصعب أن يبدو المرء جميلا في روما ابان فصل الربيع . وحتى الآن تبدو على هيئة أدونيس ، مع شيء من الكرش . (للكاتبين) : طلبوا الى أن أنتظر هنا صاحب النيافة . (لفرجينيا ولودفكو :) اذهبا ، واستمتعا .

(يذهبان للاشتراك في الرقص من باب العمق . ثم تعود فرجينيا مسرعة)

فرجينيا : يا أبى ، حلاق شارع النصر حلق لى قبل غيرى وترك أربع سيدات جميلات ينتظرن . لقد تعرّف اسمك في الحال .

(تخرج)

جالليـــو : (وهو ينظر الى الكاتبين يلعبان الشطرنج) : كيف لا تزالان تلعبان الشطرنج على الطريقة القديمـــة ؟ المجال فيها محدود . ها كما كيف يلعب اليـــوم : تُجْرَى الحجارةُ على طول ساحة الشطرنـــــج ، الطابية هكذا (يمثل بحركة) ، والمجنون هكذا ، والملكة هكذا ، وهكذا . بهذا يتسع المجـــــال ، ويمكن تركيب عمليات وخطط .

احد الكاتبين : هذا ليس في متناول مرتباتنا . نحـــن لانستطيع الا نقلات خفيفة .

(ينقل حجرا من خانة)

جالليـــو : بالعكس ياصاحبي ، بالعكس ! لوعشت على قدم كبيرة ، دفعوا لك ثمن أحذية طويلة . لابد مـــن التمشي مع الزمن ، يا سادة . كفوا عن مساحلـــة الشواطئ ، واندفعوا في عُرْض البحر .

(الكردينال الهرم يخترق المسرح ، بصحبة راهب. يلمح جاللیو ، يمر بالقرب منه ، ثم يلتفت، وعليه أمارات التردد ، و يحيي. يجلس جاللیو . ومن قاعة الرقص يصل مطلع القصيدة [1] المشهورة التى ألفها لورنتسو الماجد ، لورنتسو دى مدتشى ، وهى قصيدة في أن كل شئ مآله الزوال ، ويغنيهـــــا صبيان :

الصبيـــان : (يغنـــون) :

---

(1) هي قصيدة كورنتو Corinto

أنا من رأيت الورد يذبل أو يمـــوت
أوراقه النضرات يلحقها الذبـــول
وعلى تراب البرد شاحبة ، فقلت :
كمْ خادعٌ صَلَفُ الشباب !

جاليـــو : روما . حفلة عظيمة ؟

الـــكاتب : هذا أول كرنفـــال بعد سنوات الطاعـــون . كل البيوتات الكبيرة في ايطاليا ممثلـــة هذا المساء : آل فلاّنى ، آل نوكولى ، آل ســـولدانييرى ، آل كانى ، آل لكّى ، آل استنسى ، آل كولومبينى

الكاتب الثانى : (مقاطعا اياه) صاحبا النيافة ، الكردينال بلرمين والكردينال بربرينى .

(يدخل الكردينال بلّرمين ، والكردينال بربرينى وبواسطة يد يمسكان أمام وجهيهما بقناع خروف وقناع حمامة .)

بربريـــنى : (مشيرا بالسبابة الى جاليو) : « الشمس تشرق ثم ترحل عائدة الى مكانها » .
هكذا قال سُلَيْمان ، فما قولك يا جاليو ؟

جاليـــو : حينما لم أكن أطول من هكذا (حركة بيـــده) ، ياصاحب النيافة ، كنت على سفينة فصحـــــت قائلا : « الشاطئْ يتحرك ! » . واليوم أنا أعلم أن الشاطئْ كان ساكنا ، وأن السفينة هى التى كانت تتحرك .

بربريـــنى : لا بأس ، لابأس . ما يشاهد ، يا بلـّرمين ، مثـــلا قبة السماء التى تـــدور ، ليس من الضرورى أن يكون صحيحا ، كما في مثل السفينة والشاطئ... لكن ما هو صحيح ، مثل أن الارض تدور ، هذا مالا يمكن أن يشاهد . لابأس ! وفي تلك الأثناء فان توابع المشترى ستحطم عليها أسنان الفلكيين. كان من سوء حظى ، يا بلـّرمين ، أن أدرس شيئا من علم الفلك . انه يلتصق بالجلد مثل الجرب .

بلـّرمـــين : لنمش مع زماننا ، يا بربرينى . اذا كانت الخرائط السماوية المبنية على أساس افتراض جديد من شأنها أن تجعل الملاحة أسهل على بحّارتنا . فمن رأيى أنه لا بأس عليهم من استخدامها . لكن الشيء الـــذى لانحبه هو الآراء التى تـُكـَذّب الكتاب المقدس . (يحيي بيده في اتجاه قاعة الرقص)

جاليلـــو : الكتاب المقدس ؟ « من يحتفظ بحَبّته ، يلعنـــــه الناس » ــ (هكذا تقول) أمثال سليمان .

بربريـــنى : « الرجل العاقل يستر علمه » (هكذا تقول) أمثال سليمان .

جاليلـــو : « أينما تكن الثيران ، تكن القذارة . لكن قـــوة الثيران فيها فائدة كبيرة »

بربريـــنى : « من يكبح عقله أفضلُ ممـــن يستولى على المدن »

جاليلـــو : « لكن حين تضعف الروح ، يجف نخاع العظام »
(بعد برهة صمت :) « أولا يرفع الحق صوته؟»

بربريـــنى : « أيمكن المرء أن يمشي على فحم متقد دون أن تحترق قدمه ؟ » مرحبا بك في روما ، يا عزيـــزى جاليلو . هل تعرف تاريخ نشأتها ؟ تقول الخرافة ان طفلين تلقيا الغذاء والسكن من ذئبة . ومنذ ذلك اليوم ، فان على كل أبنائها أن يدفعوا للذئبة ثمـــن اللبن الذى يشربونه . وفي مقابل ذلك فان الذئبـــة تهيء كل ألوان اللذات ، السماوية منها والأرضية : من مناقشة صديقي العلامة بلّرمين ، حتى ثـــلاث أو أربع غوان ذوات شهرة دولية . هل تريـــد أن أعرفك بهن .

(يقتاد جاليلـــو الى الداخل ليرى قاعة الرقص . جاليلو يتبعه كارها)

بربريـــنى : ألا تريد حقا ؟ تود مناقشة جادة . ليكن ! هـــل أنت واثق ، ياعزيزى جاليلـــو ، انكـــم معشر الفلكيين ، لاتسعون الى مجرد تسهيل الأمـــور ؟ (يقتاده الى مقدم المسرح .) في نظرك الامر كله يرجع الى دوائر أو قطاع ناقصة ، وسرعـــــات منتظمة . وبالجملة الى حركات بسيطة ، متصورة على صورة عقلك . لكن لو كان الله قـــد شاء أن يحرّك نجومــه هكذا ؟ (باصبعه يرسم في الهـــواء شكلا في غاية التعقيد، وذلك بتغيير سرعة الحركة) فماذا عسى ستكون قيمة حساباتكم ؟

جاليليو : يا صاحب السيادة ! لو كان الله قد بنى العالم هكذا (يكرر الحركة التى رسمها بربريني) ، لكان أيضا قد بنى أمخاخنا هكذا (يكرر نفس الحركة) ، بحيث يكون هذا المسار هو أبسط المسارات . ان لى في العقل ثقة .

بربريني : أنا أرى أن للعقل حدودا . انه لايقول شيئا . إنه من الاحتشام بحيث لايريد أن يجيب بأن عقلى أيضا له حدود .

(يضحك ويعود الى الشرفة)

بلرمين : العقل ، يا صديقى العزيز ، لايذهب بعيدا . ونحن لانرى من حولنا غير الاشتباه والشر والضعف . فأين الحق في هذا كله ؟

جاليليو : (بغضب) : انى أثق بالعقل .

بربريني : (مخاطبا السكرتيرين) : لا ، لا ، لاتسجل شيئا ، هذا حديث بين أصدقاء في موضوع علمى .

بلرمين : فكر فيما اقتضاه آباء الكنيسة وآخرون كثيرون من جهد وتأمل لادخال بعض المعنى في مثل هذا العالم (أتجادل في أنه عالم فظيع ؟) . فكر في وحشية أولئك الذين يجعلون الفلاحين وهم نصف عراة يركضون في مزارعهم في مقاطعة كمبانيا والسياط تلسع ظهورهم ، فكّر في بلاهة هؤلاء المساكين الذين يقبلون أقدامهم شكرا لهم .

جاليليو : هذا عار ! وأنا قادم الى هنا ، شاهدت . . .

بلّرمين : كان لابد أن نعزو حكمة الى مثل هذه الظواهر التى لانفهمها (وهى مادة الوجود نفسها) لهذا أحلنا مسئوليتها على موجود فوقنا، وقلنا انها تخدم غرضا محددا، وان كل شئ يتم وفقا لخطةرائعة. لا لأن هذا قد أعاد الطمأنينة الى النفوس، لكنكم الآن تتهمون هذا الموجود الأعلى بأنه ليس لديه أفكار واضحة عن حركات العالم السماوى، بينما أنتم لديكم عنه أفكار واضحة كل الوضوح. فهل هذا انصاف؟

جاليلو : (شارعا في التفسير) : أنا ابن للكنيسة مطيع...

بربريني : هذا رجل مخيف حتما! انه يريد، بكل براعة، أن يقرر أن الله هو الذى ارتكب أسوأ الأخطاء في علم الفلك. والخلاصة، هل الله لم يدرس فلكه بعناية قبل أن يؤلف الكتاب المقدّس؟ يا صاحبي!

بلّرمين : ألا يقول لك الاحتمال، لك أنت، ان الخالق لابد يعرف عن خليقته خيرا مما يعرف المخلوقون؟

جاليلو : لكن، يا سادة، في وسع الانسان أن يسيء تفسير الكتاب المقدس، وحركة الأفلاك معا.

بلّرمين : لكن طريقة تفسير الكتاب المقدس: هذا ميدان يرجع في نهاية الأمر الى اللاهوتيين التابعين الى أمنا المقدسة: الكنيسة. هل نحن متفقون على هذا؟ (جاليلو يصمت.) أنت ترى جيدا: ها أنت ذا تسكت. (يوجه اشارة الى الكاتبين.) يا سيد جاليلو! ان الديوان المقدس قرر في هذه الليلة أن

نظام كوبرنيكوس — الذى يجعل من الشمس المركز الثابت للعالم ، بينما الأرض متحركة وليست مركز العالم — هو رأى أحمق غير معقول ، مبتدع ، ويسيء الى الايمان . وأنا مكلف بتحذيرك كى تتخلى عن هذا الرأى (مخاطبا الكاتب) : — أعِدْ ما قلتُه .

الكاتب : أبلغ صاحب النيافة الكردينال بلرمين المذكور أعلاه جاليلو جاليلاى بأن : الديوان المقدس قرر أن نظام كوبرنيكوس ، الذى يجعل من الشمس المركز الثابت للعالم ، بينما الأرض متحركة وليست مركز العالم — هو رأى أحمق ، غير معقول ، مبتدع ، ويسيء الى الايمان . وأنا مكلف بتحذيرك كى تتخلى عن هذا الرأى .

جاليلو : ما معنى هذا ؟

(من قاعة الرقص تسمع مقطوعة أخرى من القصيدة تنشدها جوقة من الصبيان)

الصبيان

قلتُ : أبهى العُمْرِ يمضى وبسرعهْ
فاقطفِ الوردَة إبّان الربيعْ

(بربرينى يشير على جاليلو بالسكوت حتى ينتهى الغناء . يصغون) .

جاليلو : لكن الوقائع ؟ لقد فهمت أن الفلكيين في الكلية الرومانية قد اعترفوا بأن أرصادى صحيحة .

بلّرمين : وعبرّوا عن رضاهم العميق بعبارات كلها اطراء لك .

جاليو : لكن توابع المشترى ؟ وأطوار الزهرة ؟

بلّرمين : ان المجمع المقدس جدا لما قرر قراره لم يأخذ في حسابه هذه الاعتبارات الخاصة .

جاليو : ومعنى هذا أن كل بحث علمى من الآن فصاعدا . .

بلّرمين : مكفول تماما ، ياسيد جاليو . وهذا يوافق مذهب الكنيسة الذى يقول اننا عاجزون عن المعرفة ، لكن البحث مباح لنا . (يحيي لحظة أحد المدعوين في قاعة الرقص) . هذا النظام ، شأنه شأن أى نظام آخر ، لك مطاق الحرية في أن تبحث فيه على شكل افتراض رياضى . ان العلم هو الابن الشرعى والحبيب للكنيسة ، ياسيد جاليو . ولا أحد منا يفترض جديا أنك تريد أن تقضى على الثقة التى يوليها الناس للكنيسة .

جاليو : (متضايقا) : ان الثقة تفنى من كثرة الالتجاء اليها .

بربرينى : آه ، هكذا ؟ (يربتّ على كتفه وهو يقهقه . ثم ينظر اليه بتعال ويقول له بشئ من التودد :) لاترم الطفلَ مع ماء الحوض ، يا عزيزى جاليو . وهذا أيضا ليس من شيمتنا . اننا أحوج اليك منك الينا .

بلّرمين : انى أتحرق الى تقديم أكبر رياضى في ايطاليا الى مندوب الديوان المقدس الذى يحمل لك أعلى التقدير .

بربريـــنى : (ممسكا بالذراع الآخر لجاليو) : بهذه الكلمات صار حمـــلا وديعا . وأنت ، يا عزيزى، للظهور هنا كان عليك أن تتخفى فيزى مفسر برىءللحقائق المقررة . وقناعى هو الذى يخول لى اليوم بعـــض الحرية . في هذا الزى تستطيع أن تسمعنى أهمس قائلا : « لو لم يوجد الله لكان علينا اختراعـــه ». والآن فلتستعد القناع . يا لجاليو المسكين، انـــه لا يلبس قناعا .

(يحيطان بجاليلو ويقتادانه الى قاعة الرقص)

الكاتب الأول : هل سجلت الجملة الأخيرة ؟

الكاتب الثانى : أنا بصددها . (يكتبان بانشغال شديد .) هـــل سجلت الجملة التى قال فيها انه يثق بالعقل ؟

(يدخل الكردينال كبير محكمة التفتيش)

كبير محكمة التفتيش : هل جرت هذه المحادثة ؟

الـــكاتب : (كأنه انسان آلى) : أولا السيد جاليلو جاء مـــع ابنته . وهذه خطبت اليوم الى السيد . . . (كبـــير محكمة التفتيش يقطع كـــلامه بحركة منه) ثم ان السيد جاليلو أخبرنا بالطريقـــة الجديـــدة للّعـــب بالشطرنج ، وهذه الطريقة تخالف كل القواعد ، وفيها الأحجار تحرك خلال كل لوحة الشطرنج .

كبير محكمة التفتيش : (مقاطعا) : المحضر !

(الكاتب يقـــدم اليه المحضر . يجلس الكردينال لتصفّحه . سيدتان شابتان مُقنّعتان تخترقـــــان المسرح ، وتنحنيان انحناءة خفيفة حين مرورهما أمام الكردينال) .

احداهمــــا : من هـــذا ؟

الأخــــرى : الكردينال كبير محكمة التفتيش .

(تمضيان وهما تحاولان كتم ضحكة شديدة. تدخل فرجينيا ، تتلفت حواليها باحثة عن شخص)

كبير محكمة التفتيش : (وهو في زاوية) : ماذا يا ابنتى ؟

فرجينيـــا : (ولم تكن قـــد أبصرته ، تقفز مفزعة) : أوه ، ياصاحب السيادة !

(كبير محكمة التفتيش ، دون أن يرفع بـــصره، يقدم اليها يده اليمنى . فرجينيا تقترب، وتركــع وتقبّل الخاتم) .

كبير محكمة التفتيش : ليلة رائعة . اسمحى لى بأن أتقدم اليك بالتهـــانى بمناسبة خطبتك : خطيبك من أسرة عظيمة . هل ستبقين عندنا ؟

فرجينيـــا : ليس في الحال ، ياصاحب السيادة . هناك الكثير من الاستعدادات للزواج .

كبير محكمة التفتيش : اذن سترحلين الى فيرنتسه مع السيد والدك . أنـــا

سعيد لهذا كل السعادة . وأتصور أن السيد والدك في حاجة شديدة اليك . والرياضة رفيقة عبوس ، أليس كذلك ؟ في مثل هذا الجو فان مخلوقة مليئة بالحياة كفيلة بتغيير كثير من الأشياء . ومن السهل جدا أن يضل المرء في كل هذه العوالم السماوية ، التي تبدو شاسعة حين يكون المرء عقلا كبيرا .

فرجينيا : (وقد خنقها الانفعال) : كم أنت كريم ، ياصاحب السيادة ! انى كما تعرف لا أفهم شيئا تقريبا في هذه الأمور .

كبير محكمة التفتيش : حقا ؟ (يضحك) أسرة صانع الحلوى لا تأكل الفطائر ، أليس كذلك ؟ وسيسر السيد والدك أن يعلم أنني أنا ، يا بنيّتي العزيزة ، الذى علمك ما تعلمين عن العوالم السماوية . (و هو يتصفح المحضر :) أرى هاهنا أنه تبعا لرأى المجددين المحدثين ، ووالدك هو زعيمهم المعترف به في كل مكان ، وهو عقل كبير من بين كبارالعقول ، فان تصوراتنا الحالية لأهمية أرضنا العتيقة العزيزة مبالغ فيها . ومنذ عصر بطلميوس ، وهو حكيم قديم ، حتى يوم الناس هذا كان يقدر مجموع الخليقة ، أعني مجموع كرة البلّور التي فيها تحتل الأرض المركز ، بحوالى عشرين ألف مرة قطر الأرض . وهى مساحات جميلة ، لكنها في نظر هؤلاء المجددين صغيرة جدا . وفي نظرهم

أن الكون أوسع بكثير جدا ، وأن المسافة بين الأرض والشمس ، وهى مسافة محترمة جدا ، فيما كان يبدو لنا ، صارت بهذا ضئيلة جدا جدا اذا ما قورنت بالمسافة التى تفصل بين أرضنا المسكينة وبين النجوم الثابتة في الغلاف الاقصى ، بحيث يمكن اسقاطها من حساباتنا ! وهنا ينبغى أن نقول ان المجددين لايعيشون على قدم كبيرة .

(فرجينيا تضحك ، وكذلك يضحك كبير محكمة التفتيش)

كبير

محكمة التفتيش : (مواصلاً كلامه) : والواقع أن مثل هذه الصورة للعالم ، تبدو بالنسبة اليها تلك التى نقر بها حتى الآن مجرد صورة مصغرة جدا ، لاتصلح الا لتزيين جيدٍ جميل مثل جيد بعض الفتيات ، ولهذا فإن هذه الصورة للعالم ، قد أثارت ثائرة الأعضاء البارزين في الديوان المقدس . انهم يخشون أن يضل السبيل في هذه المساحات الشاسعة أحد الكهنة أو أحد الكرادلة أنفسهم . بل البابا نفسه ، بكل سلطانه ، قد يضل في مثل هذا النظام . نعم ، فى هذا ما يثير الضحك ، لكنى مع ذلك سعيد بأن أراك في كنف أبيك العظيم ، الذى نُكِنّ له جميعاً كلّ احترام ، يا بنتى العزيزة . وأنا أسائل نفسى عما اذا كنت أعرف من يتلقى منك الاعتراف . . . .

فرجينيا : الاب كرستوفورو ، في كنيسة القديسة أورسولا .

كبير

محكمة التفتيش : نعم ، أنا سعيد جدا ان أعلم أنك ستكونين في صحبة والدك . انه في حاجة اليك ، ربما يصعب عليك أن تتصورى السبب في هذا ، لكن سيأتى اليوم عاجلا أو آجلا . أنت لاتزالين صغيرة ، مملوءة بالحيوية ، وليس من السهل دائما تحمل العظمة بالنسبة الى أولئك الذين وهبهم الله اياها . لا ، ليس من السهل دائما . لا ، مهما يكن عظيما . فإنه في حاجة الى الدعاء — أليس كذلك ؟ ولكن ها أنذا أعوقك ، يا بنيتى العزيزة ، وأثير الغيرة في نفس خطيبك ، وربما أيضا في نفس أبيك ، وأنا أحدثك عن النجوم بعبارات ربما صارت عتيقة ، وهذه هى الطامة الكبرى . عودى لاستئناف الرقص بسرعة ، لكن لاتنسى أن تحيي باسمى الأب الطيب كرستوفورو .

(فرجينيا تمضى مسرعة ، بعد انحناءة عميقة)

* * *

(٨)

(مناقشة .

في سجلّ « الحرمان » ألفْاه يقــرأ
راهبــا يقرأ القرار الرهيبـا
راهبا ينشر العلوم ويبغــى ،
وهو إبن الفلاح ، علما جديـــدا

في روما . بقصر سفير فيرنتسه ، جاليليو يصغى الى الراهب الشاب الذى بلّغه – بعد جلسة الكليـــــة الرومانية ، – كلمة الفلكى البابوى)

جاليلـــو : هيا ، تكلم ! الثوب الذى تلبسه يخول لك أنتقول أى شىء .

الراهب الشاب : درستُ الرياضيات ، يا سيد جاليليو .

جاليلـــو : سيكون هذا أمرا حسنا ، لو أن هذا دعـــاك الى الاقرار بأن ٢ + ٢ تساوى أحيانا ٤ .

الراهب الشاب : يا سيد جاليليو ! منذ ثلاث ليال وأنا لاأستطيع النوم. ذلك أنى لم أستطعْ التوفيق بين القرار الذى قرأته، وبين توابع المشترّى التى شاهدتّها . لهذا قــررت اليوم أن أتلو قدّاسى ثم أجيء اليك .

جاليلـــو : لتقول لى ان المشترّى ليست له توابع ؟

الراهب الشاب : كلا . لقد اقتنعت بالأسباب الموجبة للقرار . لقد كشف لى الأخطار التى تتعرض لها الانسانية من جراء البحث المنطلق بغير قيود ، وقد قررت أن أترك علم الفلك . لكنى حرصت على أن أعرض عليك الدواعى التى يمكن أن تحمل حتى الفلكى نفسه على التخلى عن اتمام بناء النظرية التى تعرفها .

جاليليو : أعتقد أن في وسعى القول بأن هذه الدواعى معروفة لدىّ .

الراهب الشاب : أنا أقدر شعورك المرير . أنت تفكر في تلك الوسائل الاستثنائية التى تملكها الكنيسة .

جاليليو : لا تفزع من النطق بالكلمة : أدوات التعذيب .

الراهب الشاب : لكنى أود أن أذكر دواعى أخرى . واسمح لى أن أتحدث عن نفسى : لقد نشأت في أسرة فلاحين في اقليم كمبانيا . وهم قوم بسطاء جدا ، يعرفون كل ما يمكن معرفته عن أشجار الزيتون ، وفيما عدا هذا لايكادون يعرفون شيئا . والآن ، حين أشاهد دورات الزهرة ، يخيل الىّ أن أهلى يجلسون في صحن الدار مع أختى وهم يشربون حساء بالجبن . ومن فوقهم أرى ألواح السقف التى سوّدها الدخان طوال مئات السنين ، وأرى تفاصيل اياديهم الهرمة التى شوهها العمل ، والملفقة بين أصابعهم . ليست حياتهم بالسعيدة ، لكن في ثنايا شقائهم نفسه ثم مبدأ للنظام . هناك أدوار مختلفة : دور للتنظيف الكبير ، ودور للمواسم في مزارع الزيتون ،

ثم دور دفع الضرائب . وثم انتظام في كل هـذه المصائب التى تنقض عليهم . واذا كان ظهر أبى ينحنى فلايتم هذا دفعة واحدة ، بل التدريج مع كل ربيع يقضيه في مزارع الزيتون ، كما أن الولادات التى تقلل شيئا فشيئا من أنوثة أمى ، تتم في فترات محددة . والقدرة على جر السلال على طول الطريق الحافل بالحصباء ، والقدرة على انجاب الأولاد ، بل والقدرة على الأكل — هما يستمدانها من الشعور بالدوام والضرورة ، هذا الشعور الذى يولده في نفسيهما منظر الشمس ، ومنظر الأشجار التى تخضر كل عام ، والكنيسة الصغيرة ، وآيات الكتاب المقدس التى يستمعون اليها في أيام الآحاد . لقد تلقوا توكيدا بأن الله ينظر اليهم نظرة متسائلة ، شبه قلقة ، وبأن مسرح هـذا العالم قد نظم من حولهم ، حتى يستطيعوا ، وهـم الممثلون ، أن يبرهنوا على حسن أدائهم لأدوارهم ، صغيرة كانت أو كبيرة . فماذا عسى أن يقول أهلى لو سمعونى أقول انهم يعيشون على حصاة صغيرة تدور باستمرار في الفضاء وتدور حول نجم آخر ، حصاة بين حصى عديد جدا ، حصاة لا أهمية كبيرة لها ؟ فيم يعملون اذن ، وفيم يتحلون بكل هذا الصبر ، وفيم يتعلقون كل هذا التعلق بشقائهم ؟ وما الفائدة بعد في الكتاب المقدس ، الذى فسر كل شيء ، وبرر كل شيء على أنه ضرورى : العرق ، والصبر ، والجوع ، والخضوع ، بينما

اليوم يكتشف فيه الكثير من الأخطاء ؟ كـــلا ، يخيل الى أنى أشاهد نطرتهم اللهيفة والملفقة تسقط على حجر الأرضية ، وأشاهد كيف يحسون بأنهم خُدعوا وغُرِّر بهم . سيقولون : « واذن لأحد يرعانا ؟ أعلينا نحن أن نرعى أنفسنا ونحن جهلة ، عجائز ، مستهلكون ؟ ألا دور لنا غير دورنـــــا البائس هذا على الأرض ، هذا الجرم السمـــاوى الصغير جدا الذى لايستقل بوجوده وليس محورا لشيء ؟ أليس هناك معنى اذن لشقائنا : فالجـــوع سيكون فقط مجرد نتيجة لكوننا لم نأكل ، وليس امتحانا لقوتنا ، والمجهود ، سيكون مجرد نتيجة للانحناء وحمل الأثقال ، وليس مصدرا للفضائل والحسنات ؟ — أتفهم الآن لماذا أقرأ في قرار المجمع المقدس شفقة سخية ، واحسانا لاحد له ؟

جاليـــو : الشفقة ! الاحسان ! لعلك تريد أن تقول : « لاشيء لهم ، كل الخمر قد شرب ، وشفاههم جفت — اذن فليقبلوا ثوب رجل الدين » . لكن لماذا ليس ثم شيء لهم ؟ ولماذا النظام في هذا البلاد ليس شيئا آخر غير نظام الخزانة الفارغة ، والضرورة ليس الا أن يقتل المرء نفسه في الشغل ؟ وكل هذا وسط بساتين كروم حافلة بالعناقيد على تخوم حقول قمح وفير ؟ ! ان فلاحيكم في اقليم كمبانيا يدفعون ثمن الحروب التى يشنها خليفة يسوع الرقيق الوديع ، يشنها في أسبانيا وألمانيا . لمـــاذا يجعل من الأرض

مركزا للكون كله ؟ من أجل أن يصبح عرش القديس بطرس على الأرض مركز كل شيء !
النقطة الثانية هي المهمة . أنت على حق : ليس المهم هو الكواكب ، بل الفلاحون في كمبانيا .
ولا تحدثني بعد هذا عن جمال الأشياء التي ذهبتها وخضرتها السنون . أتعرف كيف ينتج المحار اللؤلؤي لؤلؤته ؟ ابان مرض يمكن أن يموت منه يدخل المحار في كرة من المخاط جسما غريبا يهيجه ، حبة رمل مثلا . ويكاد يموت في هذه العملية . ومن رأيي أني أفضل المحار السليم ، وتبا للؤلؤة . ان الفضائل ليست مرتبطة بالشقاء ، ياصديقي . لو كان أهلك يعيشون في رخاء ويسر ، لكان في وسعهم أن يمارسوا فضائل الرخاء واليسر . ان فضائل المنهوكين تنشأ من الأراضي المنهوكة ، وهذا شيء لا أريده . ياعزيزي ، مضخات الماء التي اخترعتها يمكن أن تحدث معجزات أفضل من عملهم الوضيع ، عمل المستعبد ، العمل الذي يتجاوز طاقة البشر . — « تناسلوا تكاثروا » لأن الحقول بقيت عقيمة والحروب تقضي عليكم . هل يجب علي أن أكذب على هؤلاء الناس ؟

الراهب الشاب : (في حالة تأثر شديد) : انها أسباب عالية جدا تفرض علينا أن نسكت : الطمأنينة الباطنة للذين يتألمون !

جاليـــو : هل تريد أن ترى ساعة من صنع اتشلّيني Cellini ، وضعها سائق الكردينال بلّرمين هنا هذا الصباح؟ يا صديقى العزيز ، ان السلطة تقدم الىّ — من أجل مكافأتى على ترك أهـــلك الأعزاء في طمأنينـــة ، مثلا — أقول ان السلطة تقـــدم الىّ الخمر الـــذى حصده أهلوك بعرق جبينهم ، جبينهم الذى خلق على صورة الله كما هو معلوم . لو وافقت على أن أسكت ، فسيكون ذلك لأسباب حقيرة خسيسة : هى أن أعيش في سلام ، دون اضطهاد ، الخ . . .

الراهب الشاب : يا سيد جاليو ! أنا قسيس .

جاليـــو : وأنت أيضا عالم طبيعة . ولقد شاهدت بعينيك أن للزُّهَرة أطوارا. تعال انظر من النافذة (يشير الى النافذة) أترى هناك برياب[1] الصغير على شاطئ الينبوع ، بالقرب من شجرة الغار ؟ اله البساتين ، والطيور واللصوص ، هذا الجلف الفاجر الـــذى عمره أكبر من ألفى سنة ! . . . انه لم يقل مثل هذا القدر من الأكاذيب . ليكن ، لانتحدثن عن هذا ، أنا أيضا ابن للكنيسة . لكن ، هل تعرف الأهجية الثانية لهوراس ؟ انى أقرؤها هذه الأيام ، فانهـــا تحدث شيئا من الاتزان . (يتناول كتابا صغيرا). انه يجعل برياب هذا يتكلم ، وكان تمثالا صغيرا في حدائق الاسكولينو . وهذا مطلعها :

« جذع من شجر التين ، وخشب قليل الفائدة

---

(1) برياب Piriape اله الخصب عند اليونان واله البساتين والكروم والولادة .

هكذا كنت حينما تساءل النجـــار
هل يصنع برياب أو كرسيا
واختار أن يصنع الاله . . . »

هل تعتقد أن هوراس كان سيوافق على أن يُمْنَع مثلا من الكرسى ، وبوضع في قصيدته مقعـــد ؟ كذلك يا سيدى ، سيجرح احساسى بالجمـــال اذا حرمت الزهرة من أطوارها ، في تصورى للعالم ! اننا لانستطيع أن نخترع ميكانيكا لدفع وضخّ الماء من الأنهار اذا لم ندرس الميكانيا الكبرى ، تـــلك التى تتجلى آمام عيوننا ، ميكانيكا الأجرامالسماوية. ومجموع زوايا المثلث لايمكن أن يعدل تبعا لهـــوى وحاجات الكلية المقدسة . ومدارات الأجرام التى تجول في الفضاء لا أستطيع أن أحسبها بطريقـــــة توضح أيضا أشواط جرى الساحرات على أيادى المكانس .

الراهب الشاب : أو لا تظن أن الحقيقة ، اذا كانت هى الحقيقـــة، ستفرض نفسها حتّى بدوننا ؟

جاليـــو : لا ، لا ، لا . لايفرض نفسه الا الجزء منالحقيقة الذى نفرضه نحن ، ان انتصار العقل هو انتصـــار الذين يفكرون . ان فلاحيكم في كمبانيا أنتتصفهم كما تصف الطحالب على سقوف أكواخهم، هذا ما أنت عليه ! فمن ذا الذى سيخيل اليه أن مجموع زوايا المثلث يمكن أن يتعارض وحاجات هـــؤلاء الناس ؟ حتّى لو لم يتحركوا ، ولو لم يتعلمـــــوا

كيف يفكرون ، فان أروع أجهزة الريّ لــــن تفيدهم في شيء . فليذهب الى الشيطان صَبْرُ أهلك الالهى . لكن أين غضبهم الالهى ؟

الراهب الشاب : انهم متعبــــون .

جاليلــو : (راميا اليه بمخطوط كبير) : هل أنت فزيائى ، يابنى ؟ في هذا الكتاب عرفت الأسباب التى مــن أجلها يتحرك المحيط في المد والجزر . لكن عليك ألا تقرأ ، فاهم ؟ أوه ، ها أنت ذا تقرأ ؟ اذن أنت فزيائى (الراهــب الشاب أكب عــلى قــراءة المخطوط .) تفاحة تسقط من شجرة المعرفــة ، وها هوذا يبتلعها . لقد حكم على نفسه بالهــلاك الأبدى ، لكن الأمر أقوى منه ، وها هـــو ذا يبتلعه ، هذا المسكين . ويخطر ببالى أن أقدر أننى لاأمانع في أن أحبس نفسى في كهف تحت الأرض بعشرات الامتار ، في سجن لاينفذ اليه النــور ، لو تعلمت بهذا الثمن ما هو النور . وأسوأ مــا في الأمر أن ما أعرفه هو أقوى منى ، وعلىّ أن أقوله للآخرين . مثل عاشق ، أو سكران ، أوجاسوس . هذا فساد تام . هذه رذيلة ، ولا شئ غير هذا ، وهذا سينتهى نهاية سيئة . كم من الوقت سأقــدر على اعلان ما أعرف ، وان كان في ذلك اذكــاء النار التى ستحرقنى ؟ تلك هى المسألة .

الراهب الشاب : (وهو يريه صفحة من المخطوط) : هنا عبــارة لا أفهمها .

جاليلــو : سأشرحها لك ، سأشرحها لك .

(٩)

(بعد ثمانى سنوات من الصمت ، كان تولى بابا جديد ، هو في الوقت نفسه عالم ، مشجعا لجالليو على استئناف أبحاثه في الموضوعات المحرّمة : بقع الشمس .

كَتَمَ الحقيقــةَ مُدّةً
ولسانهُ لم ينطــق
إبّانَ أعــوامٍ ثمــا
نيةٍ ، ولكن لم يُطِقْ .
للحقّ صاح مُرَدداً :
يأيهــا الحــق انطلــق

في فيرنتسه في منزل جالليــو . تلاميذ جالليــو : فدرتسونى ، والراهب الشاب ، واندريا ســارتى وقد صار الآن شابا ، اجتمعوا لمشاهدة تجربــة . جالليو ، وهو واقف ، يقرأ كتابا ، وفرجينيــا والسيدة سارتى تخيطان ثياب العرس .)

فرجينيــا : خياطة ثياب العرس أمر مسلّ . هذا المفرش سيصلح لمائدة كبيرة في المآدب . ان لودفكو يحب دعــوة الضيوف . لكن لابد من اتقانه ، لأن أمه تلاحظ أقل غرزة رديئة . انها غير راضية عن كتب والدى تماما مثل الأب كرستوفورو .

السيدة سارتى : انه لم يؤلف كتبا منذ سنوات .

فرجينيا : اعتقد أنه أدرك أنه أخطأ . في روما ، شرح لى رجل دين كبير جدا كثيرا من الأشياء المتصلة بعلم الفلك . ان المسافات أوسع مما ينبغى .

اندريا : (وهو يكتب على السبّورة برنامج اليوم) : « يوم الخميس بعد الظهر : الأجسام الطافية » . لابد لنا من ثلج ، و كمية من الماء في حوض وميزان، وابرة من الحديد .

(يذهب للبحث عن هذه المواد . والآخرون يدرسون درس اليوم في كتب . يدخل فيلبو موشيوس ، وهو عالم في منتصف العمر ، مشيته تدل على شيء من الاختلال) .

موشيوس : هل تستطيعين أن تخبرى السيد جاليليو بأنه لابد له أن يستقبلنى ؟ انه يُدِينني دون أن يسمع كلامى .

السيدة سارتى : لكن ما دام لايريد أن يقابلك ؟

موشيوس : اذا طلبت منه ذلك ، جزاك الله خيرا . لابد لى من التكلم معه .

فرجينيا : (وقد مضت الى أسفل السلم) : يا أبى !

جاليليو : مـــاذا ؟

فرجينيا : انه السيد موشيوس .

جاليليو : (متضايقا ، يرفع بصره عن كتابه ، يذهب صوب السلم ، يتبعه تلاميذه) ماذا تريد منى ؟

موشيوس : ياسيد جاليليو ! اسمح لى أن أشرح لك المواضع

في كتابي التي يبدو أنها تدين مذهب كوبرنيكوس في دوران الأرض . عندى فقط . . .

جاليليو : وأى مجال للشرح بعد ؟ أنت توافق تماما على القرار الصادر من المجمع المقدس في سنة ١٦١٦ . ولك الحق في هذا كل الحق . لقد درست هنا الرياضيات ، أنا لا أعارض في هذا ، لكن هذا لا يعطينا الحق في ارغامك على أن تقول ان ٢ + ٢ = ٤ . لك الحق تماما في أن تقول ان هذه الحصاة (يخرج من جيبه حصاة صغيرة ويلقى بها على بلاط الأرضية) قد طارت إلى السقف .

موشيوس : ياسيد جاليليو ، أودّ . . .

جاليليو : لا تتكلم عن صعوبات . أنا ، رغم الطاعون ، استمررت في اجراء ملاحظاتي .

موشيوس : ياسيد جاليليو ، هناك ما هو أسوأ من الطاعون .

جاليليو : أقول لك : ان من لا يعرف الحقيقة ، هو مغفل فقط. ولكن من يعرفها ويصفها مع ذلك بأنها كذب، هذا مجرم . اخرج من هذا البيت !

موشيوس : (بصوت خال من النبرة) أنت على صواب .

(يخرج . جاليليو يعود إلى مكتبه)

فدرتسونى : نعم ، الأمر هكذا ! انه ليس عبقريا ، ولعله كان لا يساوى شيئا إذا لم يتتلمذ عليك . هم طبعاً يقولون : « هذا الرجل استمع إلى كل ما علّمه

جالليو ، ويرى نفسه مضطرا إلى الاقرار بأنه خطأ كله » .

السيدة سارتى : هذا السيد المسكين يثير الشفقة في نفسى .

فرجينيا : لقد كان أبي يحبه كثيرا !

السيدة سارتى : يافرجينيا ! منذ مدة وأنا أريد أن أحادثك بشأن زواجك . أنت لا تزالين صبية ، وليس لك أم ، وأبوك يمضى وقته في جعل قطع صغيرة من الثلج تعوم على المـاء . على كل حال ، لا أنصحك بأن تسأليه أبدا فيما يتعلق بالزواج. والالبقى ثمانية أيام ينطق بأشياء في غاية الفظاعة ، ويفضل ذلك عند تناول الطعام ، حين يكون الشباب هنا ، لأنه ليست لديه ذرة من الحياء. على كل حال ليس عن هذه الأمور أود أن أحدثك ، بل فقط عن مستقبلك . لست أدرى وأنا امرأة غير متعلمة ، ولكن في مسألة مهمة مثل هذه ينبغى على المرء ألا يسير فيها خبط عشواء . حقا أعتقد أنه يجب عليك أن تذهبي لاستشارة فلكيّ من الجامعة ، ليحسب لك طالعك ، وبهذا تعرفين ما سيحصل لك غدا . لماذا تضحكين ؟

فرجينيا : لأنني قمت بهذا فعلا .

السيدة سارتى : (بشغف) وماذا قال ؟

فرجينيا : يجب عليّ أن احتاط لمدة ثلاثة أشهر ، لأنه في هذه المدة تكون الشمس في برج الجدى ، لكن بعد هذا تتحسن حالى تماما وتتبدد الغيوم . وإذا لم أنس

الاهتمام بالمشترى ، ففى وسعى أن أقوم بأية رحلة ، لأن برجى هو الجدى .

السيدة سارتى : ولودفكو ؟

فرجينيا : برجه الأسد . (صمت قصير) مزاجه عاشق . (صمت) أنا أعرف هذه الخطوة ، انه السيد جافونى ، المدير .

(يدخل جافونى ، مدير الجامعة)

جافونى : جئت فقط من أجل احضار كتاب ربما يهمّ أباك . وأرجوك ، بحق السماء ، ألا تزعجى السيد جالليو . ذلك أنى أعتقد أن كل دقيقة تؤخذ من وقت هذا الرجل العظيم ، دقيقة مسلوبة من ايطاليا . وهكذا أودع الكتاب برفق بين يديك ، وأعود أدراجى على أطراف أصابع قدمىّ .

(يخرج . فرجينيا تعطى فدرتسونى الكتاب) .

جالليو : في أى موضوع ؟

فدرتسونى : لا أدرى . (يقرأ حرفا حرفا) : « في البقع الشمسية » .

اندريا : البقع الشمسية . كتاب آخر في هذا الموضوع أيضا ! (فدرتسونى يعطيه الكتاب غاضبا) اسمع الاهداء : « إلى أكبر حجة بين الأحياء في الفيزياء ، إلى جالليو جاليلاى . » (يغرق جالليو في قراءة كتابه) قرأت الرسالة التى كتبها فبريسيوس عن البقع ، وهو هولندى . انه يعتقد أن هذه البقع

هى أسراب من الأجرام السماوية تمر بين الأرض والشمس .

الراهب الشاب : أليس هذا أمرا مشكوكا فيه تماما ، ياسيد جاالليو ؟

(جاالليو لا يحير جوابا)

اندريـــا : في باريس وبراج يعتقدون أنها أبخرة متصاعـــدة من الشمس .

فدرتســـونى : آه !

اندريـــا : فدرتسونى يشك في هذا كثيرا .

فدرتســـونى : إذا كان هذا لا يضايقك ، دعنى خارج المعركة . لقد قلت : « آه ! » وهذا كل شيء . أنا أصقل العدسات . أنا صاقل عدسات ، أما أنتم فتلاحظون السماء ، وما تشاهدونه ليس بقعا ، بل Maculis [1] فأنىّ لى أن أشك في أى شيء ؟ وكم من المرات علىّ أن أقول لكم انى لا أستطيع قراءة الكتب : انها مكتوبة باللاتينية .

(في غضبه تبدو منه حركات ، والميزان في يده . تسقط كفّة على الأرضية جاالليو يخترق المسرح ويلتقطها (في صمت) .

الراهب الشاب : نحن نقول : « طوبى للذين يتشكّكون . » وأنـــا أتساءل لماذا .

اندريـــا : منذ أسبوعين ، وفي كل يوم تسطع فيه الشمس ، كنت أتسلق إلى الغرفة العليا تحت قرميد السقف . ومن ثقوب القرميد لا يمر غير شعاع رفيع جدا ،

---

(۱) باللاتينية : بقع

مما يسمح بتلقى الصورة المقلوبة للشمس على ورقة . وشاهدت بقعة كبيرة مثل الذبابة ، رخوة مثـــل السحابة الصغيرة . وكانت تنتقل . لماذا لا ندرس بقع الشمس ، ياسيد جاليليو ؟

جاليليـــو : لأننا نبحث في الأجسام الطافية .

اندريـــا : عند أمى سلال كبيرة مملوءة بالخطابات ، كل أوربا تريد أن تعرف رأيك . ان شهرتك ارتفعت إلى درجة لا تستطيع معها أن تسكت بعد .

جاليليـــو : إذا كانت روما قد تركت شهرتى تتصاعـــد ، فذلك لأننى اعتصمت بالصمت .

فدرتســـونى : لكنك اليوم لا تستطيع بعدُ أن تسمح لنفســـك بالاستمرار في الصمت .

جاليليـــو : لكنى لا أستطيع أيضا أن أسمح لنفسى بأن أشْوى على نار الخشب ، مثل قديد الخنزير .

اندريـــا : أتظن اذن أن للبقع علاقة بهذه الحكاية ؟ (جاليليو لا يجيب) . حسن، لنقتصر على قطع الثلج ، فهذا لن يسبب لنا أذى .

جاليليـــو : بالضبط . ما الذى افترضناه يا اندريا ؟

اندريـــا : فيما يتلق بطفو الأجسام ، سنفترض أنه لا يتوقف على شكلها ، بل على ثقلها وتفاوته بالنسبة إلى ثقل المـــاء .

جاليليـــو : ماذا يقول أرسطو ؟

الراهب الشاب : « Discus latus planusque »

جاليليو : ترجم !

الراهب الشاب : « لوح الثلج العريض المسطح يمكن أن يطفو على الماء ، بينما ابرة الحديد تغوص إلى القاع »

جاليليو : لماذا لا يغوص الثلج تبعا لأرسطو العظيم ؟

الراهب الشاب : لأنه عريض ومسطح ، وتبعا لذلك هو عاجز عن ازاحة الماء .

جاليليو : طيب (يأخذ قطعة من الثلج تقدم اليه . ويضعها في الحوض) . والآن بضغط كبير ، أجعل الثلج ينزل حتى قاع الحوض . أتوقف عن الضغط بيديّ . فماذا يحدث ؟

الراهب الشاب : يصعد الثلج من جديد .

جاليليو : تماما . يبدو أنه من أجل الصعود قادر على زحزحة الماء . فلجنتسيو !

الراهب الشاب : لكن ، لماذا يطفو ؟ ان الثلج أثقل من الماء ، لأنه ماء مكثف .

جاليليو : لكن لو كان هو ماء أقل كثافة ؟

اندريا : لابد أنه أخف من الماء ، والا لما طفا .

جاليليو : ياسلام ، ياسلام !

اندريا : كما أن ابرة الحديد لا تطفو . كل ما هو أخف من الماء يطفو ، وكل ما هو أثقل من الماء يغوص . وهو المطلوب .

جاليلـو : يلزمك يا اندريا أن تتعلم كيف تبرهن بدقة واحتياط . أعطنى ابرة الحديد . ثم هات ورقة . هل الحديد أثقل من الماء ؟

اندريا : نعـم .

(جاليلو يضع الابرة على قطعة ورق ويضع الورقة على الماء . صمت)

جاليلـو : ماذا يحدث ؟

فدرتسونى : الابرة تطفو ! أى أرسطو المقدس ! انهم لم يحققوا هذا أبدا !

(يضحكون)

جاليلـو : كثيرا ما يكون السبب في عدم تقدم العلم توهم الوصول إلى الغرض . ان هدفهم ليس فتح باب على لا نهائية المعرفة ، بل رسم حد للانهائية الخطأ . سجل ما حصل .

فرجينيا : ماذا جرى ؟

السيدة سارتى : في كل مرة يضحكون ، هذا يجعلنى أقفز . انى أتساءل : « مم يضحكون ؟ »

فرجينيا : أبى يقول دائما : « إن للاهوتيين قرع نواقيسهم وللفزيائيين ضحكهم . »

السيدة سارتى : على كل حال أنا راضية لأنه لم يعد ينظر كثيرا في أنبوبته . لقد كان ذلك شيئا فظيعا .

فرجينيا : كل ما يفعله الآن هو أن يضع قطع ثلج في الماء . وهذا أمر لا يمكن أن ينجم عنه شر كبير .

السيدة سارتى : لست متأكدة من هذا .

(يدخل لودفكومرسيلى بملابس السفر ، يتبعه خادم يحمل أمتعة . فرجينيا تهرع اليه وتقبله)

فرجينيا : لماذا لم تكتب إلىّ أنك قادم ؟

لودفكو : كنت قريبا من هنا وأنا أتفقد مزارع الكروم في ناحية برتشيولى ، فلم أتمالك أن أمنع نفسى من المجىء .

جاليلو : (وكأنه قصير النظر) من هذا ؟

فرجينيا : هذا هو لودفكو .

الراهب الشاب : أولا تراه ؟

جاليلو : آه ، صحيح ! لودفكو ! (يغدو في اتجاهه) وما حال الخيول ؟

لودفكو : في أحسن حال ، يا سيدى .

جاليلو : سارتى ، استراحة : اذهبي فأحضرى ابريقا من ذلك النبيذ الصقلّى الفاخر ، العتيق .

(السيدة سارتى تخرج بصحبة اندريا)

لودفكو : (مخاطبا فرجينيا) : أنت شاحبة . الحياة في الريف ستفيدك . أمى تنتظرك في سبتمبر .

فرجينيا : انتظر ، سأريك ثوب زفافي .

(تخرج مسرعة)

جاليلو : اجلس .

لودفكـــو : بحسب ما قيل لى ياسيدى ، لديك أكثر من ألــف طالب في المحاضرات التى تلقيها في الجامعة . فيم تشتغل الآن ؟

جاليـــو : العمل اليومى المعتاد : هل مررت بروما ؟

لودفكـــو : نعم . آه، قبل أن أنسى : أمى تهنئك على حصافتك النموذجية في هذه المعركة القائمة حول البقـــع الشمسية ، والتى يصول فيها الآن الهولنديـــون ويجولـــون .

جاليـــو : (بجفاف) : شكرا جزيلا .
(السيدة سارتى واندريا يحضران النبيذ والأقداح : يتحلقون حول المـــائدة) .

لودفكـــو : أهل روما لديهم موضوع جديد للحديث طـــوال شهر فبراير : وكرستوفر كلافيوس قد عبر عن خوفه من أن حكاية البقع قد تؤدى الى اســـتئناف الجدل حول مسألة دوران الأرض حول الشمس .

اندريـــا : لاخطـــر .

جاليـــو : وأي جديد في المدينة الخالدة (روما) ، فيما عدا الأمل في ارتكابى لخطايا جديدة ؟

لودفكـــو : أنت تعلم من غير شك أن أبانا المقدس (البابـــا) يعالج سكرات المـــوت ؟

الراهب الشاب : يا الهـــى !

جاليـــو : عمّن يتحدثون لخلافته ؟

لودفكـــو : في الغالب عن الكردينال بربرينى

جالليـــو : بربريـــنى !

اندريـــا : السيد جالليو يعرف بربرينى .

الراهب الشاب : الكردينال بربرينى رياضى .

فدرتســـونى : عالم على عرش البابوات !

(صمـــت)

جالليـــو : حسن . انهم الآن في حاجة الى رجل مثل بربرينى ممن درسوا بعض الرياضيات . بدأت الامـــــور تتحرك . يافدرتسونى ، ربما يقدر لنا أن نعيش في عصر لن نحتاج فيه الى الاستتار والتخفى كالمجرمين حين نعلن أن ٢ + ٢ = ٤ . (مخاطبا لودفكو :) أنا أجـــد هذا النبيذ جيـــدا يالودفكو . وأنت ، ما رأيك فيه ؟

لودفكـــو : انه جيـــد .

جالليـــو : أنا أعرف مزرعـــة الكرم (التى مـــن عناقيدها اعتصر) . المنحدر وعر وفيه حصباء ، والعنـــب شبه أزرق . انى مغرم بهذا النبيذ .

لودفكـــو : نعم ، ياسيدى .

جالليـــو : ان فيه مايشبه الظل القليل ، ويكاد يكون حلوا ، « يكاد » فقط . يا اندريا ! ارفع هذه الأشـــياء : الثلج ، والحوض ، والابرة . انى أُقَدِّر مُتَـــع الحواس . ولا أحتمل النفوس الضعيفة التى تحسب هذا نوعا من الضعف . انى أقرر أن الاستمتـــاع فعل كريم .

الراهب الشاب : ماذا قررت أن تفعل ؟

فدرتسـوني : سنستأنف معركة دوران الأرض حول الشمس .

اندريـا : (وهو يدندن) :

قال « الكتاب » بأن الأرض ثابتـة
والعالمـون أبانوا ذاك تكـرارا
والبابا يمسكها من أصل أذنيهـا ،
بالرغم من ذا ، تدور الأرض دورتها !

(اندريا وفدرتسوني والراهب الشاب يهرعون الى منضدة التجارب وينظفونها مما عليها) .

اندريـا : ونحن نستطيع أن ندرك أن الشمس هى الأخـرى تدور . فماذا يطيب لك ، يالودفكو ؟

لودفكـو : لماذا تتحمس كل هذه الحماسة ؟

السيدة سارتى : لكنك لن تستأنف كل هذه الحكايات الشيطانية ، يا سيد جاليلـيو ؟

جاليلـيو : الآن أعرف لماذا بعثت بك أمك الىّ . بربريـنى نجمه في صعود . العلم سيصير وجدانا ، والبحث شهوة : كلافيوس على صواب : بقع الشمـس هذه تهمنى كثيرا وتشوقنى . هل وجَدْت نبيذى جيدا ، يا لودفكـو ؟

لودفكـو : قلت لك ذلك من قبل ياسيدى .

جاليلـيو : صحيح ، تجـده جيدا ؟

لودفكـو : (بتصلب) : نعم ، أجده جيدا .

جاليـــو : هل تتنازل وتقبل نبيذ أو بنت رجل دون أنتطالبه باطراح عمله ؟ ما العلاقة بين فلكى وبين بنـتى ؟ ان أطوار الزهرة لاتغير شيئا في استدارة أردافها .

السيدة سارتى : لا تكن جلفا هكذا . سأذهب فورا لاحضارفرجينيا

لودفكـــو : (مانعا اياها) : ان الزواج ، في أسرة مثل أسرتى ، لايقوم فقط على اعتبارات جنسية .

جاليـــو : اذن منعوك من الزواج بابنتى طوال ثمانى سنوات، لتجعلنى في أثناء هذه المدة موضوعا للملاحظـــة والمراقبـــة .

لودفكـــو : ينبغى أن تحدث زوجتى ، في قريتى ، أثرا طيبـــا وهى جالسة على كرسيها في الكنيسة .

جاليـــو : تريد أن تقول ان فلاحيك جعلوا دفع الايجـــارات مشروطا بقداسة زوجة صاحب الأرض ؟

لودفكـــو : بمعنى من المعانى .

جاليـــو : اندريا ، فولجنتسيو ، اذهبا وأحضرا المرآة النحاسية والستارة ! سنسقط عليها صورة الشمس ، لنخفف على أعيننا : وهذه الطريقة أنت الذى اكتشفتها ، يا اندريـــا !

(اندريا والراهب الشاب يذهبان لاحضار المـــرآة والستارة)

لودفكـــو : في روما ، تعهدت ياسيدى بألا تخوض بعد ذلك في حكاية الأرض التى تدور هذه .

جاليـــو : آه ، صحيح ! لكن في ذلك الوقت كان عندنـــا بابا رجعيّ !

السيدة سارتي : تقول : « كان » ! والبابا لم يمت بعد !

جاليـــو : على وشك ، على وشك ، ضعوا على الستارة شبكة ذات عيون مربعة . سنسلك بنظـــام منهجي . ثم نستطيع بعد ذلك أن نرد على رسائلهم ، أليـــس كذلك يا اندريـــا ؟

السيدة سارتي : « على وشك » ! انه يزن ويعيد وزن قطع الثلـــج خمسين مرة ، لكن حين يتعلق الأمر بشيءٌ يناسبه وييسر أموره ، فانه يصدقه تصديقا أعمى .

(يضعون الستارة)

لودفكـــو : لو مات قداسة البابا ، ياسيد جاليو ، فان البابـــا الذى سيخلفه ، مهما يكن ، ومهما كانت مشاعره نحو العلوم طيبة ، فانه لن يستطيع أن يسمح لنفسه بإهمال مشاعر الأسر الكبيرة في البلاد نحوه .

الراهب الشاب : انظر يا لودفكو ! الله صنع الكون الطبيعي ، والله صنع المخ البشرى والله سمح بدراسة علم الطبيعة .

السيدة سارتي : جاليو ، أود أن أقول لك شيئا . لقد شاهدت ابنى يقـــع في الخطيئـــة بسبب كل « تجاربـــك » ، و « نظرياتك » و « مشاهداتك » ، ولم أستطع أن أفعل شيئا . لقد وقفت في وجه السلطة ، وهى قد حذّرتك . وكبار الكرادلة راحوا يعظونك كمـــا يصنع مع الفرس المريض . وكان لهذا أثره مـــدة

من الزمان ، لكن منذ شهرين ، بعد عيد الحَمْل بلا دنس بأيام ، فاجأتك وأنت تقوم بـ «مشاهداتك» خفية . وفي غرفة السطوح أيضا ! لم أشأ التكلم في هذا ، لكني فهمت على الفور . وفي الحال هرعت لاشعال شمعة على اسم القديس يوسف . وهـــذا فوق طاقتي . حين أكون وحدي معك ، تظهـــر عليك أمارات العقل السليم وتقول لى ان من اللازم أن تبقى هادئا . لأن هذا خطر ، لكن اجراء تجارب لمدة يومين يعيد الأمور من جديد . اذا كنت أحرم نفسى من النجاة في الآخرة لأنى أبقى مع مبتـــدع هرطيق فهذا شأنى أنا ، لكن ليس من حقك أن تحطم سعادة بنتك بأقدامك الغلاظ .

جاليـــو : (متضايقا) : هات المقراب (التلسكوب)

لودفكـــو : يا جوزبـّه ، أعد الأمتعة الى العربة

(يخرج الخـــادم)

السيدة سارتى : انها لن تتحمل هذا . تستطيع أن تقول أنت لهـــا هـــذا .

(تمضى ، والجرة في يدهـــا)

لودفكـــو : أرى أنك قد اتخذت قرارك . يا سيد جاليـــو ، اننا ، أمى وأنا ، نمضى ٩ أشهر كل عام في مزرعتنا في كمبانيا ، ونحن واثقون أن فلاحينا لم يضطربوا بسبب رسائلك عن توابع المشترى . ان عملهـــم شاق جدا . ومع ذلك فربما تشوشت أفكارهـــم

لو عرفوا أن هجمات طائشة على عقائد الكنيسة المقدسة تبقى بدون عقاب . ولا تنس أن هؤلاء الناس المساكين وهم على ما هم فيه من حيوانية ، يخلطون بين الأمور . انهم فعلا كالأنعام . ولا تكاد تتصور أحوالهم . يكفي أن تنطلق اشاعة تقول انه عثر على كمثرى في شجرة تفاح ، لكي يطلقوا لأنفسهم العنان في التخيلات .

جاليليو : (باهتمام) آه ، هكذا !

لودفكو : دواب حقا . حينما يأتون إلى البيت للشكوى من أتفه الاشياء ، تضطر أمي إلى الأمر بضرب كلب بالسياط أمام عيونهم ، إذ لا وسيلة أخرى لردهم إلى النظام والأدب . وأنت ، ياسيد جاليليو ، تلقى نظرة من بعيد إلى حقول الذرة الفاخرة من نافذة عربتك ، وتأكل زيتوننا وجبننا وعقلك بعيد في عالم آخر ، وليست لديك أية فكرة عما يقتضيه انتاج هذا كله من مشقة ومراقبة في كل وقت .

جاليليو : أيها الشاب ، انني حين آكل زيتوني ، لا يكون عقلي بعيدا في عالم آخر .
(بعنف وشراسة) : أنت تضيع وقتي (يصيح إلى بعيد) : هل معكم الستارة ؟

اندريا : نعم . هل أنت حاضر ؟

جاليليو : أنت لا تضرب فقط كلابا ، ياسيد مرسيلي ليحافظوا على النظام ؟

لودفــكو : ياسيد جاليلو ، ان عقلك عجيب . ياللخسارة !

الراهب الشاب : (مندهشا) انه يهددك .

جاليــو : نعم ، ان في استطاعتي اشاعة الاضطراب في عقول فلاحيه ، وتوجيههم إلى أفكار جديدة . وكذلك خدمه ومعاونيه .

فدرتســونى : وكيف ذلك ؟ ليس فيهم واحد يعرف اللاتينية .

جاليــو : في وسعي أن أكتب بلغة الشعب ، وللجمهــور ، وليس باللاتينية لعدد قليل من الخاصة . نحــن في حاجة إلى أناس يعملون بأيديهم من أجل تحقيق الأفكار الجديدة . ومَن غير هؤلاء يريدون أن يعرفوا أسباب الاشياء ؟ إن الذين لايرون الخبز الا على موائدهم لايريدون أن يعرفوا كيف عجن وخبز ، هؤلاء الاوغاد يفضلون ان يشكروا الله على أن يشكروا الخباز الذى خبز هذا الخبز . لكن الذين يصنعون الخبز يعرفون أنــه لا شيء يتحرك إلا إذا حركه شخص . وأختك التي تعمل في معصرة الزيتون ، يافولجنتسيو ، لن يغمــى عليها ، بل ستضحك ملء شدقيها حين يقال لهــا ان الشمس ليست شكلا مرسوما على درع ، بل هى رافعة : إذا كانت الأرض تتحرك فما ذلك إلا لأن الشمس تحركها .

لودفــكو : لن تكون أبداً غير عبد لشهواتك . قدم اعتذاراتى لفرجينيا ، أعتقد أن الأفضل ألا أراها في الوقت الحاضر .

جاليــو : البائنة تحت تصرفك ، في أية لحظة .

لودفــكو : مساء الخير !

(يخــرج)

اندريـــا : وبلغ احتراماتنا لكل آل مرسيلي في العالم .

فدرتســـونى : الذين يأمرون الأرض بألا تتحرك ، خوفا من أن تنهار قصورهم .

اندريـــا : وبلغها أيضا لآل اتشنشى Cenci ، وآل فلآنى Villani

فدرتســـونى : وآل تشرفيلى Cervilli !

اندريـــا : وآل لكى Lecchi !

فدرتســـونى : وآل برليونى Pirleoni !

اندريـــا : الذين لا يريدون أن يقبلوا نعل البابا الا إذا استعمله لسحق الشعب والدوس عليه .

الراهب الشاب : (وهو منهمك في العمل حول الأجهزة) البابـــا الجديد سيكون سلطانا مستنيرا .

جاليـــو : سنأخذ الآن في ملاحظة بقع الشمس هذه التى تهمنا جدا ، ولنتحمل النتائج ، دون أن نحسب حسابا لحماية بابا جديد .

اندريـــا : (مقاطعا اياه) مع التوكيد الراسخ عل تشتيـــت أسراب النجوم التى قال بها فابرتسيوس وكذلك الأبخرة الشمسية التى تقول بها براج وباريس، واثبات دوران الشمس .

جاليـــو : رفقا ! وللبرهنـــة بشىء من التأكيد على دوران الشمس . فليس قصدى أن أبرهن على أننى كنت على صواب حتى الآن ، بل النظر فيما اذا كنت

على صواب . وأقول لك : يامن تدخل طريق الملاحظة ، تخلّ عن كل أمل . ربما كانت أبخرة ، وربما كانت بقعا ، لكن قبل افتراض أنها بقع وهو يوافق نظريتنا ، نحن نفضل أن نفترض أنها أجنحة ذباب . نعم ، سنعيد النظر في المسألة كلها من جديد ، ولن نتقدم بخطاً واسعة ، بل بخطا الحلزون . وما نجده اليوم سنمحوه غدا ، ولن نسجله من جديد إلا بعد أن نجده مرة ثانية . وما نرجو العثور عليه ، سننظر اليه ، حين نعثر عليه ، بتشكك وعدم ثقة . اذن سنأخذ في رصد الشمس ونحن عازمون عزما راسخا على اثبات أن الأرض ثابتة ! وفقط حين نخفق في هذا ، وحين ننهزم انهزاما تاما لا أمل في تغييره ، ولا يعود أمامنا الا أن نلعق جراحنا ، حينئذ وحينئذ فقط سنتساءل ونحن محزونون ، عما اذا كنا على صواب بالرغم من كل شيء ، وعما إذا كانت الأرض لا تدور . (وهو يحد نظره) : لكن إذا ذابت بين أصابعنا كل نظرية أخرى ، حينئذ لن نرحم أولئك الذين لم يبحثوا ومع ذلك يسمحون لأنفسهم بفتح أفواههم . أزيلوا غلاف هذه الأنبوبة وصوّبوها نحو الشمس !

(يرتب المرآة)

الراهب الشاب : لقد كنت فهمت أنك بدأت العمل فعلا . فهمت ذلك حينما لم تتعرف السيد مرسيلي .

(يبدأون البحث في هدوء وصمت . وحينما تظهر صورة الشمس المتوهجة على الستارة، تأتى فرجينيا مسرعة وهي بثوب الزفاف)

فرجينيـــا : هل طردته يا أبي؟

(يغمى عليها. اندريا والراهب الشاب يندفعان نحوها)

جاليـــو : لابد أن أعرف .

* * *

(١٠)

(خلال العشر السنوات التالية انتشر مذهب جاليليو بين عامة الناس . وفي كل مكان كان أصحاب الرسائل والمغنون الجوالون يرددون الافكار الجديدة . وابان كرنفال سنة ١٦٣٢ اتخذ الكثير في مدن ايطاليا من الفلك موضوعا لمواكب النقابات .

ميدان عام بهلوان وزوجته جائعان ، ومعهما بنت عمرها خمس سنوات وطفل رضيع — يَصِلون إلى الميدان ، حيث جمهور ، بعضه يلبس الأقنعة ينتظر موكب آخر أيام الكرنفال. الزوجان يجران حزمة أمتعة وأشياء أخرى تتصل بعملها) .

المغنى الجوال : (وهو يقرع الطبل) أيها الناس الكرام ، سادتى وسيداتى ! نقدم اليكم ، قبل موكب النقابات الكبير ، أحدث المحدثات في فيرنتسه ، أغنية تنتشر بسرعة هائلة ، في كل ايطاليا الشمالية ، وقد استوردناها هنا نظير تضحيات هائلة . عنوانها : النظريات والآراء المخيفة التى يقول بها الأستاذ جاليليو جاليلاى ، عالم الطبيعة الكبير في بلاط توسكانيا ، أو ، إذا شئتم ، نفحة من المستقبل .
(يغـنّى) :

حينما قال اله الكون : « كن »

صاح في الشمس : « وهاكِ واجبك :
حول هذى الأرض ، كالخادم
ياشمس أديرى شعلتك
ذاك أن الله قد شاء لكل أن يدور
دائما حول الذى يسمو عليه
ولذا يُلْفَى الصغار
دائما حول الكبار
دائر ين
والخوالف
دائما حول الطلائع
هكذا في الأرض أو أعلى السماء
حول البابا يدور الكرادلة
وحول الكرادلة يدور الأساقفة
وحول الأساقفة يدور الكتبة
وحول الكتبة يدور أعيان المدينة
وحول أعيان المدينة يدور الصنّاع
وحول الصنّاع يدور الخدم
وحول الخدم تدور الكلاب والدجاج
والشّحاذون .

هذا ياحضرات الأفاضل ، هو النظام العظيم ، نظام الأنظمة ، كما يقول السادة اللاهوتيون . وقاعدة القواعد، والقاعدة الأزلية ، لكن ماذا حـــدث أيها القوم الأعزاء ؟

(يغـــنّى) :

ظهر الدكتور جاليو
(واطّرح كتاب الله
أخذ المقراب وصوّب
نظراته على ذا الكون)
صاح للشمس : أقيمى ساكنه !
في اتجاه العكس ذا الكون يدور
حول خادمتها تدور السيّدة
أيها القوم ، وليس الأمر هزلا !
كلّ يوم ٍ قحةً يزدادُ أوزاعُ الخدم!
ذاك عين الحق : والنادرقد صارالمزاح .
أين ياقوم الذى لا يبتغى
أن يُرَى سيّدَ نفسه؟
هذه الآراء ياقوم خطيرة.

(يغـــنّى) :

الخادم يخدع سيّده
والبنت الخادم تتلاعب
كلب القصّاب ربا شحمه
طفل القُداس قد أهمله
بقى التلميذ على فَرْشه.
كلا ياسادة ، لا ، كلاّ !
فكتاب الله هو الجِدّ
حبل المشنقة أعدوه
بالشدّ ، وإلاّ يتحطم!
ذاك عين الحق : والنادر قد صار المزاح •

أين ياقوم الذى لا يبتغى
أن يُرَى سَيّدَ نفسه ؟

أيها القوم الكرام . ألقوا نظرة على المستقبل كما يتنبأ به العالم الدكتور جاليو جاليلاى :

(يغنّى :)

سيدتا بيت في السوق
في سوق السمك بلا عمل
بائعة السمك على خبزْ
تلتهم هى الأخرىَ السّمكَ
والبنّا يحفر آساسا
يستخدم أحجار المالك
والبيت اذا تم بناؤه
يأخذه البنا ويسكنه
أيجوز لهذا أن يحدث ؟
كلا ، ياسادة ، لا ، كلا
فالأمر خطيرٌ ، لا هزل
ذاك عين الحق : والنادر قد صار المزاح
أين ياقوم الذى لا يبتغى
أن يُرَى سيّدَ نفسه ؟
هذا المستأجر ، بوقاحه
يضرب ذا المالك في ظهره
زوجته تزود باللبن
ابناها وتترك قسيسا
واللبن نصيب القسيس

كلا يا سادة ، لا ، كـلاّ
فكتاب الله هو الجـد
حبل المشنقة أعـدّوه
بالشـدّ ، وإلا يتحطـم
ذاك عين الحق ؛ والنادر قد صار المـزاح
أين ياقوم الذى لايبتغـى
أن يـُرَى سيّدَ نفسـه ؟

زوجة المغـنى :

تركتُ الرقـص في الحلْبـة
وقلـت لزوجيَ : اسمعنى
ترى هل ثم بين الأنجمِ
نجم ثابت أبـرع .

المغـنىّ :

كلا ، كلا ، أبـدا كلا
جاليليـو ، حسبك ، جاليليـو !
لو كلب أُطلِق من خطمـه
لاسترسل في عض الناس
هذا والله هو الحـق
والمزح الآن هو النادر
أين يا قومُ الذى لايبتغـى
أن يُرَى سـيّد نفسـه ؟

كلاهمـا :

يامن تعيشون في هـم واذلال
استجمعوا كل ما في النفس من قـوة
ثم استمدوا من العلاّم جاليليـو

مبادئُ العيش في رَغَدٍ على الأرض
كانت مصيبتنـــا في الذل والطاعـــة
أين ياقـــوم الذى لايبتغـــى
أن يُرَى ســـيد نفســـه ؟

المغـــني : والآن ايها الناس الكرام ، ستشاهدون الاكتشاف العظيم الذى قام به جاليلو جاليلاى، وهو: الأرض وهى تدور في مدارها الدائرى حـــول الشمس .

(يقرع طبلته بعنف . الزوجة والبنت تتقدمان . الزوجة تحمل صورة غليظة تمثل الشمس ، والبنت تحمل على رأسها قرعة مالطية تمثل الأرض، وترسم دائرة حول امها . وبعد ذلك تتقدم البنت ، عـــلى ايقاع قرعات منفردة من الطبلة ، بوثبات متدافعة والمغنى ، وهو في حالة وجد ، يشير اليها بذراعه الممدودة ، وكأنها تقوم بقفزة خطرة . وفجأة ، في عمق المسرح ، قرع مستمر للطبول).

صوت عميق ينادى : الموكب !

(يدخل رجلان في أسمال بالية وهما يجران عربة صغيرة يجلس فيهـــا على عرش حقير ، « دوق توسكانيا الكبير » وعليه تاج من الكرتون وثـــوب من الخيش ، ينظر في تلسكوب ، وفوق العرش بطاقة كتب عليها : « ينظر عن ضيق وملال » وبعد ذلك يسير أربعة رجال مقنعين يحملون غطاء عربة كبيرا . يتوقفون ويطلقون في الهواء دميـــة

تمثل كردينالا . رجل قزم يقف في جانب وهــو يحمل لوحة كتب عليها : « العصر الجديد » وفي الجمهور يقف شحاذ عل عكازته ويرقص برجليه ، ثم يسقط بدوىّ شديد . يدخل ما نكان هائل يمثل جاليو ، المانكان يحيي الجمهور وامامــه طفل يحمل نسخة ضخمة من « الكتاب المقدس »مفتوحا عند صفحات معلم عليها بصليب .)

المغــنى : جاليو جاليلاى ، محطم « الكتاب المقدس » !

(الجمهور يقهقه قهقهات عاليــة) .

* * *

(١١)

(سنة ١٦٣٣ . محكمة التفتيش تستدعى الباحث الشهير إلى روما .

في أسفل : حر لافح
في أعلى : بَرْدٌ قارس
في الشارع صيحات ضجيج
وبلاط بالصمت يلوذ

غرفة انتظار وسلم في قصر آل مدتشى في فيرنتسه . جاليليو وابنته ينتظران أن يستقبلهما الدوق الكبير) .

فرجينيا : الوقت طال .

جاليليو : نعم .

فرجينيا : هذا الرجل أيضا ، انه كان يتعقبنا .

(تشير إلى شخص يمر كأنه لا يراهما)

جاليليو : (وكان بصره قد ضعف) لا أعرفه .

فرجينيا : لكني أنا شاهدته عدة مرات في هذه الأيام الأخيرة . ان فيه شيئا يقلقني .

جاليليو : غير معقول نحن في فيرنتسه ولسنا بين قطاع الطرق في قورسقه

فرجينيا : ها هو ذا السيد جافوني ، مدير الجامعة .

جالليـــو : الآن أنا خائف . هذا الأبله سيجرنى مرة أخرى إلى مناقشة لا تنتهى . (المدير جافونى ينزل السلم . وعند رؤيته لجالليو يقفز ويصرف رأسه بسرعة ويمر أمامهما بتزمت صلب ، مكتفيا باشارة مـــن رأسه غير مدركة) ماذا جرى له ؟ ان نظـــرى ضعف . هل حيًّا ؟

فرجينيـــا : كاد . ماذا في كتابك ؟ هل من الممكن أن يجدوه مبتدعا ؟

جالليـــو : أنت تَغْشَيْنَ الكنائس أكثر مما ينبغى . وبسبب استيقاظك مبكرة والاسراع إلى القدّاس ستفسدين نضارة بشرتك . أنت تصلين من أجلى ، أليـــس كذلك ؟

فرجينيـــا : ها هو ذا السيد فانّى Vanni ، صاحب المصانع ، الذى من أجله وضعت مشروع مصنع لصهـــر الحديد ، لا تنس أن تشكر له ارساله الحَجَل . (نزل انسان من السلم)

فانّـــى : هل أعجبك الحَجَل الذى أرسلته اليك ، ياسيد جالليو ؟

جالليـــو : الحجل كان ممتازا ، يامعلم فانى ، فشكرا جزيلا لك مرة أخرى .

فانّـــى : هناك في أعلى كانوا يتحدثون عنك . انهم يعدونك مسئولا عن الرسائل التى كتبت ضد « الكتـــاب المقدس » ، والتى تباع في كل مكان هذه الأيام .

جاليلـــو : انى أجهل كل شيء عن هذه الرسائل الانتقادية . و « الكتاب المقدس » هو ، وهوميروس من كتبي المفضلة للقراءة .

فانـّـى : وحتّى لو لم يكن الأمـــر هكذا . . . فانى أود أن أنتهز هذه الفرصة لأؤكد لك أننا نحن العاملـــين في المصانع نحن معك . لستُ على اطلاع واسع على حركات النجوم ، لكنك في نظرى الرجل الـــذى يناضل في سبيل حرية تعليم الأشياء الجديدة . خذ مثلا تلك الماكينة الزراعية الألمانية التى وصفتها لى . وفي السنة الماضية وحدها نشرت في لندن خمس رسائل وأبحاث في الزراعة . أما نحن هنا ، فاننا نكون راضين لو كان عندنا كتاب عن القنـــوات في هولنده . ونفس الأوساط التى تثير لك المشاكل هى التى تمنع الأطباء في بولونيا من تشريح الجثث لأغراض البحث العلمى .

جاليلـــو : يافانى ، ان لصوتك تأثيره .

فانـّـى : أرجو ذلك : هل تعلم أن في امستردام ولندن سوقا للنقود ؟ ومدارس مهنية أيضا ؟ وصحفاً تظهـــر بانتظام وتخبر الناس عما يجرى من أحداث ؟ أما هنا فليست لدينا الحرية حتّى في ايجاد الثروة . انهم يعارضون ويقفون ضد مصانع صهر الحـــديد ، بحجة أن تجمع أعداد كبيرة من العمال في نفس المكان يساعد على انتشار الفساد الخلقى . أنا متضامن مع الرجال من أمثالك ياسيد جاليليو ، في السرّاء

والضرّاء . واذا حاولوا أن يدبروا شيئا ضـــدك ، فتذكر أن لك أصدقـــاء في كل فروع النشاط . سيدى ، ان وراءك مدن شمال ايطاليا تسنـــدك وتشد أزرك .

جالليـــو : بحسب علمى ، ليس في نية أحد أن يدبر شيئـــا ضدى .

فانـّــى : صحيح ؟

جالليـــو : نعم .

فانـّــى : من رأيى أنك ستكون في أمان أكثر في البندقيـــة . فعدد رجال الكهنوت هناك أقل . ومن هنـــاك تستطيع أن تواصل النضال . ان عندى عـــربة وخيولا ، ياسيد جالليو .

جالليـــو : لا أريد لنفسى أن أعيش عيشة لاجىء . ويهمنى أن أعيش في رفاهية .

فانـّــى : مؤكد . لكن بعد الذى سمعته هناك فوق ، أرى أن الأمر يحتاج إلى التصرف بسرعة . عندى شعور بأنه في هذه الأوقات بالذات هم يفضلون ألا تكون في فيرنتسه .

جالليـــو : غير معقول . ان الدوق الكبير كان تلميـــذى ، وفضلا عن ذلك فان البابا نفسه سيحول دون حدوث أى أذًى بى ، لو حاولوا ، بحجة من الحجـــج ، أن يدبروا لى مكيدة .

فانـّـــى : يبدو لى ، ياسيد جاليو ، أنك لا تستطيع أن تميز أصدقاءك من أعدائك .

جاليليـــو : لكنى أستطيع أن أميز القدرة من العجز .

(يمضى بعنف)

فانـّـــى : طيب . أرجو لك حظا سعيدا .

(يخـــرج)

جاليليـــو : (وقد عاد إلى جوار فرجينيا) في هذا البلد ، كل من له شكوى يريد تقديمها ، يلجأ إلىّ أنا للتعبير عن شكواه ، خصوصا لدى جهات لا يفيدنى هذا خيرا عندها . لقـــد ألـّفت كتابا في ميكانيـــكا الكون ، هذا كل ما في الأمر . وما يستخلـــص منه أولا يستخلص — ليس من شأنى أنا .

فرجينيـــا : (بصوت عال جدا) لو عرف الناس كم ندمت بما جرى في الكرنفال الأخير من طيش . . .

جاليليـــو : صحيح ! أعط عسلا إلى دُبّ ، تفقد ذراعك إذا جاع هذا الحيوان .

فرجينيـــا : (بصوت خفيض) لكن هل صحيح أن الـــدوق الكبير استدعاك للمثول أمامه اليوم ؟

جاليليـــو : لا ، لكنى أنا طلبت مقابلته . ويهمه أن يحصل على الكتاب ، لأنه هو الذى قدّم المال . اسألى الحاجب واشكى له أننا هنا ننتظر منذ مدة طويلة .

فرجينيـــا : (تذهب إلى الحاجب ، ووراءها ذلك الشخص) :

ياسيد منتشيو ! هل أبلغ صاحب السمو أن أبي يريد أن يتحدث اليه ؟

الحـــاجب : وهل أنا أعرف ؟

فرجينيـــا : ليست هذه اجابة .

الحـــاجب : صحيح ؟

فرجينيـــا : كن مهذّبا .

(الحاجب يوليها ظهره ويتثاءب وهو ينظـــر إلى الشخص)

فرجينيـــا : (وقد عادت إلى جوار أبيها) انه يقول ان الدوق الكبير لا يزال مشغولا .

جاليليـــو : سمعت كلمة : « مهذب » . فما هذا الذي كان ؟

فرجينيـــا : لقد شكرته على جوابه المهذب ، هذا كل ما في الأمر . ألا تستطيع أن تترك الكتاب وتذهب ؟ انك هنا تضيع وقتك.

جاليليـــو : أصبحت أسائل نفسي هل وقتي ثمين حقا . ربما قبلت دعوة سجريدو لأقضي بضعة أسابيع فـــي بادوا . صحتي ليست على ما يرام .

فرجينيـــا : انك لا تستطيع أن تعيش من دون كتبك .

جاليليـــو : ويمكن أن نحمل في العربة بعض النبيذ الصقلّي ، صندوقا أو صندوقين .

فرجينيـــا : كنت تقول دائما انه لا يتحمل النقل . ثم ان البلاط

لا يزال يدين لك بمرتب ثلاثة أشهر ، وهم لن يرسلوها اليك .

جاليلو : هذا صحيح .

(الكردينال كبير محكمة التفتيش ينزل السلم) .

فرجينيا : الكردينال كبير محكمة التفتيش . (الكردينال وهو يمر أمام جاليلو يحيّ جاليلو بانحناءة عميقة) . يا أبي ، ماذا جاء بالكردينال ، كبير محكمة التفتيش ، إلى فيرنتسه ؟

جاليلو : لست أدرى . لكن موقفه دل على شيء من الاحترام. كنت أعرف ما كنت أفعل حين رحلت إلى فيرنتسه واعتصمت بالصمت طوال سنوات . لقد رفعوا من شأنى إلى حد أنهم مضطرون اليوم إلى أخذى على علاّتى كما أنا .

الحاجب : (بصوت قوىّ) صاحب السمو الدوق الكبير .

(كوزمو دى مدتشى ينزل السلم ، جاليلو يتقدم نحوه . كوزمو يتوقف ، في شيء من الارتباك)

جاليلو : جئت لأقدم إلى سموكم محاوراتى عن النظم الكبرى . . .

كوزمو : آه صحيح ؟ كيف حال عينيك ؟

جاليلو : ليست على ما يرام ، ياصاحب السموّ . لو يسمح سموّكم ، أحضرتُ الكتاب . . .

كوزمو : حالة عينيك تقلقنى . حقا ، تقلقنى . وأنا أستنتج

من هذا أنك تفرط في استخدام أنبوبتك الثمينـــة .
أو أنا غلطان ؟

(يستمر في طريقه دون أن يأخذ الكتاب)

جاليـــو : لم يأخذ الكتاب ، أليس كذلك ؟

فرجينيـــا : أوه ، أنا خائفة .

جاليـــو : (بصوت مختنق ، ولكنه حازم) لا تظهرى شيئا . وبدلا من الذهاب إلى بيتنا سنذهب إلى منـــزل فولبى Volpi ، الزجاج . لقد اتفقت واياه على أن يكون في فناء الحانة ، بجوار منزله ، عـــربة مستعدة للرحيل في أى وقت ، وفيها براميل فارغة ، لاقتيادى إلى خارج المدينة . . .

فرجينيـــا : أنت تعرف اذن . . .

جاليـــو : لا تعودى .

(يريدان الخروج)

موظف كبير : (ينزل السلم) ياسيد جاليو ! أنا مكلف باعلانك أن بلاط فيرنتسه لا يستطيع من الآن فصاعدا أن يقاوم الرغبة التى أبدتها محكمة التفتيش المقدســة بارسالك إلى روما لاستجوابك . ياسيد جاليو ! عربة محكمة التفتيش المقدس جدا في انتظارك .

★ ★ ★

(١٢)

(البابـا

جناح في الفاتيكان . البابا أربان الثامن ، واسمه الأصلى : الكردينال بربريني ، استقبل الكردينال كبير محكمة التفتيش . بينما الجلسة مستمرة ، يلبَس ثيابَه . يسمع في الخارج تدافع حشد)

البابـا : (بصوت جهوري) : لا ، لا ، لا !

كبير محكمة التفتيش : في اللحظة التى فيها علماء كل الكليات ، وممثلو كل الطرق الرهبانية والكهنوت ، بسبيل الاجتماع ، وقد جاءوا جميعا ، تحدوهم الثقة البنوية في كلام الله كما هو وارد في الكتاب المقدس ، ليسمعوا من قداستكم مايؤيد ثقتهم هذه ، في هذه اللحظة اذن تريدون قداستكم أن تخبروهم أن الكتاب المقدس لايمكن أن يعد منذ الآن صادقا ؟

البابـا : لن أعمل على تحطيم ألواح الحساب . لا !

كبير محكمة التفتيش : أما أن الأمر يتعلق بالواح الحساب وليس بروح التمرد والشك ، فهذا ما يقوله أولئك الناس. والواقع أن الامر لايتعلق بألواح الحساب ، بل باضطراب مروّع استولى على العالم . وهؤلاء الناس

يعزون الى الأرض الثابتة اضطراب عقولهم هم . انهم يصيحون : « الأرقام ترغمنا ». لكن ارقامهم من أين جاءت ؟ كل انسان يعرف أنها جاءت من الشك . هؤلاء الناس يشكون في كل شيء . فهل نبني مجتمع الناس على الشك ، لا على الايمان ؟ «أنت سيدى ، لكنى أشك في أن هذا صواب »، هذا بيتك وزوجتك ، لكن عندى شكا : أليس « الأولى أن يكونا لى أنا ؟» ، وفي مجال آخر ، ان ولوع قداستكم بالفنون الجميلة ، هذا الولوع الذى ندين له بمجموعات جميلة ، أفلا يفسر عند البعض تفسيرات مهينة ، كما في هذا المكتوب على كل جدران روما ، وهو : « ما تركه البرابرة في روما ، سرقه آل بربريني » . وفي الخارج ، لقد أراد الله للكرسى الرسولى ، كرسى القديس بطرس ، أن يعانى المحن والتجارب . فهناك قوم مجردون من الفطنة ، قد أساءوا فهم سياسة قداستكم مع أسبانيا ، ويأسفون لنزاعكم مع الامبراطور . ومنذ خمسة عشر عاما وألمانيا صارت مذبحا يمزق الناس فيه بعضهم بعضا ، والكتاب المقدس في فمه يستشهد به والآن والطاعون والحرب والاصلاح الدينى قد جعلت المسيحية تتحلل وتتمزق الى قطعان قليلة العدد ، تسرى اشاعة في كل أوروبا تقول انكم مرتبطون مع السويد ، التى تدين بالمذهب اللوثرى ، في محالفة سرية تهدف الى اضعاف الامبراطور ، وهو كاثوليكى . والآن تجيء هذه

الحشرات من رجال الرياضيات ويصوبون أنابيبهم نحو السماء ويعلنون للعالم أنه حتى فى هذا المجال ، وهو الوحيد الذى لايجادلك بعدُ أحد فيه ، ليست لقداستكم قواعد راسخة . ويحق للمرء أن يتساءل : ما الداعى الى هذا الاهتمام المفاجئ بعلم بعيد مثل علم الفلك ؟ ألا يستوى الأمر أن تدور هذه الأكر في هذا الاتجاه ، أو ذاك ؟ وبالقدوة السيئة التى كانت لهذا الرجل الفيرنتسي (=جاليلو) صار كل انسان في ايطاليا ، حتى أحقر سائس للخيل ، يتحدث عن أطوار الزهرة بترهات ، ولا يوجد شخص لايقصد بالطعن كثيرا من الأمور التى كانت تعد في المدارس راسخة ، ومن شأنها أن تحدث الكثير من الضرر . فماذا عسى أن تكون النتيجة ، لو أن كل هؤلاء الناس ، وجسدهم ضعيف ، وهم مفطورون عل المبالغة والافراط ، لم يعودوا يثقون الا بعقولهم ، عقولهم التى يقول عنها هذا المأفون انها الحكم الوحيد ؟ لو حدث أن أخذوا يشكون في أن يوشع قد أوقف الشمس ، ففى استطاعتهم بعد هذا أن يتناولوا بالشك الخسيس حتى جَمْعَ النذور . ومنذ أن انطلقوا في عرض البحار — ولا اعتراض عندى على هذا — صاروا يضعون ثقتهم في كرة من النحاس يسمونها البوصلة ، وليس في الله . وجاليلو هذا ، ابان شبابه ، قد ألف في الماكينات . وهم يريدون بالماكينات أن يصنعوا المعجزات . كيف ؟ لم يعد

بهم حاجة الى الله على كل حال ، لكن عن أى معجزات يتحدثون ؟ مثلا ، لن يكون ثم فارق بين الأعلى والأدنى . فهم ليسوا في حاجة الى هذا. وأرسطو العظيم — وهم لايعدونه الا ككلب ميت — قد قال ، وهم يرددون ذلك : « لو أن مكوك النساج ينسج وحده ، ولو أن عصا القيثارة تعزف وحدها ، فلن يصبح أصحاب الورش في حاجة الى صناع ، ولا السادة في حاجة الى خدم » . وها نحن أولاء في هذا الوضع ، هكذا يقولون . وهذا الرجل الفاسد يعرف تماما ما يعمل ، حين يؤلف كتبه في الفلك لا باللاتينية ، بل بلهجة بائعات السمك وتجار الأقمشة .

البابا : هذه قلة ذوق منه . سأحدثه في هذا .

كبير محكمة التفتيش : انه يهيج البعض ، ويغرى البعض الآخر . والمدن التجارية شمالى ايطاليا تلح كل يوم في طلب المزيد من الخرائط السماوية التى رسمها السيد جاليليو للاستعانة بها في الملاحة على سفنها . ولابد من التسليم لهم بهذا ، لأن في ذلك منافع مادية ومصالح.

البابا : لكن هذه الخرائط السماوية قائمة على أساس أقواله المبتدعة ، اذ فيها الكلام عن حركات الكواكب التى نعرفها ، والتى لايمكن أن تحدث لو رفضنا نظريته . فليس من الممكن القول ببطلان النظرية والابقاء مع ذلك على الخرائط .

كبير

محكمة التفتيش : ولم لا ؟ لن نستطيع تجنب ذلك .

البابـــا : دبيب الأقدام يزعجني . واعذرني . اذا كنـــت لا أملك الا الانتباه اليه .

كبير

محكمة التفتيش : انه ربمـــا يعبر لك خيرا مما أستطيع ، أيهـــا البابا الأقدس . وهل يعود كل هؤلاء الناس أدراجهم والشك في قلوبهم ؟

البابـــا : لكن هذا الرجل هو أعظم عالم طبيعة في عصرنا ، وهو نور ايطاليا ، وليس مجرد عقل مختل . ولـــه أصدقاء . فكر في بلاط فرنسا . فكر في بلاط فينا . انهم سينعتون الكنيسة المقدسة بأنها حمأة من الأفكار البالية المتعفنة . انى لن أسمح لأحد أن يمسّه .

كبير

محكمة التفتيش : عملياً لن نكون في حاجة معه الى أن ندفع الأمـــور شوطا طويلا . ذلك أنـــه انسان من لحـــم ودم ، وسيستسلم بسهولة .

البابـــا : انه أمهر خبير باللذات عرفته بين الناس . التفكير هو في نظره لذة جسدية . وأمام خمرة معتقـــة ، أو فكرة جديدة تراه عاجزا عن الرفض . ومـــن ناحية أخرى ، لا أريد إدانة أية وقائع علميـــة ، ولا اطلاق شعارات مثل : « هنا أنصار الكنيسة ! » و « هناك أنصار العقل ! » لقد سمحت له بنشر

كتابه على شرط أن يذكر في خاتمته أن الكلمة الأخيرة ليست للعلم ، بل للايمان . وقد وفي الرجل بوعده .

كبير

محكمة التفتيش : لكن على أي نحو ؟ ان كتابه يعرض مناقشة بين مغفل ، يؤيد طبعا آراء أرسطو ، وبين رجل ذكيّ ، يؤيد طبعا آراء السيد جاليليو ، والملاحظة الختامية ، أيها البابا الأقدس ، من الذى نطق بها ؟

البابا : ماذا وجدت أيضا ؟ ومن الذى ينطق بالخاتمة ؟

كبير

محكمة التفتيش : ليس الرجل الذكيّ .

البابا : هذه وقاحة . أنا معك في هذا . لكن دبيب الأقدام في الدهاليز لا يحتمل . هل العالم كله قد جاء ؟

كبير

محكمة التفتيش : ليس العالم كله ، ولكن أفضل من فيه .

(صمت . البابا يلبس الآن كل زينة)

البابا : أقصى ما يصل اليه الأمر هو أن تُرُوه آلات التعذيب .

كبير

محكمة التفتيش : هذا يكفي ، يا قداسة البابا . فان السيد جاليليو يفهم جيدا في أمور الآلات .

(١٣)

(٢٣ يونيو سنة ١٦٣٣ . جالليو ، أمام محكمة التفتيش ، يعلن تبرؤه من نظريته في حركة الأرض

كان يوما عاصفا من شهر يُنْيو
كان يوما حافلا عندى وعندك
خرج العقل من الظلمة ، لكن
ظل طول اليوم عند العتبه

روما . قصر سفير فيرنتسه . تلاميذ جالليو ينتظرون الأخبار . الراهب الشاب وفدرتسونى يلعبان لعبة الشطرنج الجديدة ، ذات التحركات الواسعة . وفي ركن ، ركعت فرجينيا وهى تنشد دعاء « السلام عليك يا مريم ! »)

الراهب الشاب : البابا لم يستقبله . المناقشات العلمية انتهت .

فدرتسونى : كان أمله الأخير . هذا صحيح ، فقد قال له منذ سنوات في روما حينما كان لايزال اسمه الكردينال بربرينى : نحن في حاجة اليك . والآن استولوا عليه .

اندريا : سيقتلونه . ولن تتم « الاقوال » Discorsi

فدرتسونى : (وهو ينظر اليه خلسة) : أتعتقد ذلك ؟

اندريا : لأنه لن يتبرأ من مذهبه أبدا .

(صمـــت)

الراهب الشاب : في الليل ، حين يتعذر النوم ، يجتر الانسان أفكارا لافائدة منها . فى الليلة الماضية مثلا ، لم أكُفّ عن القول لنفسى : لم يكن عليه أبدا أن يغادر جمهورية البندقية .

اندريـــا : هناك لم يكن يستطيع أن يؤلف كتابه .

فدرتســـونى : وفي فيرنتسه لم يستطع نشره .

(صمـــت)

الراهب الشاب : وكنت أسائل نفسى أيضا هل سيترك ون لهحصاته الصغيرة التى يحملها دائما في جيبه ، وكأنها مسنّ .

فدرتســـونى : للذهاب الى حيث يقتادونه يلبس المـــرء ملابس بدون جيوب .

اندريـــا : (صائحا) هذا ، لن يجرءوا عليه . وحتّى لو فعلوا هذا معه ، فإنه لن يتبرأ من نظريته . « من لا يعرف الحقيقة ، هو مغفل فحسب . لكن من يعرفهـــا ويصفها بأنها كذب ، هذا مجرم » .

فدرتســـونى : لا أظن ذلك ، ولن أطيق العيش لو فعل ذلك ، لكن الآخرين عندهم القدرة على ذلك .

اندريـــا : لا يحصل المرء بالقوة على كل شيء .

فدرتســـونى : ربما .

الراهب الشاب : (بصوت هامس) صار له في السجن ثـــلاثـــة وعشرون يومـــا . وبالأمس كان الاستجـــواب

الأساسى ، واليوم تنعقد الجلسة . (وقد أدرك أن اندريا يُرْعِي السمع ، يرفع صوته) : لما زرته هنا بعد المرسوم بيومين كنا جالسين في هذا الركن هناك ، وأرانى تمثال برياب الصغير في الحديقة ، بالقرب من المزولة ، ويمكن أن تراه من هنـــا ، وشبَّه عمله بقصيدة لهوراس ، ولا يمكن اجراء أى تغيير فيهـــا . وكان يتحـــدث عن احساسه بالجمال ، الذى دفعه إلى البحث عن الحقيقـــة . وروى البيت « في الشتاء كما في الصيف ، مـــن قريب أو بعيد ، طالما كنت حيا وبعد ذلك » . وكان يفكر في « الحقيقة » .

اندريـــا : (مخاطبا الراهب الشاب) هل رويت له كيـــف كان في الكلية الرومانية بينما كانوا يمتحنـــون ويفحصون أنبوبته ؟ احكِ ! (الراهب الشاب يهز رأسه) . تماما كالعادة : كان يضع يـــديه على ركبتيه ، وبطنه مقلوب ، ويقول : « أرجوكم ياسادة شيئا من الإدراك السليم ! »

(يقلد جاليلو ، وهو يضحك . صمت . مشـــيرا إلى فرجينيا) : انها تصلى من أجل أن يتبرأ مـــن نظريته .

فدرتســـونى : دعها ! ان عقلها قد تشوش منذ أن تكلموا معها . لقد أحضروا متلقى اعترافها من فيرنتسه .

(يدخل الشخص الذى شوهد في قصر الـــدوق الكبير)

الشـــخص : السيد جالليو سيكون هنا بعد قليل . وربما سيكون في حاجة إلى سرير .

فدرتســـونى : أطلقوا سراحه ؟

الشـــخص : ينتظرون إلى الساعة الخامسة ، أثناء جلسة محكمة التفتيش ، حين يعلن السيد جـــالليو تبروءه مـــن نظريته . وحينئذ سيقرع ناقوس القديس مـــرقس الكبير ، وسيقرأ اعلان التبروء علنا على الناس .

اندريـــا : لا أعتقد ذلك .

الشـــخص : ونظرا إلى التجمهرات في الشوارع ، فان الســـيد جالليو سيقتاد إلى القصر من الباب الخلفى ، باب الحديقة .

اندريـــا : (يرفع صوته فجأة) القمر شبيه بالأرض ، ولا يضىء بنفسه . وكذلك الزهـرة لا تضىء بنفسها : انها مثل الأرض وتنتقل حول الشمس . وهنـــاك أربعة أقمار تدور حول كوكب المشترى ، وارتفاع هذا هو ارتفاع النجوم الثوابت ، وليس مربوطا بأى غلاف . والشمس هى مركز العالم ، وتظـــل ساكنة في مكانها ، لا تتحرك ، والأرض ليست مركز العالم ، وهى تتحرك . وهو الذى بين لنـــا ذلك .

الراهب الشاب : وعبثا يستعملون القوة ، فما شوهد لا يمكن جعله لم يشاهد .

فدرتســـونى : (وهو ينظر إلى المزولة في الحديقة)الساعةالخامسة .

(فرجينيا تصلي وتدعو بحرارة أشد)

اندريـــا : كلا ، لا أستطيع احتمال الانتظار . انهم الآن يضربون الحقيقة على أم رأسها .

(يغلق أذنيه . وكذلك الراهب الشاب . لــكن الناقوس لا يدق . وبعد برهة مشغولة بتمتمــات صلوات فرجينيا ، فدرتسوني يقول «لا» برأسه . الآخرون يلقون بأيديهم) .

فدرتســوني : (بصوت لا نبرة فيه) لا شيء . مضت ثــلاث دقائق بعد الخامسة .

اندريـــا : انه يقاوم .

الراهب الشاب : انه لن يتبرأ من نظريته .

فدرتســوني : لا . يالنا من سُعَداء !

(يتعانقون ، وهم في أوج الفرحة)

اندريـــا : وهكذا ، لا تستطيــع القوة أن تنال كل شيء . وليست قادرة على كل شيء . واذن يمكن هزيمة الحماقة ، الحماقة ليست بمأمن من الطعن ! وإذن الموت لا يخيف الإنسان !

فدرتســوني : الآن حقّ القولُ بأن عصر المعرفة قد بدأ ، في هذه الساعة قد ابتدأ . تصور ، لو أنه تبرأ .

الراهب الشاب : لم أقل ذلك ، لكني كنت شديد القلق . كنت رجُلا قليل الإيمان .

اندريـــا : أما أنا ، فكنت أعلم .

فدرتسوني : كما لو كان الليل قد عاد في الضحى ، هكذا كان سيكون شعورنا .

اندريا : كما لو كان الجبل قد قال : أنا نَهْرٌ .

الراهب الشاب : (جاثيا وهو يبكي) الحمد والشكر لك ياالهي .

اندريا : لكن تغير الآن كل شيء . رفع الانسان رأسه ، ومخلوق الآلام يقول : « أريد أن أحيا » . هذا ما نكسبه لو أن انسانا واحدا بقي واقفا وقال : لا .

(في هذه اللحظة يرن صوت ناقوس القديس مرقص بنبرة حادة . الكل مستمرون في أماكنهم)

فرجينيا : (وقد نهضت) ناقوس القديس مرقص ! لن يدان .

(من الشارع يصّاعد صوت المنادى العام ، وهو يقرأ اعلان جاليليو لتبروءه من نظريته) :

صوت المنادى : « أنا جاليليو جاليلاى ، أستاذ الرياضيات والطبيعة في فيرنتسه ، أعلن تبرُّئي مما علّمته ، وهو أن الشمس هى مركز العالم ، ولا تتحرك من مكانها ، وأن الأرض ليست المركز وأنها تتحرك . أتبرأ من ، وأكره ، وألعن ، بقلب مخلص وإيمان لا مراء فيه ، كلّ هذه الأخطاء والبدع وكذلك كل خطأ آخر وكل رأى آخر يتعارض مع تعاليم الكنيسة ، أمنا ، المقدسة » .

(المسرح يأخذ في الاظلام. وحين يضاء من جديد، لايزال الناقوس يقرع، ثم يتوقف، فرجينيا خرجت وتلاميذ جالليو لايزالون هناك)

فدرتسوني : لم يدفع لك شيئا ذا بال نظير العمل الذى قمت به. ولم يكن في مقدورك أن تشترى لباسا، ولا أن تنشر شيئا باسمك. وكل هذا قد تحملته لأنه كان « عملا في سبيل العلم ».

اندريا : (بصوت عال جدا) ويل للأمة التى لا أبطال فيها!

(يدخل جالليو، وقد تغير تماما، لا يكاد المرء يتعرفه بسبب القضية. سمع الجملة التى قالها اندريا. وبقى عند وصيد الباب بضع لحظات، منتظرا أن يحيوه. لكن لا أحد يفعل ذلك، والتلاميذ يبتعدون عنه، حينئذ يتقدم بخطأ بطيئة، مترددا بسبب ضعف بصره، نحو مقدمة المسرح، حيث يجد كرسيا مستديرا فيجلس عليه).

اندريا : لا أستطيع بعدُ أن أراه. فليرحل!

فدرتسونى : هدّىء نفسك.

اندريا : ياخابية النبيذ! يا مفترس الحلزون! أنقذت جلدك العزيز؟ (يجلس) أشعر بغثيان.

جالليو : (بهدوء) أعطوه كوب ماء!

(الراهب الشاب يذهب ليحضر لاندريا كوب ماء من الخارج. الآخرون لا يهتمون بجالليو، وجالليو

يستمع دون أن يتحرك من كرسيه المستدير . من بعيد يسمع مرة أخرى صوت المنادى العام)

اندريـــا : الآن أستطيع المشى ، لو ساعدتمونى قليلا .

(يقتادونه نحو الباب . في هذه اللحظة جالليـــو يتكلم) :

جالليـــو : لا ! الويل للأمة التي في حاجة إلى أبطال .

نص يقرأ أمام الستارة :

« أليس من الواضح أن الفـَرس الذى يسقط من ارتفاع ثـــلاث أذرع أو أربـــع يجوز أن تنكسر عظامـــه ، بينما الكلب لا يصاب بـــأى أذى ، وكذلك القـــط الـــذى يسقط من ارتفـــاع ثمـــانى أذرع ، أو عشر أو الزنبور الذى يسقط من ارتفاع برج ، أو النملة إذا سقطت من القمر ؟ وكما أن الحيوانات الضعيفة القامة أقوى وأشد نسبيا من الحيوانات البدينة ، كذلك النباتات الصغيرة أقـــدر عـــلى المقاومة : فإن سنديانة طولها مائتا ذراع لا يمكنها أن تنمّى فروعهـــا بنفس النسبة التى بها تفعل السنديانة الصغيرة ، والطبيعة لا يمكنهـــا أن تعطى الفرس قامة عشرين فرسا ، كما لا يمكنها أن تعطى المارد قامة عشرة رجال ، إلا إذا عدلت نسب جميع الأعضاء ، وخصوصـــا العظام ، بحيث يكون حجمها أكبر من الحجم الذى تتطلبـــه نســـبة الأبعاد . والرأى الشائع ، الذى يعزو إلى الآلات الكبرى نفس درجة المقاومة التى يعزوها إلى الآلات الصغرى ، هو رأىٌ بَيِّنُ البطلان » .

جالليو ، من كتاب : « الأقوال » Discorsi

(١٤)

(سنة ١٦٣٣ – ١٦٤٢) .

جاليو جاليلاى يعيش في بيت ريفى بالقرب من فيرنتسه ، وهو سجين محاكم التفتيش حتى وفاته . كتاب « الأقوال » ،

من عام ١٦٣٣ حتى عام ١٦٤٢

بقى جاليو سجين الكنيسة حتى وفاته

قاعة كبرى ، وفيها منضدة ، وكرسى من الجلد وكرة أرضية . جاليو ، وقد صار شيخا هرما ، نصف أعمى ، يقوم بتجارب دقيقة بواسطة كرة من الخشب ، ومجرى من الخشب منحنى الشكل. وفي الدهليز ، يجلس راهب يراقبه . يقرع الباب . الراهب يغدو لفتح الباب ويُدْخِل فلاحا يحمل أوزتين منتوفتى الريش . فرجينيا ، وقد صار عمرها الآن حوالى الأربعين سنة ، تخرج من المطبخ) .

الفلاح : كلفونى بأن أحمل اليك هذا .

فرجينيا : من الذى أرسل بها ، أنا لم أوص على إوزّ .

الفلاح : قالوا لى ان الذى بعث بها عابر طريق .

(يخرج . فرجينيا تتطلع في الاوزتين بدهشة .

الراهب يأخذهما من يديها ويفحصهما بارتيـــاب. ثم ، وقد اطمأن ، يعيدهما اليها ، وهي تحملهما الى جاليليو في القاعة الكبرى وهى تحملهما مـــن عنقيهما) .

فرجينيـــا : عابر طريق قد أتى بهذه الهدية .

جاليلـــو : ما هـــى ؟

فرجينيـــا : ألا تراهما فعـــلا ؟

جاليلـــو : لا . (يقترب) اوز . هل معهما بطاقة تحمل اسما؟

فرجينيـــا : لا .

جاليلـــو : (وقد أخذ منها احدى الاوزتين) : ثقيلة . عندى شهية لقطعة منها .

فرجينيـــا : ليس من الممكن أن تكون جائعا . اذ تناولـــت عشاءك منذ قليل . وماذا في عينيك بعد ؟ كان من المفروض أن تراهما دون أن تتحرك من المنضدة .

جاليلـــو : أنت في الظـــلام .

فرجينيـــا : أنا لست في الظـــلام .

(تأخذ الاوزتين)

جاليلـــو : ضعى فيهما صعتراً وتفاحا .

فرجينيـــا : (مخاطبة الراهب) : لابد أن يذهب أحد لاحضار الطبيب ، فان أبى لم يستطع رؤية الاوزتين وهـــو عند منضدته .

الراهـــب : سأطلب أولا اذنا من مونسنيور كربولا . انه يريد أن يكتب بنفسه .

فرجينيـــا : لا . لقد أملى عليّ كتابه ، وأنت تعرف ذلك جيدا. وقد استلمت الصفحتين ١٣١ ، ١٣٢ ، وهمـــا الأخيرتان في الكتاب .

الراهـــب : انه ثعلب عجـــوز .

فرجينيـــا : هو لا يفعل شيئا مخالفا للتعليمات . وتوبته نصوح مخلصة ، وأنا متنبهة له . (تعطى الراهب الاوزتين الراهب)قل لهم في المطبخ يشووا الكبدة ، مع تفاحة وبصلة . (تعود الى القاعة الكبرى .) والآن سنوجه اهتمامنا الى عيوننا ، ونرتب كرتنا ونملى جـــزءا صغيرا من رسالتنا الأسبوعية الى سيادة كبـــير الأساقفـــة .

جاليلـــو : لست أشعر بأنني على مايرام . الأفضل ان تقرأى عليّ بعضا من شعر هوراس .

فرجينيـــا : في الأسبوع الماضى قال لى المونسنيور كربـــولا – ونحن ندين له بالكثير ، مثـــلا الخضروات التى أرسلها الينا منذ مدة – قال ان رئيس الأساقفـــة يسأله في كل مرة هل أعجبتك المسائل والاقتباسات التى بعث بها اليك ؟

(تجلس لتكتب تحت املائه)

جاليلـــو : أين وصلنـــا ؟

فرجينيـــا : القسم الرابع : « وفيما يتعلق بموقف الكنيســـة

أمنا المقدسة ، من الاضطراب الذى حدث في ترسانة البندقية ، أؤيد كل التأييد الموقف الذى اتخذه الكردينال اسبولتى تجاه تمرد الحبالين . . »

جاللينو : هذا هو . (يملى) : « أؤيد كل التأييد الموقف الذى اتخذه الكردينال اسبولتى Spo etti تجاه تمرد الحبالين ، وهو أن الأفضل توزيع الحساء عليهم باسم المحبة المسيحية ، من زيادة أثمان حبال السفن والحبال الخاصة بالنواقيس . خصوصاً أن الحكمة تقضى بتقوية الايمان في نفوسهم ، لا الشراهة والجشع . لقد قال القديس بولس : « المحبة قادرة على كل شئ . . » فما رأيك في هذا ؟

فرجينيا : هذا رائع ، يا أبى .

جالليو : ألا تعتقدين أنهم قد يتنسمون في هذا شيئا من التهكم ؟

فرجينيا : لا . سيسر المطران كل السرور . انه يحب الأشياء الملموسة .

جالليو : أنت قادرة على الحكم . وماذا بعد هذا ؟

فرجينيا : حكمة رائعة : « حينما أكون ضعيفا ، هنالك أكون قويا »

جالليو : لا شرح .

فرجينيا : لماذا ؟

جالليو : وماذا بعد هذا ؟

فرجينيا : « حتّى نستطيع أن ندرك أن محبة المسيح تفوق كل معرفة » . (الرسالة الى أهل أفسوس، الاصحاح الثالث ، الآية ١٩ .)

جاليليو : وأشكر لنيافتك بوجه خاص اقتباسك الرائع من الرسالة الى أهل أفسوس . وقد هزتنى الى أن أجد في كتاب « الاقتداء بالمسيح » وهو كتاب لامثيل له ، الحكمة التالية (يقولها عن ظهر قلب) : « من يَبْلُغْهُ الكلام الأزلى لا يَضَعْ بَعْدُ أسئلة لاجدوى منها » . هل في استطاعتى بهذه المناسبة ، أن أتحدث عن حالتى الخاصة ؟ انهم لايزالون يأخذون علىّ أننى سبق لى أن ألفت كتابا في الأجرام السماوية بلغة الشارع . ولم أكن أقصد من هذا أبدا أن أقترح أو أؤيد أن تكتب الكتب المتعلقة بموضوعات أهم بآلاف المرات ، مثل موضوعات اللاهوت ، بلغة صانعى المكرونة . وحينما يحتجون بأن المبرر لاستخدام اللغة اللاتينية في الطقوس والشعائر الدينية هو كون هذه اللغة لغة عالمية ، مما يمكّن كل الشعوب من فهم القداس ، فانه يبدو لى أن هذه الحجة ليست وجيهة تماما ، لأن الساخرين ، وهم لا يعوزهم القول ، يستطيعون حينئذ أن يعترضوا قائلين ان النص لايفهمه أى شعب في هذه الحالة . أما عن نفسى ، فيطيب لى أن أتخلى ، فيما يتعلق بالأسرار المقدسة ،

عن الوضوح المريب . ولاتينية منبر الوعظ ، وهى تحمى الحقائق الازلية للكنيسة من استطلاع الجهلاء ، تبعث الثقة لو كان أبناء الطبقات الدنيـــا ، حين يصيرون قساوسة ، ينطقونها بنبرات اللهجـــــة المحلية . لا ، اشطبى هذا .

فرجينيـــا : كل هذا الموضع ؟

جاليلـــو : ما يأتى بعد : « صانعى المكرونة » .

(يقرع الباب . فرجينيا تمضى الى الدهليز . الراهب يفتح . يدخل اندريا سارتى ، وقد صار الآن رجلا يناهز الاربعين) .

اندريـــا : مساء الخير . أنا على وشك مغادرة ايطاليا لأتابـــع أبحاثى العلمية في هولنده ، وقد طلبوا الى أن أزوره في اثناء مرورى لأزودهم بأخباره .

فرجينيـــا : لست أدرى هل يريد أن يراك . انك لم تحضر أبدا .

اندريـــا : اسأليـــه .

(جاليليو قد تعرف الصوت . يبقى جالسا ، بغـــير حراك . فرجينيا تأتى اليه)

جاليلـــو : أليس هو اندريا ؟

فرجينيـــا : نعم . هل ينبغى طرده ؟

جاليلـــو : (بعد لحظة صمت) : أدخليه .

(فرجينيا تُدْخِل اندريا)

فرجينيا : (تخاطب الراهب) : انه ليس خطرا . كان تلميذا له . واليوم صار خصما له .

جاليليو : يا فرجينيا ، اتركيني وحدى معه .

فرجينيا : أريد أن أسمع مايقوله .

(تجلس)

اندريا : (ببرود) كيف حالك ؟

جاليليو : اقترب . ماذا جرى لك ؟ حدثني عن شغلك . قيل لى انه ينصبّ على علم المائيات .

اندريا : كلفني فابرتسيوس من امستردام بالسؤال عن صحتك .

(صمت)

جاليليو : صحتى جيدة . وأنا محاط بالعناية والاهتمام .

اندريا : سأكون سعيدا حين أخبرهم بأنك في صحة جيدة

جاليليو : فابرتسيوس سيكون سعيدا حين يعلم ذلك . وتستطيع أيضا أن تخبره أننى أعيش في راحة مقبولة . فبفضل عمق توبتى استطعت أن أظفر برضا ورعاية المشرفين علىّ ، حتى انهم أذنوا لى بمواصلة نشاطى العلمى ، في حدود معقولة وتحت مراقبة الكنيسة .

اندريا : هكذا اذن ! ونحن أيضا علمنا أن الكنيسة راضية عنك . خضوعك التام أنتج أثره . وبحسب ما يؤكدون ، فان المشرفين عليك قد لاحظوا

برضا بالغ أنه منذ خضوعك لم ينشر في ايطاليا كتاب واحد يؤيد الأفكار الجديدة .

جاليلو : (وهو يصغي باهتمام) : لكن مع الأسف توجد بلاد تفلت من حماية الكنيسة الساهرة . وأخشى أن تستمر النظريات المدانة في أن تجد في تلك البلاد من يرعونها ويسندونها .

اندريا : في تلك الدول أيضا حدث رد فعل ، فرحت به الكنيسة ، وكان ذلك نتيجة لتبّرئك من نظرياتك .

جاليلو : صحيح ؟(صمت) هل لديك أخبار عن ديكارت؟ وهل لديك أخبار عن باريس ؟

اندريا : نعم . لما علم ديكارت بتبرئك من نظرياتك ، بادر فأخفى رسالة عن الضوء ، خبأها في درج .

(صمت طويل)

جاليلو : أنا مهموم بشأن بعض العلماء من أصدقائى الذين جررتهم في طريق الضلال . هل بعد تبرئى عادوا الى آراء أكثر صوابا ؟

اندريا : عزمت على الذهاب الى هولنده ، كى أستطيع مواصلة أبحاثى . لا يعطى التلميذ اذنا لم يحصل عليه الأستاذ .

جاليلو : فاهم .

اندريا : عاد فدرتسونى الى صقل العدسات ، في محل لا أدرى مكانه في ميلانو .

جاليلو : (ضاحكا) : انه لا يعرف اللاتينية .

(صمت)

اندريا : وفولجنسيو ، راهبنا الصغير ، تخلى عن البحث وعاد الى حظيرة الكنيسة .

جاليلو : هذا حسن . (صمت) المشرفون على يحسبون أنى على وشك الشفاء الروحى . وأنا أتقدم فيه أكثر مما كان يتوقع .

اندريا : آه !

فرجينيا : الحمد لله !

جاليلو : (بلهجة خشنة) : اذهبي وانظرى ماذا حدث للاوز ، يا فرجينيا .

(فرجينيا تخرج غاضبة . الراهب يكلمها وهى مارة)

الراهب : هذا الشخص لا يعجبنى .

فرجينيا : انه ليس خطرا . وأنت قد سمعت بنفسك . (وهى ذاهبة) وصلنا جبن ماعز طازج .

(الراهب يخرج معها)

اندريا : سأسافر طول الليل ، وذلك لأعبر الحدود غداً عند الفجر . هل أستطيع الرحيل ؟

جاليلو : لست أدرى لماذا جئت ، ياسارتى . ألتشيع الاضطراب في نفسى ؟ انى أعيش بتحوط ، وأفكر بتحوط منذ أن جئت إلى هنا وكفانى ما وقعت فيه من نكسات .

اندريـــا : لا أريد أن أعكر عليك هدوءك ، يا سيد جالليو .

جاللــيو : بربريني سمّى هذا نوعا من الجرب . وهو نفسه ليس بريئا منه تماما . عدتُ الى الكتابة .

اندريـــا : آه ؟

جاللــيو : فرغت من كتاب : « الأقوال » .

اندريـــا : وكيف ؟ المحاورات المتعلقة بفرعى المعرفة الجديدين : الميكانيكا ، وسقوط الأجسام ؟ هل هي هنا ؟

جاللــيو : أوه ، انهم يعطونني ما أكتب به . والمشرفون علىّ ليسوا بلهاء . انهم يعلمون أن الرذائل المتأصلة لا تمحى في يوم وليلة . وهم يحمونني من النتائج الوخيمة ، وذلك بأخذ الصفحات كلما فرغت منها ، وحفظها في مكان أمين .

اندريـــا : يا الهـى !

جاللــيو : هل قلت شيئا ؟

اندريـــا : يا الهـى !

جاللــيو : هل قلت شيئا ؟

ندريـــا : انهم يجعلونك تحرث في البحر . يعطونك ما تكتب به ، لكن من أجل أن يخرسوك . كيف يتسنى لك ان تكتب أوليس أمامك من هدف غير هذا ؟

جاللــيو : أوه ، أنا أسير عاداتى !

اندريـــا : كتاب « الأقوال » بين أيدى الرهبان ! بينما

أمستردام ولندن وبراج في أشد الحاجة اليه !

جاليليـو : انني من هنا أسمع فابرتسيوس يبكى ، مطالبا بحقه في رطل اللحم ، وهو آمن في هولنده .

اندريـا : معنى هذا ضياع علمين جديدين !

جاليليـو : انه هو وبعض الآخرين سيهتزون جزعا حينما يعلمون أنني خاطرت بالبقايا الضئيلة الباقية من راحتى من أجل عمل نسخة منه، من وراءظهرى، مستنفدا آخر بريق من نور الليالى المضيئة في هذه الأشهر الأخيرة .

اندريـا : عندك نسخة ؟

جاليليـو : غرورى قد منعنى حتى الآن من تدميرها .

اندريـا : وأين هى ؟

جاليليـو : « اذا تسببت عينك في الخطيئة فاقلعها » . أيا من كان مؤلف هذه العبارة ، فانه كان أعلم منى بأمور الراحة العقلية . وأظن أنه من الجنون المطبق أن أسلمها الى أيد أخرى . ومادمت أنا قد كنت عاجزا عن الكف عن العمل العلمى ، فلا بأس عليك أنت من الانتفاع بها . النسخة مخبأة في الكرة الأرضية . فاذا كنت تنوى حملها الى هولنده فعليك أن تتحمل وحدك كل المسئولية . وعليك أن تقول حينئذ انك اشتريتها من شخص اطلع على النسخة الأصلية في الديوان المقدس .

(يذهب اندريا لاستخراج النسخة من الكـــرة الارضية) .

اندريـــا : كتاب « الاقوال » (يتصفح المخطوط ، ويقــرأ بصوت عال :) « غرضي هو أن أنشئ علمـــا جديدا كل الجدة ، يتناول موضوعا قديما جــدا ، هو الحركة . وقد اكتشفت – بفضل التجارب – بعض خواصها التي تستحق أن تعرف » .

جاليـــو : كان لابد من تمضية وقتي في شيء .

اندريـــا : سيكون أساسا لفزياء جديدة .

جاليـــو : خبئه في ثيابك .

اندريـــا : ونحن الذين ظننا أنك خُنْتَ ! وأعلى الأصــوات هجوما عليك كان صوتي .

جاليـــو : كان ذلك أمرا طبيعيا . لقد علمتك العلم ، غــير أني أنكرت الحقيقة .

اندريـــا : هذا يغير كل شيء . كل شيء تماما .

جاليـــو : صحيح ؟

اندريـــا : كنت . . تخفي الحقيقة . لكن عن العدو . في ميدان الأخلاق ، وفي سائر الميادين ، ، كنت أنـــت متقدماً علينا بعدة قرون .

جاليـــو : وَضّح هذا ، يا اندريا .

اندريـــا : كنا ، مع رجـــل الشارع ، نقول : « سيموت ولكن لن يتبرأ من مذهبه » . ثم جئت وقلـــت :

«تبرأت ، ولكني بقيت حيـاً » . قلنـا : « يداه قذرتان » ، لكنك أحببتَ : « أن تكون قذرةً أفضل من أن تكون فارغة »

جاليليو : أن تكون قذرة أفضلُ من أن تكون فارغة . هذا ينبئ عن روح عملية . وهذا يشبه ميولى . العلـم الجديد يقتضى أخلاقا جديدة .

اندريا : كان من الواجب ان أكون أول من يعرف هذا . لقد كان عمرى الحادية عشرة لمـا أن بعثتَ إلى مجلس شيوخ جمهورية البندقية العدسة التى اخترعها غيرك . وشاهدتك تستخرج من هذه الآلة . .نتائج خالدة . وأصدقاؤك هزوا رؤوسهم لما انحنيتأمام طفل فيرنتسه : لكن العلم كسب بذلك جمهورا . وفي ذلك الوقت أيضا كان الأبطال يثيرون فيـك الضحك . كنت تقول : « انى أنزعج من الناس الذين يتألمون » . « الشقاء ينتج عن سوء التقدير » ، « أمام العقبات أقصر طريق بين نقطتين يمكـن أن يكون الخط المنحنى » .

جاليليو : أتذكـر ذلك .

اندريا : ولما استحسنت ـ في سنة ٣٣ ـ أن تتبرأ من نقطة في مذهبك تتميز بالشعبية ، كان واجبا علىّ أن أحزر أنك ستتخلص فقط من معركة سياسية لاأمل في الأنتصار فيها ، ابتغاء جعل المهمات الحقيقيـة في العلم تتقـدم . .

جاليليو : وهذه المهمات هى . . .

اندريا : دراسة خواص الحركة ، والحركة أُمّ الماكينات ، والماكينات هى وحدها القادرة على جعل الأرض قابلة للسكنى الى الحد الذى معه يمكن الاستغناء عن السماء .

جاليليو : آه ، هكذا !

اندريا : لقد فزت بالفراغ اللازم لتأليف كتاب علمى كنت وحدك القادر على تأليفه . فلو أنك انتهيت على النار ، في هالة من نار ، لكان الآخرون هم الذين كسبوا .

جاليليو : وهم الذين كسبوا . ولا يوجد عمل علمى يستطيع انسان بمفرده القيام به .

اندريا : اذن لماذا تبرأت من مذهبك ؟

جاليليو : تبرأت لأنى كنت أخاف من الالآم البدنية .

اندريا : ليس هذا صحيحا .

جاليليو : لقد أرونى أدوات التعذيب .

اندريا : لم يكن ذلك منك اذن نتيجة حسابٍ قَدّرته ؟

جاليليو : لا .

اندريا : (بصوت قوىّ) : ليس للعلم غير قانون واحد ، هو : الاسهام في العلم .

جاليليو : واسهامى قد قدّمته . فمرحبا بك في النهر ، أى أخى في العلم ، وابن عمى في الخيانة . أتأكل

السمك ؟ عندى سمك . والرائحة الكريهة لاتنبعث من سمكى ، بل منّى أنا . أنا أبيع بأبخس الأثمان، وأنت المشترى . من يقاوم عندما يرى الكتاب، هذه السلعة ؟ سيتدفق الماء في فمك ويغرق اللعنات. وقحبة بابل الكبرى ، البقرة القاتلة ذات الغلالة القرمزية ، تفتح ساقيها ، واذا بكل شيء قد تحول وتغيرّ . ليتقدس اسم جماعتنا المحتالة ، غاسلة العار ، والخائفة من الموت .

اندريا : الخوف من الموت أمر انسانى . وضروب الضعف الانسانى لاشأن لها بالعلم .

جاليلو : هذا غير صحيح ! يا عزيزى سارتى ، حتّى في الحالة التى أنا فيها ، أشعر بأنى لا أزال قادرا على أن أبين لك بايجاز ماله شأن وماليس له شأن بهذا العالم الذى أسلمت أنت اليه روحك وبدنك . (لحظة صمت قصيرة . جاليلو يضع يديه متقاطعتين على بطنه متخذا موقف الأستاذ) . في ساعات فراغى ، وما أكثرها ، راجعت حالتى من أولها الى آخرها ، وفكّرت في الحكم الذى سيطلقه عليها العالم العلمى الذى أعد نفسى لم أعد أنتسب اليه . وحتّى تاجر الأقمشة مضطر ليس فقط أن يشترى بثمن رخيص ويبيع بثمن غال، بل وأيضا ان يعمل على أن تستطيع تجارة الأقمشة أن تنمو وتتسع دون عوائق . ويبدو لى أن ممارسة العلم تتطلب لهذا الغرض شجاعة خاصة . ان العلم يعمل بواسطة معرفة يتم الحصول عليها بالشك .

والعلم وهو يزود الجميع بمعرفة عن جميع الاشياء يهدف الى أن يجعل من الجميع « شكاكا » . لكن الغالبية العظمى من الناس قد أبقتهم الأمراء، وكبار الملاك ، ورجال الدين في ضباب خدّاع من الخرافات والعبارات العتيقة التي تستر مؤامراتهم. وشقاء الغالبية قديم قدم الجبال ، ومنبر الكنيسة وكرسي الجامعة يعلنان أن هذا الشقاء لا يمكن أن يزول ، شأنه شأن الجبال . وأسلوبنا الجديد في . الشك بعث الحماسة في نفوس الجمهرة العظمى فانتزعوا من أيدينا التلسكوب(المقراب) وصوّبوه الى معذبيهم . والناس الأنانيون العنيفون ، الذين تملكوا ثمار العلم بشراهة ، شعروا في نفس الوقت بنظرة العلم الباردة مصوبة نحو شقاء جاثم منذ آلاف السنين ، لكنه مصطنع ، يمكن ازالته بازالتهم هم . فحاصرونا بالتهديدات والمناورات المفسدة ، التي لاتستطيع النفوس الضعيفة مقاومة اغرائها . لكن هل نستطيع أن نتخلى عن الجماهير ونبقى مع ذلك علماء ؟ ان حركات الأجرام السماوية صار من السهل ادراكها ، أما بالنسبة الى الشعوب فحركات سادتها بقي من المستحيل تقديرها. ولقد كسبنا الكفاح من أجل قياس السماء ، وذلك بفضل الشك ، ولكن كفاح ربات البيوت في ايطاليا من أجل قدح من اللبن سيضيع هباء باستمرار ، وذلك بسبب سذاجة الاعتقاد . والعلم، ياسارتي ، يخوض كلا الكفاحين . والانسانية وهي

تتعثر في هذا السراب من الخرافـــات والعبارات العتيقة منذ آلاف السنين، ومن الجهل بحيث لا تنمى طاقاتها الخاصة تنمية عميقة، ــ هذه الانسانية لن لن تكون قادرة على تنمية طاقـــات الطبيعة التى اكتشفتموها . من أجل ماذا تعملون أنتم ؟ أعتقـــد أن الغرض الوحيد من العلم هو العمل على تخفيف عبء الحياة الانسانية . لو اقتصر العلماء ــ بتخويف من السادة الأنانيين ــ على تكديس العلم من أجل العلم، فسيكون من الممكن تشويه العلم، وآلاتكم الجديدة لن تفيد الا في خلق متاعب جديدة . وربما استطعتم مع الزمن أن تكتشفوا كل ما يمكـــــن اكتشافه ، ومع ذلك فان تقدمكم لن يكون غـــير مواصلة للسير ، تاركين الانسانية وراء ظهوركـــم بمسافات بعيدة . والانقطاع بينكم وبينها يمكـــن ذات يوم أن يصير من العمق بحيث تكون الصيحة أمام انتصار جديد جوابها هو صيحة فـــــزع . بوصفى عالما كانت لدىّ امكانية فريدة . عشت في العصر الذى فيه وصل علم الفلك الى الساحـــات العامة . وفي هذه الظروف الخاصة ، كان ثبـــات انسان واحد ربما أحدث اضطرابات هائلة . لو أننى أنا قاومت ، لأمكن علماء الطبيعة أن يضعوا شيئا شبيها بقَسَم أبقراط ، قَسَم الأطباء ، أعـــنى التعهد القاطع بعدم استخدام العلم الا في خير بنى الانسان ! لكن على حسب ما تجرى عليه الأحوال الآن ، فان كل ما يمكن أن نرجوه هو الحصـــول

على جنس من الأقزام المخترعين ، يمكن أن ندفع لهم الأموال لعمل أى شئ . وفضـــلا عن ذلك ، يا سارتى ، صرت أعتقد اعتقادا جازما أننى لم أشعر أبدا بأننى في خطر حقيقى . وطول عدة ســنوات كنت قويا قوة السلطة . ووضعت علمى بين يدى أساتذة كي يفيدوا أو لايفيدوا منه ، أو ليسيئــوا استخدامه ، بحسب ما يخدم أهدافهم . (دخلــت فرجينيا ، حاملــة صحنا ، تتوقف .) لقد خنت واجبات مهنتى . ، وان رجلا صنع مثل صنيعــى لايمكن قبوله بعد في جماعة رجال العلم :

فرجينيـــا : لقد قُبِلْتَ في جماعة المؤمنين .

(تقترب ، وتضع الصحن على المنضدة)

جاليـــو : هذا صحيح . والآن علىّ أن أتناول الطعـــــام . (اندريا يمد اليه يده . جاليو يرى اليد ، ولكنــه لايصافحه) أنت الآن أستاذ . فهل تخاطر بمصافحة يد مثل يدى ؟ (يذهب نحو المنضدة) . عابر مــرّ من هنا وأرسل الىّ اوزتين . أنا دائما أحب أطايب الطعام .

اندريـــا : اذن لم يعد من رأيك أن عصرا جديدا قد بدأ ؟

جاليـــو : بلى ! خذ حذرك تماما وأنت تخترق ألمانيا والحقيقة تحت ثيابك .

اندريـــا : (وهو غير قادر على الرحيل) : فيما يتعلـــق بتقديرك للمؤلف الذى تحدثنا عنه ، لا أستطيع أن

أقدم اليك جوابا . لكنى لا أستطيع أن أتصور أن تحليلك القاسى هو الكلمة الاخيرة .

جاليو : شكرا ، يا سيدى .

(يبدأ في الطعام)

فرجينيا : (وهى تصطحب اندريا الى الخارج) : نحن لانحب زيارات معارفه القدماء ، لأنها تسبب له تهيجا .

(اندريا يخرج . فرجينيا تعود)

جاليو : هل لديك فكرة عمن عسى أن يكون قد بعث بالاوزتين ؟

فرجينيا : من المؤكد أنه ليس اندريا .

جاليو : ربما . كيف حال الليل ؟

فرجينيا : (وهى عند النافذة) صاف جدا .

★ ★ ★

(١٥)

(سنة ١٦٣٤ . كتاب « الأقوال » لجاليـــو يعبر الحدود الايطالية)

يا أعزائى احفظوا ذى الخاتمـــة :
عبر العلم الحدود ، بينمـــا
نحن طلاب المعـــارف
قد بقينا خلفها — أنا وهو .
فعلى نور العلوم — حافظـــوا !
من مزاياها استفيدوا ، واحذروا
سوء الاستعمال خوفا أن تصير
سَقَراً ، يُحْرقنا ، نُصْهَر فيه
كُلّنا نُصْهَر فيه أجمعين .

مدينة صغيرة على الحدود الايطالية . الصبـــاح الباكر . بالقرب من حواجز المراقبة يلعب أطفال ، واندريا ، بصحبة حوذىّ ينتظر أن يفرغ حرس الحدود من فحص أوراقه . يجلس على صنـــدوق صغير ويقرأ مخطوطة جاليو . وفي الناحية الأخرى من الحدود توجد العربة) .

الأطفال (وهم يغنّون) :
ماريّا بقميصٍ وردى
جلست ، واللهِ ، على الصخر

فتلطخ بالزبل وبالوحــل
لكن شتاء مبــتّردا
جعل المسكينة تلبسه
أوْلى التلطيخُ من المِزَق

حارس الحدود : لماذا تغادر ايطاليــا ؟

اندريــا : أنا عــالم .

حارس الحدود : (مخاطبا الكاتب) : اكتب : « الغرض من السفر : عالم » . عليّ أن أفتش أمتعتك .

(يفتــش)

الطفل الأول : (مخاطبا اندريا) : يجب عليك ألا تبقى جالسا في هذا المكان . (يشير الى الكوخ الذى يجلس أمامه اندريا) . هناك ساحرة تسكن .

الطفل الثانى : هذا غير صحيح . مارينا العجوز ليست ساحرة .

الطفل الثالث : بلى ! انها تطير في الهواء ابان الليل .

الطفل الأول : ولماذا لايعطيها أحد في المدينة حتى ولا قــدح لبن ، اذا لم تكن ساحرة ؟

الطفل الثانى : لكن كيف تستطيع أن تطير في الهواء ؟ لايوجــد انسان يستطيع ذلك . (مخاطبا اندريا) : هل يمكن هذا ؟

الطفل الأول : (من فوق رأس الطفل الثــانى) : هذا جوزبى : وهو لا يعرف شيئا عن أى شىء ، والدليل عــلى ذلك أنه لايذهب الى المدرسة ، وأنه ليست لـــه سراويل مقبولة .

حارس الحدود : ماهذا الكتـــاب ؟

اندريــا : (دون ان يرفع عينيه) : هذا كتاب للفيلســوف العظيم أرسطو .

حارس الحدود : (مرتابا) : من هذا الرجـــل ؟

اندريــا : لقد مات منذ زمـــن .

(الأطفال يدورن حول اندريا سخريةً منه وهـــم يتظاهرون بأنهم يقرأون كتابا)

حارس الحدود : (مخاطبا الكاتب) : انظر هل في هذا الكتاب شيء عن الدين .

الــكاتب : (يتصفح أوراق الكتاب) : لا أجد فيه شيئا .

حارس الحدود : الواقع أنه لافائدة في البحث هكذا . مايريدالانسان اخفاءه لايمكنه أن يعرضه هكذا . (مخاطبا اندريا :) عليك أن توقع على أننا فتشنا كل شيء .

(اندريا ينهض متردداً ، ويتبع حارس الحدود الى داخل مركز الحدود ، وهو مستمر في القراءة)

الطفل الثالث : (مخاطبا السكرتير ، وهو يريه الصندوق) : هناك شيٌ آخر ، ألا تراه ؟

الــكاتب : لم يكن موجودا من قبل ؟

الطفل الثالث : العفريت هو الذى وضعه هناك . انه صندوق .

الطفل الثانى : لا . انه يخص المسافر .

الطفل الثالث : أنا لــن ألمسه . لقـــد سحر خيول باسيّ Passi الحوذى . وأنا بنفسى نظرت من خلال الثقـــب

الذى أحدثته عاصفة الثلج في السقف ، وسمعت كيف كانت تسعل .

الكاتب : (وكان قريبا من الصندوق ، يتردد ويعود أدراجه) أمور عفاريت ، أليس كذلك ؟ على كل حال لانستطيع أن نفتش كل شيء . أين نذهب ؟

(يعود اندريا ومعه ابريق من اللبن . يعود إلي الجلوس على الصندوق ويستأنف القراءة)

حارس الحدود : (وهو يتبعه ومعه أوراق) : أغاق الصناديق . هل كل الأمتعة عُلّمت؟

الكاتب : كلها .

الطفل الثانى : (مخاطبا اندريا) : قل لنا ، وأنت رجل عالم : هل يمكن الانسان أن يطير في الهواء ؟

اندريا : انتظر قليلا .

حارس الحدود : تستطيع أن ترحل . (أخذ الحوذى الأمتعة . اندريا يأخذ الصندوق ويستعد للرحيل .) قف ! ماذا في هذا الصندوق ؟

اندريا : (آخذا كتابه في يده) : كتب .

الطفل الأول : هذا صندوق الساحرة .

حارس الحدود : غير معقول . كيف تستطيع هذه المرأة ان توجد صندوقا ؟

الطفل الثالث : لان العفريت يساعدها .

حارس الحدود : (ضاحكا) : هـــذا لا يخيل علينا هنـــا . (مخاطبا الكاتب :) افتـــح هذا . (فتـــح الصنـــدوق . دمدمة :) كم عددهـــا ؟

اندريـــا : أربعة وثلاثون .

حارس الحدود : (مخاطبا الكاتب) : كم من الزمن يستغرق فحص هـــذه ؟

الـــكاتب : (وقد بدأ يفحص دون انتباه) : كلها مطبوعـــة من قبل . ثم ان الأمر قد يؤخر افطارك ، ثم اذا كان عليّ أن أتصفح كل هذه الكتب ، فمـــتى أستطيع أن أذهب الى بيت باسى Passi الحوذى لأحصل المبلغ المتأخر عليه من العوائد ؟ سيباع بيته بالمـــزاد . . .

حارس الحدود : آه ، صحيح ، لابد لنا من العمال . (يضرب الكتب بقدمه .) أوه ، ماذا يمكن أن يكون فيهـــا ؟ (مخاطبا الحوذى :) اكنس !

(اندريا يجتاز الحدود مع الحوذى الذى يحمـــل الصندوق . ولما وصل الى الجانب الآخر مـــن الحدود ، وضع مخطوطة جاليليو في حقيبة سفره .)

الطفل الثالث : (مشيرا الي الابريق الذى تركه اندريا) : انظر !

الطفل الأول : والصندوق رحل . ها أنت ذا ترى أنه العفريت !

اندريـــا : (ملتفتا وراءه) : لا ، بل أنا . يجب أن تتعلـــم كيف تفتح عينيك . اللـــبن دفع ثمنه ، وكذلك

الابريق . انــه من أجــل المرأة العجوز . آه ، يا جوزبى ، لم أجب بعد على سؤالك . لايمكــن الانسان أن يطير في الهواء بواسطة عصا . لابد من آلة ، لكن هذه الآلة لم توجد بعد . ربما لن توجــد أبدا ، لأن الانسان ثقيل جدا . لكن لا أحد يدرى. ياجوزبى ، لا يزال علمنا قليلا ، ولا يزال يعوزنا الكثير . الواقع أننا الآن في البداية فحسب .

★ ★ ★

فهرست

★ ★ ★

ما صدر من هذه السلسلة

العدد	المؤلف	المسرحية
١	مانويل جاليتش	سمك عسير الهضم
٢	جان آنوى	القبّرة (جان دارك)
٣	هال بورلر	البرج
٤	تساو يو	عاصفة الرعد
٥	هارولد بنتر	١ ـ الخادم الاخرس ٢ ـ التشكيلة او عرض الازياء
٦	جون وبستر	الشيطانة البيضاء
٧	تيرانس راتيجان	الاسكندر المقدونى او قصة مغامرة
٨	تيرى مونييه	سباق اللؤلؤ
٩	جون مورتيمر	استعدوا لركوب الطائرة و غيرها
١٠	فريدريش دورنيمات	النيزك
١١	يونسكو ـ اداموف ـ ارابال ـ البى	دراما اللامعقول
$\frac{12}{1}$	اوجست سترندبرج	(من الاعمال المختارة) سترندبرج ـ ١ ١ ـ مس جوليا ٢ ـ الآب
١٣	نيقوس كازنتزاكى	عطيل يعود
١٤	بيتر فايس	انشودة انجولا
١٥	اوليفر جولد سميث	تواضعت فظفرت
$\frac{16}{1}$	موليير	(من الاعمال المختارة) موليير ـ ١ ● مدرسة الزوجات ● نقد مدرسة الزوجات ● ارتجالية فرساى
١٧	دوجلاس ستيوارت	عسكر ولصوص او نيد كيللى
١٨	وليم شكسبير	العين بالعين
$\frac{1}{2}$	اوجست سترندبرج	(من الاعمال المختارة) سترندبرج ـ ٢ الطريق الى دمشق ـ ثلاثية

(تابع) ما صدر من هذه السلسلة

العدد	المؤلف	المسرحية
٢٠	رومان رولان	١٤ يوليو
٢١	انجس ويلسون	شجرة التوت
٢٢	تيرانس راتيجان	روس او لورانس العرب
٢٣	كارون دى بومارشيه	حلاق اشبيلية
٢٤	وليم شكسبير	هاملت
٢٥	نويل كوارد	الحياة الشخصية
٢٦	سوفوكل	(من الاعمال المختارة) سوفوكل ـ ١ نساء تراخيس
٢٧	جبرييل مارسل	(من الاعمال المختارة) جبرييل مارسل ـ ١ ١ ـ رجل الله ٢ ـ القلوب النهمة
٢٨	انريكى خارديل بونثلا	ليلة ساهرة من ليالى الربيع
٢٩	اوجست سترندبرج	(من الاعمال المختارة) سترندبرج ـ ٢ ١ ـ الأقوى ٢ ـ الرباط ٣ ـ الجرائم انواع ٤ ـ موسيقى الشبح
٣٠	بيتر شافر	اصطياد الشمس
٣١	جورج شحادة	(من الاعمال المختارة) جورج شحادة ـ ١ ١ ـ حكاية فاسكو ٢ ـ السيد بوبل
٣٢	هـ.و.فيرمان	انتصار حورس
٣٣	جورج برنارد شو	(من الاعمال المختارة) جورج برنارد شو ـ ١ ١ ـ بيوت الارامل ٢ ـ العابث
٣٤	فرناندو ارابال	ثلاث مسرحيات طليعية ١ ـ قرافة السيارات ٢ ـ فاندو وليز ٣ ـ الشجرة المقدسة

(تابع) ماصدر من هذه السلسلة

العدد	المؤلف	المسرحية
٣٥/٢	سوفوكل	(من الاعمال المختارة) سوفوكل - ٢
		١ - اوديب الملك
		٢ - اوديب فى كولون
		٣ - اليكترا
٣٦/١	جان جيرودو	(من الاعمال المختارة) جان جيرودو - ١
		١ - اليكترا
		٢ - لن تقع حرب طراودة
٣٧/١	يوجين يونسكو	(من الاعمال المختارة) يوجين يونسكو - ١
		١ - المغنية الصلعاء
		٢ - الدرس
		٣ - جاك او الامتثال
		٤ - المستقبل فى البيض
		٥ - الكراسى
٣٨	كوبر - تشيرشل - شارب - بيرماتج	مسرحيات اذاعية
٣٩/٢	جبرييل مارسل	(من الاعمال المختارة) جبرييل مارسل - ٢
		١ - روما لم تعد فى روما
		٢ - العراب القسيه او (مصباح النعش)
٤٠	انطون تشيخوف	١ - شيطانة الغابة
		٢ - الخال فانيا المتتما
٤١/٢	جورج شحادة	(من الاعمال المختارة) جورج شحادة - ٢
		١ - مهاجر بريسبان
		٢ - البنفسج
٤٢/١	لويجى برانديلو	(من الاعمال المختارة) لويجى برانديلو - ١
		١ - ديانا والمثال
		٢ - الحياة عطاء
		٣ - لذة الامانة
٤٣	جيمس جويس	١ - ستفن « د »
		٢ - منفيون

(تابع) ما صدر من هذه السلسلة

العدد	المؤلف	المسرحية
٤٤/١	اوجست سترندبرج	(من الاعمال المختارة) سترندبرج ـ ٤ ١ ـ الغرماء ٢ ـ الأميرة البيضاء ٣ ـ عيد الفصح
٤٥/٢	سوفوكل	(من الاعمال المختارة) سوفوكل ـ ٣ ١ ـ انتيجونة ٢ ـ اجاكس ٣ ـ فيلوكتيت
٤٦/٢	جان جيرودو	(من الاعمال المختارة) جان جيرودو ـ ٢ ١ ـ سدوم و عمورة ٢ ـ مجنونة شايو
٤٧/٢	يوجين يونسكو	(من الاعمال المختارة) يوجين يونسكو ـ ٢ ١ ـ ضحايا الواجب ٢ ـ مرتجلة الما ٣ ـ سفاح بلا كراء
٤٨/٢	جبريل مارسل	(من الاعمال المختارة) جبريل مارسل ـ ٣ ١ ـ طريق القمة ٢ ـ العالم المكسور
٤٩	البي ـ شيزجال	١ ـ الحلم الامريكى ٢ ـ الطابعان على الآلة
٥٠	ارمان سالاكرو	الارض كروية
٥١/٢	جورج برنارد شو	(من الاعمال المختارة) برنارد شو ـ ٢ ١ ـ السلاح و الانسان ٢ ـ كانديدا ٣ ـ رجل المقادير
٥٢/٢	هارولد بنتر	الحارس
٥٣	مارتينيس دى لاروزا	ابن امية او ثورة الموريسكيين

(تابع) ما صدر من هذه السلسلة

العدد	المؤلف	المسرحية
٥٤	وليم شكسبير	ماساة كريولانس
٥٥	انطونيو بويرو باييخو	القصة المزدوجة للدكتور بالمى
٥٦	يوربيديس	● الكترا ● أورستيس
٥٧	فيكتور هيجو	هرنانى
٥٨	ليو تولستوى	المستنيرون
٥٩	موليير	(من الاعمال المختارة) موليير ــ ٢ ١ ــ سجاناريل ٢ ــ المتحذلقات المضحكات ٣ ــ مدرسة الأزواج ٤ ــ الطبيب الطائر ٥ ــ غيرة الباربوييه
٦٠	روبرت شيروود	الطريق الى روما
٦١	فيليب بارى	١ ــ المهرجون ٢ ــ قصة فيلادلفيا
٦٢	ماكس فريش	قصة حياة
٦٣	جون جى	اوبرا الصعلوك
٦٤	دينس ديدرو	الابن الطبيعى

العدد	المؤلف	
٦٥/٥	اوجست سترنديرج	(من الاعمال المختارة) سترندبرج ـ ٥
		١ ـ رقصة الموت
		٢ ـ الطريق الكبير
٦٦	وليم سارويان	١ ـ ايام العمر
		٢ ـ سكان الكهف
٦٧	آندريه شديد	١ ـ العارض
		٢ ـ بيرينيس المصرية
٦٨/٢	لويجي بيرندللو	(من الاعمال المختارة) بيرندللو ـ ٢
		١ ـ المعصرة
		٢ ـ اداء الادوار
		٣ ـ ابو زهرة بفمه
٦٩	البير كامى	حالة طوارىء
٧٠/١	بروتولت برشت ـ ١	● حياة جاالليو
		● طبول في الليل

الكويت	١٥٠ فلس	ليبيا	١٥ قرشا	مسقط	١٢٠ بيزا
السعودية	٢ ريال	المغرب	٢ درهم	اليمن الجنوبية	١٢٠ فلسا
العراق	١٥٠ فلسا	تونس	٢٠٠ مليم	اليمن الشمالية	٢ ريال
الاردن	١٥٠ فلسا	الجزائر	٢ دينار	البحرين	١٥٠ فلسا
سوريا	١,٥ ليرة	القاهرة	١٥٠ مليما	الخليج العربي	٢ ريال
لبنان	١,٥ ليرة	السودان	١٥٠ مليما		

فى هذا العدد

من الاعمال المختارة **برتولت برشت ـ ١**

يتضمن الجزء الاول من هذه الاعمال المختارة مسرحيتين تعدان من قمم انتاج برتولت برشت (١٨٩٨ ـ ١٩٥٦) المؤلف المسرحي والشاعر الالماني الذى يحتل مكان الصدارة فى المسرح العالمي المعاصر .

الاولى : « طبول فى الليل » (مثلت لأول مرة سنة ١٩٢٢ ، ونشرت سنة ١٩٢٣) وموضوعها مستمد من اوضاع المانيا غداة هزيمتها فى الحرب العالمية الاولى ، وما اعتمل فيها من كوارث سياسية واجتماعية ، وفيها يسخر المؤلف من هذه النزعات الثورية ويرى فيها مجرد أوهام رومنتيكية ، لأن من الصعب اصلاح المجتمع والعالم .

والثانية : « حياة جاليليو » (مثلت لأول مرة سنة ١٩٤٣) وموضوعها جانب من حياة هذا العالم الفلكي العظيم الذى أثبت صحة نظرية كوبر نيقوس القائلة بأن الارض هي مجرد كوكب يدور حول الشمس وليست مركزا للكون كما كانت الكنيسة وعلم الفلك السابق يقرران . فاتهمته الكنيسة بالكفر ، وحوكم وادين من جانب الديوان المقدس ومحكمة التفتيش ، والزم بأن يعلن بطلان نظريته ، التي رات فيها الكنيسة مصدرا لافساد النظام الديني والاجتماعي . واضطر جاليليو الى الاذعان ، ولم يكن عنده من الشجاعة ما يواجه به هذا السلطان الديني والسياسي . وعدل طوال ثماني سنوات عن متابعة ابحاثه ، ثم تابعها سرا وحكم عليه بتحديد اقامته فى بيته لباقي حياته . وبرشت يسخر من استسلام جاليليو امام بطش السلطان ، ويصفه بأنه رجل يسعى للعيش الرغيد واشباع اللذات ، وليس رجل نضال وبطولة .

سلسلة

من

المسرح العالمي

سلسلة يشرف عليها

أحمد مشاري العدواني

المراسلات باسم :

وزارة الإعلام

الكويت - ص.ب. ١٩٣

في العدد القادم

غرفة المعيشة **تاليف : جراهام جرين**

جراهام جرين كاتب متدين متعصب كأشد ما يكون المتحول من دين الى دين عن ايمان واقتناع . وقد سخر مواهبه الروائية والمسرحية للتعبير عن نفسه دينيا . مثلما فعل ب. س. اليوت وغيره الذين تحولوا عن البروتستنتية الى الكاثوليكية . ويخطىء القارىء ان ظن أن جراهام جرين ينصب نفسه واعظا مبشرا بدينه الجديد فى رواياته أو مسرحياته . انه أبعد ما يكون عن الوعظ والتبشير . وانما هو يعرض بأسلوب فنى دقيق الصنعة لمواقف يؤدى اليها التدين ، يعرض نماذج للمتدينين : متدينة يجعلها جهلها أداة طيعة فى يد الغير ومتدينة متقيدة بحرفية العقيدة ولو جاء ذلك على حساب الاخلاقيات ، ومتدين متحرر الفكر لكنه عديم الحيلة والوسيلة . نماذج تعيش في ظل جميع الاديان . ويوحى المؤلف ضمنا بأن تدينها ناقص لانه لا يدخل فى حسابه الاعتبارات الانسانية .

فى هذه المسرحية تقف هذه النماذج الثلاثة حيال حفيدة لهم تعاني أزمة عاطفية معقدة ، فلا يسفر تدخلهم الديني فيها الا عن هلاك المسكينة .

وبعد اهو قصور المتدينين أم هى صعوبة الجمع بين الدنيا والدين ؟

هذه المسرحية تطرح هذا السؤال وتترك للق

عليه .

